

لا تنسنى



تأليف

مريم جعفرى

ترجمة

هويدا عزت

مراجعة وتقديم

بديع جمعة

المشروع القومي للترجمة

رواية

456

١٥٨٩

المشروع القومي للترجمة

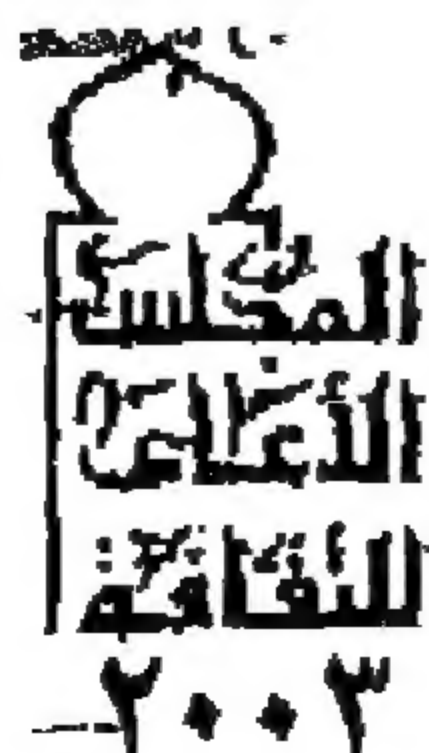
لا تنسني

(رواية)

للكاتبة الإيرانية : مريم جعفرى

ترجمة : هويدا عزت محمد

مراجعة : بديع محمد جمعة



المشروع القومي للترجمة

إشراف : جابر عصفور

- العدد : ٤٥٦

- لا تنسنى

- مريم جعفرى

- هويدا عزت محمد

- بديع محمد جمعة

- الطبعة الأولى ٢٠٠٣

هذه ترجمة لرواية :

فراموشم مكن

للكاتبة الإيرانية : مريم جعفرى

الناشر : انتشارات بل - طهران

عام النشر : ١٩٩٩ م

مركز الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمجلس الأعلى للثقافة

شارع الجبلية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084.

تهدف إصدارات المشروع القومي للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربي وتعريفه بها ، والأفكار التي تتضمنها هي اجتهادات أصحابها في ثقافتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

المقدمة

هذا بحث أتناول فيه بالترجمة والدراسة رواية فراموشم مكن - لا تنسني - للكاتبة المعاصرة مريم جعفرى ، وإحقاقاً للحق إن السبب الأساسى وراء اختياري هذه الرواية بعينها هو تأثرى الشديد بها منذ بدأت فى تصفحها لمجرد القراءة العابرة فقط ، ودون أن أبيت النية على تناولها فى بحث مستقل . وقد توهمت فى الوهلة الأولى أن الكاتبة من النوع الرومانسى سوف تتناول موضوعاً يتعلق بمحور ذاتها ، أو أنها تقدم نموذجاً يتعلق بعالمها كامرأة ؛ فموقع المرأة على خارطة الوجود الإنسانى بأبعاده الإنسانية والاجتماعية والتكوينية الجسدية والأعراف المحيطة بها والموروث التاريخى الذى تحمله يوجه نظرها فى اتجاه خاص ، ويجعل مساحتها الإبداعية موزعة تجاه محاور خاصة ، إلا أننى - وبعد سطور قليلة - أدركت أن الكاتبة قد تجاوزت هذه المرحلة ، وعاشت تجربة إنسانية بعينها ، ولم يكن من الضرورى أن تكون قد عانتها بنفسها ، وعرضت لنا طبقاً لمنظورها ورؤيتها موضوعاً اجتماعياً كان محوره الرجل ، وعبرت من خلاله عن سلوك كثير من أهل بلدها أرادت أن تنعى عليهم موقفهم فى مسألة ما ، ألا وهى شغفهم الشديد بالسفر إلى الخارج والزواج من أجنبيات .

هذا وسوف أتناول البحث على قسمين : أولهما أعرض من خلاله الترجمة العربية للرواية كاملة ، أما القسم الثانى فسأتناول من خلاله القصة بالدراسة التحليلية النقدية ، لنرى إلى أى مدى أجادت الكاتبة فى التعبير عن عالم الرجل ، وإلى أى حد وفقت فى عرض أفكارها

بما يخدم غرضها الأصلي في إطار هذا العمل الدرامي ، ثم أنهى
البحث بالخاتمة ، وأتبعها بملحق يتضمن الألفاظ والمصطلحات العامية
التي أوردتها الكاتبة على لسان أبطالها ، وأتمنى من الله العليّ القدير
أن يوفقني إلى ما فيه الصلاح .

المترجمة

القسم الأول

الترجمة العربية الكاملة

لرواية لا تنسى

الفصل الأول

إننى أخشى الوحدة، ولا أريد أن أختلى بنفسى وأفكر فى الماضى.
أتخيل فى الوحدة بأن شخصاً ما يقوم بتأنيبى دون توقف، ويذكرنى
بأننى السبب فى كل هذه التعاسات.

من حماقة أن يدمر شخص أساس حياته بيديه، ولكننى كنت من
الحماقة بذلك القدر الذى جعلنى أدمر حياتى عن جهالة وعدم وعى ،
ووقفت أتابع انهيارها. البعض يقول إن الرفاهية الزائدة عن الحد تكون
داعياً لهذه الأخطاء ، والبعض يعتقد أن رجاحة العقل ليست بالسن؛
فأحياناً يمكن لطفل فى الخامسة من عمره أن يفهم أكثر من شيخ يبلغ
السبعين، وهذا ما يصدق على ، فأنا لا أستطيع أن أسمى ما قمت به
سوى أنه درب من الجنون!

لا أريد ولا أستطيع أن أتهم الآخرين بالتقصير، حتى فى هذه
اللحظة التى أشعر فيها بوحدة موحشة فى حجرتى الصغيرة ، صار
عملى التحديق فى أبواب هذا المنزل وجدرانہ القديمة والتفكير فى
الماضى !

لا أستسيغ طعم ذكريات الماضى بما فيها من مرارة ؛ اذا أسعى
دوماً لأقلل من تكدير نفسى ؛ فجميع تلك الأحداث تتوالى أمام عيني مثل
شريط فيلم وتعكر صفوى ، حتى فى منامى ليلاً ، رغم تناولى للأقراص
المهدئة !

أستيقظ فى منتصف الليل ، وأنظر إلى تساقط قطرات أمطار
الربيع على زجاج حجرتى ، ويقع صوت هطول المطر الهادئ على ، وكأته
صوت مطرقة مزعج تدق رأسى ، لم؟!

دائما ما يتردد مثل هذا السؤال فى ذهنى مثل الديالوج المكتوب:
لم ؟! لم يجب أن أكون على هذا النحو ؟ وفى النهاية لا أعلم عمرى! ففى
خريف هذا العام أتم السابعة والثلاثين . إذن لم ترتعد يداى ؟ ولم أفقد
السيطرة على أعصابى عند سماع أقل صوت ؟ أحيانا أخشى ، لا قدر
الله ، بأنه ليس هناك فاصل بينى وبين الجنون، ولكننى أضحك من بعد
على أفكارى !

أتعلمون ؟ إن مشكلتى هى أننى لا أستطيع أن أختلى بنفسى،
لا أستطيع أن أتقبل أحداث الماضى على أنها أمر واقع ، مع أننى
المتسبب الأول فيها ، أريد أن أتخيل أن كل شىء حدث كان كابوسا !
لكن المشكلة هنا هى أننى لا أستطيع حتى أن أكذب على نفسى ، أنا
رجل غير طبيعى.

إن الحياة مسألة صعبة ومعقدة ؛ فالجميع يتعجلون الإنجاب
والدخول فى المشاكل ، وقد رأيت هذه التجربة بعينى ؛ فالأم قلقة ، والأب
متلهف ، والطفل يلهث للقدوم إلى الدنيا ! الجميع يتعجلون ! لكن لم كل
هذه العجلة ؟ أهى من أجل الدخول فى المشاكل ؟! بمجرد أن يُسمع أول
صوت لبكاء الطفل ، يضحك الجميع ، ويقفون ، ويتبادلون التهانى ! أهذا كله بسبب إضافة شخص آخر إلى التجمع
المعذبين ؟! تقول أمى إن الخلق يأتون إلى الوجود كى يعذبوا ويواجهوا
المشاكل . هذا هو قانون الحياة، وإن انعدم ذلك تصير الحياة هباء
لا معنى لها !

أحيانا أتخيل أن أمى تتحدث إلى الباب وينصت إليها الجدار،
ولكننى أتوجه إليها، وحينما أنظر إلى عينيها أشعر بالحزن من أجلها
وبالشفقة من أجلى ، وبمجرد أن ترانى تذرف عيناها الدمع، وتتصاعد
منها آهة خافتة لاشعورية، وتهمس قائلة : أحمدك يا إلهى !

لا أريد أن أكون جحوداً ، ولكننى لا أستطيع أن أفهم لم تكرر هذه الجملة كلما رأيتنى ؟ هل أنا أسوأ حظاً منها ؟ أحياناً أحدث نفسى ، هل هى أسوأ حظاً منى بما عانتها فى الدنيا ؟ تصبح أُمى أحياناً على هذا النحو: حرك لسانك يا ولدى ، ماذا حدث لك ؟ لعلك أصم أو أعمى ؟ أم أصابك الفلج أو الخرس ؟

وكننت أضحك على أُمى ، وأقول لنفسى : ليت كل شيء كان سببه الصمم أو العمى ؟ ربما يجب على المرء أن يصاب بالفلج كي يصدق بأنه سىء الحظ ، فأنا الآن أقضى أياماً عديدة تكون فيها الأيام الصماء لدى أيام ملك .

الأم تعتقد أن أفضع ألم هو فقدان الصحة ، وأنا أقول لنفسى : ليتنى كنت مصاباً بالفلج ولم أذهب إليها . ليتنى كنت مصاباً بالعمى ولم أرها . ليتنى كنت أبكم ولم أسمع شيئاً من حديثها ، ذلك الحديث الخادع الشبيه بترنم الأشجار الخضراء وقت الربيع .. أه ، أى عالم هذا الذى صنعتته لنفسى ، أى أحلام تلك التى أجعلها تجول فى رأسى ، وأى آمال أضعتها هباء ، لقد ضاع شبابى أدراج الرياح ، وكذلك سعادتى ! والأهم من هذا كله فرصتى ! ضحيت بهذا كله بسبب غرورى وأنانيتى ، والآن أتجرع الهزيمة والانكسار ، وأنا خالى الوفاض ، أرى النصر أمامى يضحك على !

كيف يصبح المرء هكذا مقصراً فى فكره ؟ لم أصغ إلى حديث أى شخص ، ولم أطلب العون من أى شخص أثناء سلوكى هذا الطريق ، كنت يوماً أمتطى جواد غرورى المتمرد وأسير بلا هواة ! وحينما أنظر إلى من هم فى نفس سننى أرى كل شخص وقد كون حياته ، وصار له عدة أطفال فى مراحل العمر المختلفة ، ومعظمهم بدأ من الصفر خالى الوفاض ! ولكن بقلب يخفق فى الصدر على ذكرى معشوقه .

تقول أمى : إن الحب يحقق الاستقرار للرجل حينما يعلم أن شخصاً ما لا يقر له قرار فى المنزل من أجله ، وينتظر قدومه ، ويترقبه ، ولكن ما من أحد فى المنزل ينتظرنى . ما من شخص يترقب فى قلق عبر النافذة قدومى . حينما ينتصف الليل وألقى بالمفتاح فى الباب وأدخل إلى الفناء أواجه مبنى يغلب عليه الصمت والظلام ، ويبدو لى ببنائه القديم وتلك الأعمدة الأسمنتية بأنه وحش مرعب .

إننى أتأذى من الليل ، ولكننى مضطر للمكوث فى المنزل حتى الغروب هرباً من كلام الناس ، وبعد أن يحل الظلام أخرج من المنزل . شىء مضحك أن أكون رجلاً وأحبس نفسى فى حجرة صغيرة مثل النساء . والذى عانى الرغم من كونه فى مرحلة الكهولة، إلا أنه يحتفظ بحميته القديمة ، فهو يتوكأ على عصاه فى صلابة، ويقول فى نبرة حادة: وادى ، لتكن رجلاً ، ابتلع همك وحزنك وانتظر ما هو سىء ؛ فمن العار علينا أن يلزم رجلاً أمداد بسبب كثرة المشاكل .

يجب أن أعترف إذا ما عقدت مقارنة أن أبى أشد قوة منى ، فلو كان لدى ما لديه من مشاكل لكنت قد أبلت فى سبعة أكفان . إننى أجهل ما بداخله ، لكننى أعلم أنه تحمل عذابات العالم بأسره ، إلا أنه حتى الآن ومع تجاوزه السبعين من عمره ، لم ترسم علامة تبرم على جبهته. فى ذلك الوقت ، الذى أنظر فيه إلى نفسى فى المرآة ، أندش بشدة من اضمحلالى. وإذا ما رغبت فى التفكير فى سبب هذا الاضمحلال ، أضطر للعودة إلى السنوات الماضية ، إلى الثمانية والثلاثين عاماً والستة شهور الماضية ، حينما ولدت فى أحد أركان هذا المنزل ؛ فقد كنت آخر الأبناء فى الأسرة ، وقد حملت أمى فى دون أن تهتم بتحذير الطبيب بسبب مرضها بضغط الدم والسكر ، وكان والدى يرغب فى إنجاب مولود ذكر؛ لأن الثلاثة أطفال الذين سبقونى كانوا

إنائاً ، وقد اشترت الأم هذا الخطر بروحها ، لكي تحقق لوالدى أمنيته ، لكن هذا الخطر أدى إلى موتها بعد ولادتي بساعة واحدة !

لا أدري ، لعلنى كنت قدم شؤم ، والدليل على ذلك أن أخواتى ترددن ذلك على مسامعى عندما يشعرن بالغصة لفقدن الأم ، إنهن يعتقدن أن حالهن قد يكون أفضل لو كانت الأم على قيد الحياة ، ولكنى أعتقد أنهن يبالغن فى هذا ، ويغبطننى لمحبة أبى لى . ومن الإنصاف القول بأن والدى طوال هذه الأعوام لم يبد أى تقصير تجاهى ، ومن فرط ارتباطه وحبهِ للولد كان يحقق لى كل ما أبغيه .

بعد وفاة الأم عانينا كثيراً من الوحدة ، كانت اثنتان من أخواتى قد بلغتا سن الزواج ، بينما كانت الثالثة فى الحادية عشرة من عمرها ، ولم يتعد عمري بضعة شهور ، وبعد مرور أربعين يوماً على وفاة أمى ، اجتمع كبار العائلة وتحدثوا مع والدى . كانوا يعتقدون فى وجوب زواج أبى مرة أخرى لأننى كنت صغيراً جداً ، ولم يخضع أبى فى البداية لمطلبهم ، ولكنه وافق فى النهاية تحت إلحاحهم ، وكان يتمتع بوضع مالى جيد ، لذلك كانت الكثيرات من النساء على استعداد للزواج منه ، لكن أبى كان يدقق فى الاختيار حتى وجد زوجة فى النهاية كانت على قدر كبير من الإيمان والعفاف تدعى زينت ، وكانت قد طلقت من زوجها السابق بسبب عدم قدرتها على الإنجاب ، وشملتنى بحبها وحنانها وربتتى كإبن حقيقى لها ، لكن المشكلة الحقيقية هى أن أخواتى كن يكرهنها بشدة ، فلم يتمكن من قبول امرأة أجنبية كى تجل محل والدتهن ؛ لذا وضعن أساس العداوة بينهن وبينها ، أثناء ذلك كان والدى يميل إلى جانب زينت ، لكن تأييده لها لم يكن بشكل دائم ؛ فهو من ناحية يواجه امرأة لا ذنب لها ، ومن ناحية أخرى يواجه أطفاله ! وعلى الرغم من عدم توافق أخواتى مع زينت ، إلا أنها كانت تتسم بالجلد والصبر ، وكانت تتفهم أن تصرفهن

هذا أمر طبيعي، وكان يحدوها الأمل بأن سلوكهن معها في المستقبل سيصير إلى الأفضل . أما أنا فقد تقبلتها كأُم لي ، وكبرت في ظل رعايتها ومحبتها ، وكنت أنا الوحيد الذي يناديها بكلمة أُمي ، وأقسم أنني حينما أناديها بهذه الكلمة حتى الآن تدمع عيناها ، إنني أتذكر محبتها لي جيداً ، فقد لازمتني منذ مرحلة الطفولة ، وكانت تداعبني بأعذب كلمات الأمومة ، وتقول لي : أنت أُملي يا أرسلان !

وجدت بالذكر أن أخواتي كن يلومنني كثيراً ، ويطلبن مني أن أناديها باسمها ، لكنني كنت قد اعتدت ، ومن ناحية أخرى ، كنت أحبها بالفعل حباً شديداً . وبعد مضي خمسة أعوام على زواجها من أبي ، تزوجت أختاي ، وبقيت أنا فقط وأختي الثالثة التي كانت تريد استكمال دراستها ، ويجب أن أعترف أنها كانت أكثر الأخوات تعرضاً لزوجـة أبينا بالأذى.

كانت لا تكثر بكلامها ، ودوماً تضع رأسها برأسها ، وقد بلغ بها الأمر أن تشوه صورة زينت لدى والدي ، ولكي تصل إلى هذا الهدف لم تتورع عن اختلاق الأكاذيب ، لكن زوجة أبي كانت دوماً تلزم الصمت، وحينما كان يرغب أبي في معاقبة أختي بسبب ما تخلقها من أكاذيب، كانت هي التي تتصدى له . في الحقيقة لقد كانت تتسم بالحب والحنان كالأم الحقيقية تماماً ، وعلى الأقل كانت هكذا بالنسبة لي .

وقد امتزجت تربيتي بصبرها وجلدها وكبرياء أبي وعصبيته . ومن وجهة نظري أنه مع ما لأبي من هذا الكبرياء، إلا أنه كان يحتضنني ويرعاني بالقدر الذي كان يثير حسد أخواتي .

ولا ريب أنه لم يقصر معهن، فقد قام بتجهيزهن على أكمل وجه، وسمح لكل منهن باستكمال دراستها بقدر المستطاع ، ومنحهن الحرية في

اختيار أزواجهن ، بيد أنهن لم يوفقن في حياتهن ؛ فزوج إحداهن تركها بعد عشرة أعوام من الحياة التعيسة ، وزوج الأخرى كان يغير عمله كل عام ، ولا نعلم حتى الآن أى عمل يقوم به ، والأخت الثالثة تزوجت من أحد المهندسين ، وسافرت إلى الأهواز ، وقد قام أبى برعاية أختى المطلقة، وبعد فترة زوّجها من أحد التجار المرموقين.

أثناء ذلك كانت زينت بجوارهن فى جميع مراحل حياتهن كأم حنون، سواء أثناء حملهن أو أثناء ما يعتريهن من مشاكل ، فكانت تتحمل جميع مشاق الأم الحنون ولا تزال حتى الآن ، ولكن على الرغم من ذلك لم يكن يتقبلنها كأم . . .

أحيانا يحترق قلبى من أجلها ، ولكننى أتذكر بعد ذلك أنتى أسوأ حظاً منها.

فأنا أحتاج لشخص يحترق قلبه من أجلى . لقد سئمت من هذا الحديث المتكرر، سئمت من أن أسمع دوماً عبارات : انس كل شىء ، إنك لا تزال شاباً ، لا تزال الفرصة لديك !

إننى أرتاب فى الجميع ، أعتقد أنهم جميعاً يقومون بخيانتى . لم أستطع أن أضع ثقتى فى شخص مرة أخرى . وعلى هذا النحو يتضح أن لى مشكلة مع نفسى ، أشعر وكسأنتى كائن بلا هدف ، وهذا ما يجعلنى أشعر بالكهولة . لقد مررت بتجارب مريرة، ويفترض أن أكون قد صرت كالفولاذ المصقول ، ولكننى أريد أن أكون وحيداً . لا أرغب ثانية فى أن أفسح الطريق لشخص قط إلى قلبى . لقد دفنت قلبى فى هذه الأرض الغريبة. أتريدون الحقيقة ؟ إننى أحب أن يجاملنى الجميع ، ولكن ما الفائدة ؟ فقد مضت بى الأحداث، ولم يكن تذكرها يجلب لى سوى الغم والحزن .

الفصل الثانى

مرت السنون ، والتحقّت بالمدرسة ، وسرعان ما أنهيت المرحلة الابتدائية ، والتحقّت بالمدرسة الإعدادية ، وينبغى أن أوضح أنتى كنت أعتقد أنه ما أن توفرت الإمكانيات المادية بشكل جيد ، فلاداعى للاهتمام بالدراسة ، ولولا توسلات الأم والخشية من أبى لما حصلت على الدبلوم ، فدوماً فى نهاية كل عام تكون شهادتى مملوءة بالملاحق التى يُعلم عليها بالقلم الأحمر ، وكان أبى يستدعى المدرسين الخصوصيين إلى المنزل ، لكى يحصل ابنه الوحيد على الدبلوم على الأقل ، وكان يقول لهم بنبرة قاطعة : لا نقاش فيما تطلبون من نقود ، أريد النجاح فقط فى شهيور .

تريدون الحق ؟ كنت أعتقد أنهم قد صبوا نشارة المبرد فى رأسى بدلاً من العقل ، وكنت أريد فقط أن أكون سعيداً ، ولا ريب أن العديد من الأصدقاء كانوا يلتفون حولى - لما لدى من نعم وجود - تماماً مثلما يلتف الذباب حول الحلوى .

أتذكر أن أبى كان يلوح يوماً بعصاه فى الهواء، ويصيح قائلاً : "يابنى ، خليك راجل ، إمتى هتبقى راجل ؟ ! أنا لما كنت قدك كانوا بيديروا لى على زوجة !"

وكنّت أقول له بأسلوب ساخر : كويس ، لو كنّت مضايق دور لى على زوجة . وعندئذ كان أبى يطاربنى ، وعلى الرغم من إدراكى أنه لن يستطيع اللحاق بى إلا أنتى كنت ألوذ بالفرار ، ويجب أن أعترف بأننى كنت أخشاه .

أتذكر إحدى الليالى التى ذهب فيها والدى لزيارة أحد أصدقائه ، ولم يكن فى المنزل سوى زوجة أبى ، فأحضرت بعض أصدقائى إلى المنزل ، وأعدت زينت العشاء لنا ، وبعد أن شبعنا انهمكنا فى اللهو والتهريج برعونة ودون مبالاة ، فقام سعيد - أحد زملائى فى الفصل - بالعزف ، وقام آخر بالغناء قائلاً :

"منقولش بعوضة ، متقولش بعوضة ، دى ليها ناب ٦٦٦ ، ليها من ثلاثة لسته" .

وبينما نحن منهمكون فى التهريج ، فتح الباب فجأة ، وظهرت قامة والدى الفارعة أمام عتبة الباب ، وتوقف ريق الأطفال فى حلقهم .

وكان أبى قد أنهى زيارة صديقه وعاد إلى المنزل ، ولم أكن أتوقع أصلاً رؤيته ، وما أن اقترب منى حتى فضل الأطفال الفرار على البقاء . وتركونى بلا إنصاف لعصا الوالد وحيداً . لم أتذكر كم ضربة مؤلة أخذتها إلى أن جاءت زينت لحمايتى ، وكان والدى يكن لها احتراماً خاصاً ، وكانت لى فى ذلك الوقت - وكعادتها - درعاً يتلقى عنى العقاب ، إنها لم تحاسبنى قط ، إلا أن تلسيحاتها كانت حارقة كالطلقات النارية.

كان الأطفال دوماً يسخرون بسبب رهبتى وخشيتى من مثل هذا الوالد ، ويقولون لى : يا عبيط ، لو ما خفتش منه مش هيجصل حاجة ، ده عجز ، لكن إنت كبرت !

لكننى كنت أكن له دوماً كل احترام ، ولم أستطع أن أنظر قط فى عينيه مباشرة ، حتى حينما كنت أستعص غضباً وأتكرر ، كنت أعلم أن وراء تلك النظرة القاسية قلب رؤوف قلق على ، وكيف يمكننى الشعور بغير ذلك؟ لقد فعل من أجلى كل ما يمكن أن يقوم به أب لابنه ، وعليه لا أستطيع أن أكون جحوداً .

والكثير من أصدقائي كانوا يسعدون لإمكانياتي المادية ، فقد كانت المشكلة الأساسية لأكثرهم تتمثل في ضيق ذات اليد . وعليه كانوا يقولون لى فى أسى كلما رأونى : نعم ! فلتضحك يا أرسلان ! لو كنا مكانك لتعالت ضحكاتنا . أتعلم ماذا يعنى وجود المال فى الجيب ؟ يعنى أنه كلما رغبت فى المال كان طوع يدك ! فقط نحن نتعجب لم لا يغير والدك داركم هذه رغم امتلاكه لكنز قارون ؟

كنت أعتقد يوماً أنهم على حق ، فأبى لم يكن على استعداد كى يتخلى عن منزل آبائه وأجداده ، كان يقول : لقد ولد أبى وأنا وأنت فى هذه الدار ، وفيها تزوجت من والدتك ، وكانت ثمة أشياء أخرى مهمة بالنسبة له ولا تزال ! وعلى كل حال ، وعلى الرغم من سوء الحظ الذى كان ، إلا أننى حصلت على الدبلوم ، وكان هذا من وجهة نظرى أننى أنجزت عملاً عظيماً ، وكنت سعيداً لأننى استرحت من شر الدروس ، وأستطيع الآن أن أقضى كل أوقاتي فى اللهو ، لكن هذه السعادة لم تدم طويلاً ؛ حيث إننى سئمت النوم والأكل والتجول فى الشوارع ، وكان جميع أصدقائي إما مشتركين فى مسابقات للالتحاق بالعمل أو يعملون بالفعل فى مهنة ما . وبناءً عليه فقد أصبحت وحيداً ، فلم أكن أحب الدراسة ، ولم يكن لى صبر على عمل . كنت أتجول فى الشوارع من الصباح حتى الغروب وأشاهد المحال . لا ريب أننى كنت قد سئمت البطالة ، ولكن ما من عمل قد استهوانى ، حتى عمل والدى ، فكانت أبدأ أولاً أننى لن أوفق مع أبى ، ثانياً لم تكن لى صلة قط مع جميع الأصدقاء الذين فى نفس عمرى ممن يعملون عند والدى ، وكانت النتيجة أننى رفضت اقتراح والدى ، وقلت فى ردى عليه : إننى أسعى للعمل فى مكان آخر .

لكن الواقع كان شيئاً آخر ، فكنت أسعى للحصول على عمل سهل ندى دخل وفير ، وهذا ما لم يتيسر . وفى النهاية - وبعد مرور عام على

تخرجى - أخذ والدى يصيح فى إحدى ليالى الصيف : إلام يا ولد تريد أن تظل عاطلاً تأكل من جيبى ؟ يجب أن تفكر فى مستقبلك ، لقد بلغت العشرين من عمرك ! يجب أن تكون عصا شيخوختى . إلام أستطيع أن أضع الأموال فى جيبك ؟ لعلك صغيراً ! ألم تبلغ حتى الآن ؟ لقد قلت لى إنك لا ترغب ثانية فى استكمال دراستك ، وقلت : لا عيب فى ذلك ، لعلك تفكر فى العمل لتصبح رجلاً ! وكنت قد أسعدت قلبى لأن لى ولداً ، ولكن هيهات !

وكالعادة كانت زينت - التى كنت أحبها كأمى - تقوم بالدفاع عنى بصوت حنون قائلة : لا تتكدر يا أيوب أفندى ، فلتمنحه فرصة ! إنه لا يزال شاباً ! يريد أن يشق طريقه ، سوف يكبر ، ويصير رجلاً مهماً ، وسيكون عصا يدك ، وباعثاً لفخرك !

باعث للفخر ! أى لفظ مضحك هذا ؟ من أنا ؟ ما الذى أملكه أصلاً كى أفتخر به ؟ فريماً يجب أن أفتخر بأننى أخطأت أكثر من أى شاب إيرانى ! أفتخر بأننى تعديت حدود الإنسانية ، ولم أنظر حتى إلى نهايتى ! أريد أن أقتسم حمل أخطائى مع شخص ما ، أريد أن ألقى بنصفها على عاتق والدى ووالدتى .

على عاتق والدى ؛ لأنه كان يمنحنى المال دون حساب ، وعلى عاتق والدتى ؛ لأنها كانت تدافع يوماً عنى ، وكانت ترانى أعظم مما كنت . لقد كنت شاباً ، والدنيا كانت لدى مكاناً للهو ، وكانت الحياة فى عيني مزحة جميلة ، وكان والدى بثروته التى لا حصر لها وسيلة لتحقيق اللذة فى حياتى !

كانت أمى تعتقد أننى إذا ما تزوجت سوف ينصلح حالى ، وكان أبى معارضاً لها تماماً ، وكان يقول : هذا الولد العاطل لا يستطيع أن يدبر نفقات نفسه ، فكيف يتسنى له إدارة أسرة ؟

أتريدون الحقيقة؟ إننى كنت مستاءً يوماً مما يفعله الأب ، ولكننى حينما أفكر الآن أرى أن الحق كان معه، ولكن الأمان من يد النساء !

وظلت زينت تردد هذا الحديث على مسامع أبى حتى وافق هو أيضاً ، وكانت مهمتى واضحة ، ففى الواقع كنت أميل بشدة إلى التنوع، وكنت أتخيل أنه سيصبح لى هدف محدد بعد الزواج . لا أعلم ، ربما كانت أمى تريد بهذه الطريقة أن تتخلص من شرى ، ومهما كان الأمر فلم يكن هذا هو الحل المناسب ، لأننى كنت قد أتممت مؤخراً الحادية والعشرين من عمري ، وكنت لا أزال أتحسس خطاى ، ولم أكن على استعداد أن أشارك أحداً فى أحاسيسى ، ولكن على أية حال فقد لبست أمى عباعتها ، وظلت تبحث عن فتاة مناسبة ، كانت تسأل كل شخص ، وتوصي كل شخص ، حتى وجدت لى فى النهاية فتاة نجيبة من عائلة . وإنصافاً للحق كانت الفتاة جميلة أيضاً بالإضافة إلى خبرتها فى الفنون وإدارة المنزل ، كنت أعتقد أحياناً أنها كانت تفوق ما كان فى خيالى . أول مرة نظرت إليها وقعت فى عشقها ، وسحرتنى لمعة عينيها ، وارتضيت اختيار أمى ، وكان جوابى على سؤالها : كيف الحال ؟ أتعجبك ؟ هو السكوت والابتسام . وسرعان ما تمت ترتيبات عقد القران والزواج . وأبى الذى كان يعلم وضع عملى ، وعد والد زوجتى أنه سيجعلنى أقيم معه ، وترك لى بالفعل الطابق الثانى فى المنزل ، وكان يوماً يشير على بأن أذهب إليه وأعمل معه .

من ناحية أخرى سرعان ما أصبحت صاحب أسرة تتكون من شخصين ، إذن ينبغى أن أستعيد نفسى فى أقرب وقت ، وقضيت فترة فى إحدى ورش النجارة ، لكننى تركتها بعد ذلك . كنت أعتقد أن هذا العمل شاق للغاية بمقارنته إزاء ما أحصل عليه من راتب . لا ريب أن الخطأ لم يكن منى ؛ فطوال حياتى لم أتحمل أية معاناة ، وعليه كانت جميع الأعمال شاقة من وجهة نظرى .

وبعد ذلك قضيت فترة من البطالة حتى قابلت فى أحد الأيام واحداً من أصدقاء المرحلة الإعدادية ، وقد دعانى لتناول الأيس كريم معه ، وحين سمع بأتنى قد تزوجت تعجب بشدة ، وقال :

- أنت اتجوزت ؟ أنا لا أستطيع أن أصدق ما سمعته .

- أيجاد لى عيب ؟

- طبعاً ، لو لم تتزوج أنت بهذه السرعة ، هل أتزوج أنا ؟! فأتتملك المال ، تملك الدار والسيارة ، فماذا تريد بعد ذلك ؟

فابتسمت بسخرية وقلت : أى مال ؟ وأى سيارة ؟ أى دار ؟ الدار التى هى ملك لأبى ؟ السيارة أيضاً ملك له ا منذ أن زوجونى لم يقدم لى ريالاً واحداً ، فهو يعتقد أننى يجب أن أدير حياتى بنفسى ؛ فقال صديقى الذى يدعى سيروس : وماذا تفعل فى الوقت الراهن ؟

- لا شىء ، أتجول فى الشوارع .

- وما عملك إذن ؟

- إننى أبحث عن عمل .

- أى عمل تعرفه ؟

- لا شىء ، ولكن سرعان ما أتعلم .

- ألم تشتك زوجتك ؟

- إنها ما زالت صغيرة ، وفيما يبدو أنها قانعة .

- لكنها فى النهاية زوجتك ، شريكة حياتك ، يبدو أنك بفكرك هذا أصفر منها ! إن خطأك أنك تزوجت مبكراً ، وأنا فى حيرة ، كيف زوجوك من الأصل ؟ إنهم لا يزوجوننا لثرائنا أو لثراء أباؤنا ! سأوجهه

إلى أصدقائنا القدامى لأبحث لك عن عمل ، وأمعنت النظر إليه وسألته :
أى عمل ؟ فقال سيروس : فى الحقيقة فى أحد معارض الملابس الذى
أعمل به بائعاً للأحزمة ودبابيس أربطة العنق ، وعلى حد علمى أن
البعض يحتاجون لمثل هذه الأشياء .

وقلت وأنا فى غاية السعادة لعثورى على مثل هذا العمل : أوافق.
قال سيروس : يجب أن يوافقوا هم عليك ، ويجب عليك أن تبدى جدارة ،
ومن الأفضل أن تعلم أن هذا العمل - على عكس ما يبدو- ليس عملاً
سهلاً. قلت : اطمئن ، سيمكننى القيام به . قال سيروس : حسناً جداً ،
إذن فلتحتفظ برقم تليفوننا وعنواننا ، ودونى العنوان ورقم التليفون
الخاص بالمعرض فى مفكرتى الصغيرة ، وتركت صديقى وأنا فى قمة
السعادة .

الفصل الثالث

فى صباح ذاك اليوم ارتديت أفضل الثياب وسلكت طريقى إلى المعرض ، وألحقتنى صاحب المعرض بالعمل بعد حوار دام قليلاً ، وعملت بائعاً فى هذا المكان ، وكنت أشعر أن هذا العمل سيكون مناسباً لميولى. كنت أجلس منذ الصباح وحتى الغروب خلف منضدة أتصاور مع المشترين، محاولاً إقناعهم بأن هذه البضائع من الأنواع الراقية ، وفى المقابل كنت أحصل على نسبة من كل قطعة أقوم ببيعها ، وكانت الأمور تسير على ما يرام حتى ذلك اليوم الذى رأيت فيه أحد أصدقائى القدامى كان قد جاء إلى المعرض لشراء "بنطلون" ، وسعد كل منا لرؤية الآخر ، وتحادثنا لفترة من الوقت ، وقال وهو يتخيل أن هذا المعرض خاص بى :

— يا للعجب ، إيه العظمة والأبهة دى كلها !

فقلت بابتسامة تملؤها الحسرة : هذا ليس ملكى ، إننى بائع هنا. وحتى أغير الموضوع ، سألته : ما هى طلباتك ؟ أتريد أن أحضر إليك بنطلوناً ؟ وقال لى طلبه ، وأحضرت له البنطلون الذى أعجبه واشتراه ودفع ثمنه ثم تركنى ، ومر أسبوع على لقائنا ثم جاء مرة ثانية لزيارتى ، وهذه المرة لم تكن بنية الشراء ، فقد جاء مع اثنين من أصدقائه حتى نتحدث سوياً ، وقد ظلوا معى ما يقرب من الساعة أو الساعتين ، أثناء ذلك ، وبينما أنا منهمك فى حديثى معهم ، كان صاحب المعرض يقوم بعملية البيع مع المشترين بدلاً منى . ووقت الغروب حينما رغبت فى العودة إلى المنزل ، قال لى سيروس : انظر يا أرسلان ، إن صاحب المعرض مستاء من هؤلاء الصبية الذين التفوا حولك ، إنه يقول إنك كنت

مشغولاً بالحديث معهم طوال فترة الظهيرة ، ولم تهتم بعملك ، يجب أن تعلم أن مثل هذا الزحام بدون داع يمنع الربح .

وقلت في تكبر : ماذا يعنى هذا ؟ أيعنى أن أقول لصديقى امض وأطرده ؟! أحدث هذا عدة مرات ؟! إلى أى حد يكون هذا الرجل ضيق الصدر ؟ إنتى رجل ، لى كرامة ، لى صديق ، لى رفيق .

ووضع سيروس يده فوق كتفى ، وقال : انظر صديقى العزيز ، ليس لك معرفة بالعمل ، أما أنا فأعمل طوال عمرى الذى عشته ، إن لم تعمل بشكل جيد سيطردونك ، لقد بحثت لك عن هذا العمل من باب الإحسان والخير وليس لكى يشتكى منك مدير المعرض بسبب وبدون سبب أمامى ، أجعل هناك حداً بينك وبين الرفقاء ، ولو جاعوا مرة أخرى اعتذر لهم ، إن لك زوجة وحياة ، وأنا لا أرتضى السوء لك !

ولم آخذ كلام سيروس مأخذ الجد ، وفى كل مرة يأتى فيها أصدقائى إلى أستقبلهم بالترحاب ، وذات مرة تبدل حديثنا الهادئ إلى ضحكات صاخبة لفتت أنظار المشتريين إلينا ، ولا أعلم كم مضى من الوقت ولم يوجه لى أحد كلمة ، ولكن فى النهاية استاء صاحب المعرض ولامنى.

لا أنسى ذلك اليوم قط ، فقد وضع بعض المال أمامى ، وقال باحترام : لم نعد بحاجة إلى بائع ؛ لأن ابن أختى سيأتى لمساعدتى . كنت أعلم أنتى إذا ما لجأت إلى سيروس لن تتأتى أية فائدة ؛ لذا تركت المعرض وأنا مستاء .

لا أتذكر جيداً كم ألف مرة لعنت نفسى لأننى أقدمت على الزواج ، زوجتى جيئى لم تبد شكواها قط من وضع عملى المخجل ، لكنها كانت تلومنى بهيئتها . لعلكم تتعجبون لأننى لا أزال أمتلك ضميراً ، ضميراً كان يلومنى عشرين ساعة فى الأربع والعشرين ساعة : لم جعلت هذه

الفتاة المسكينة شريكة لسوء تصرفاتي ؟ شريكة لأيام الشدة التي قلما تتحملها فتاة ، حتى وإن كان هناك حب وعشق ، لكن جيّتي كانت تتحمل ولم تُبدِ شكواها ، وهذا ما كان يعذبني .

لقد كنت عاطلاً، وكان والدي غاضباً دوماً بسببي ، ولم يعلم بموضوع طردى من العمل ولو لم تكن أُمى لعانيت الجوع ، وكنت سعيداً لأن أُمى كانت تحضر لى الفاكهة والحبوب واللحوم والطيور بدون علم والدي ، لكن جيّتي لم تكن سعيدة بذلك الوضع . إنها كانت من أسرة أصيلة ومرفهة ، لم تكن تستطيع رؤية المساس بعزة نفسها، دوماً كانت تقول : لم نعيش على صدقة الأم ؟ لكننى لم أكن أميل لتصديق هذه الحقيقة . كنت أقنع نفسى بأنهما أبى وأُمى ، وأنا ابنهما ؛ لذا فإن تقديم الشكر لهما لم يكن من الضرورى أو من الواجب .

ومضت فترة ، وريداً رويداً بدأ صوت جيّتي يعلو ، وبدأت فى نصيحى ، ولكن قد غُصت أذناى بهذه النصائح ؛ لذا كنت أستمع لحديثها دوماً دون اهتمام . إنها كانت تتحدث عن اضطراب حياتنا ، وكانت ترفض أن يتكفل والدي بنفقاتنا ؛ لأننى أنا زوجها ، وينبغى أن أتحمل مسئولية حياتنا الزوجية ، ولهذا السبب كانت مستاءة ، لكنها كانت دوماً تحدث نفسها وتنصت إلى نفسها ، وكأنها لم توجه إلى هذا الحديث . لقد أحببتها ، لكننى كنت أشعر بأن لا طاقة لى على لومها هذا .

كنت أعلم جيداً أنها لم تتقوه بشيء قط لوالدتها عن وضع حياتنا ، حتى إننى سمعت والدتها ذات يوم من نافذة حجرتى وهى تقول لها : إننى خسيّتى كده ليه ؟ وأجابت جيّتى : لا يا أُمى إننى مش وأخدة بالك كويس ، بالعكس أنا تخنت أوى ، جايز لون لبسى هو اللى خلاك تتخيلى كده .

لكن الحقيقة لم تكن كذلك . الحقيقة هي أن جيتى بدأت فعلاً فى الضعف والذبول ، هذا فى حين أنه لم يمض على زواجنا أكثر من عام ونصف . وعلى أية حال فعندما رأيت أن الحديث معى بلا فائدة ، اختارت السكوت، ومنذ ذلك الحين اعتري حياتنا الفتور والصمت . لقد كنت أمكث فى المنزل من الصباح حتى الغروب ، ولم تكن أُمى تضمن على بمساعدتها، سواء بالأموال أو باحتياجاتنا اليومية ، ولا ريب أنه بعد مضى فترة من الوقت انقطعت تلك المساعدات .

لن ينمحي هذا اليوم من ذاكرتى ، فقد تشاجر أبى مع والدتى شجاراً شديداً، وسمعت أُمى وهى تقول : يعنى يا أيوب أفندى أقعد وأشوفهم ييموتوا من شدة الجوع ؟ هو أنت قلبك حجر؟ ده ابنك مش غريب !

وأجاب والدى فى عصبية : إلى جهنم إن مات من الجوع، فمن الأولى به إنه يدور على شغل علشان بطنه ، شوقى إزاي ميل حظ بنت الناس ؟! بيعمل إيه فى البيت من الصبح لحد المغرب ؟ حرام تكون الصبية دى زوجة لواحد عديم الحمية والكرامة !

لقد فار دُمى ، ولكننى مكثت فى مكانى ولم أتحرك .

وعلى أية حال فمنذ ذلك الحين كان والدى يراقب أُمى بشدة كى يمنعها عن مساعدتنا ، وعندما كنت أرى هذه الأوضاع كنت أخلق الأسباب عن عمد للشجار مع زوجتى ، وتسببت فى ذهابها إلى بيت والدها، كنت أشعر أنتى ربما أتمكن من توفير الطعام لها ، ولكن لم يكن الحال كذلك ؛ فبعد رحيلها كنت أعتقد أن الأوضاع سوف تكون أفضل من ذى قبل ، ولكن للأسف لقد دمرت حياتى بيدي.

وزوجتى التى كانت قد تأذت بشدة بسببى ، تحدثت عن حقيقة حياتنا المريرة بعد إلحاح أسرتها ، وذات ليلة من ليالى الخريف الباردة ،

حيث كنت مستغرقاً في أفكارى ، استرعاني صوت جرس باب المنزل،
ففتحت الباب دون أن أستفسر عمن يوجد خلفه ، ونظرت بعد ذلك من
شرقة النافذة، فكان والد جيتى .

كنت أتوقع أى شخص دونه ، ارتبكت بشدة ، وأغلقت عيني، ووقفت
أمام الباب منتظراً ، ولكنى انتظرت قليلاً إلا أنه لم يصعد ، ففتحت
الباب وسمعت سلام أبى له ثم دخوله معه إلى المنزل مرحباً به ، وجلست
على حافة السلم ، وكنت أعبث بيدي في شعري ، وتملكنى القلق ،
ولم أكن أعلم ما الذى ينبغى أن أقوم به ، هل أنزل لأجلس مع والد
زوجتى أو أظل مكاني في الطابق العلوى ؟! وكان صوت حديثهما يصل
إلى وأنا في طريقى إلى السلم ، لكنه لم يكن مفسراً بشكل واضح ،
فهبطت عدة درجات من السلم كي أتمكن من سماع حديثهما بشكل
أوضح ، وكان أبى يتحدث إليه بصوت هادئ قائلاً : سيد صداقت ، إنه
لمن العجب أن تزورنا ؟

فأجاب والد جيتى بصوت حاد : العجب منا يا سى وفائى ؟!
حقيقى يا أخى ورد على ابنك ! ده تصرف الأصحاب ؟! بنتى أنا ، بنتى
اللى تشبه الوردة ، تخرج من البيت غضبانة ؟ تعرف بقت إزاي ؟ أيجوز
هذا ! كل ما أشوفها ألوم نفسى وأقول أنا ليه سمعت كلامك ، وسلمت
بنتى الغالية بأيدي لسوء الحظ والتعاسة لثقتى فيك ؟! وقلت لك يا حاج
ابنك لسه طفل . قلت إن كانا طفلين فمن الأفضل أن يكونا بجوار
بعضهما ، قلت لك يا حاج إن ابنك لا عمل له ولا رزق ، قلت لى اطمئن
هسكنه عندي ! وبعدين إيه اللى حصل؟! دلوقتى فات يجى سنتين من
يوم ما أرسلان خد بنتنا لبيته ! مش مفروض نعرف نسيينا بيشتغل إيه!
قسماً بالشيخ والرسول إن بنتى مش هتموت من الجوع فى بيتى ؟!
علشان خاطرك أنا جوزتها لابنك ، وقلت قسماً بالبيت إن الولد ده
أكل طعامه من مائدة الحاج أيوب خان وفائى ! دلوقتى سايب بنتى من

ست شهور ومشى وما تصلش بها ولو مرة واحدة بالتليفون . لو مش عايز بنتى يطلقها ، ولو عايزها يروح يدور على عمل ، ويتحمل مسئولية حياته، ما تزعلش الذنب ذنبك أنت يا صاح ، إنت كنت بتديه الفلوس من أول يوم لجوازه وما سبتوش يسعى ، واهو اتعود على كده.

كان حديث والد زوجتى يدق على رأسى وكأنه مطرقة، ولم أكن قد رأيت حتى ذلك اليوم والدى يقف أمام أحد مثل هذا الموقف ، ولكنى لم أسمع جواباً من أبى فى تلك الليلة ، وفى المقابل سمعت صوت أمى وكأنها تعتذر قائلة : يا سى صداقت ، اتفضل اشرب وما تزعاش كده ، دول لسه صغيرين ، لسه ما شقوش طريقهم ، لازم نديهم فرصة ، قسماً بالله أنا . بيت أرسلان ، ده ولد طيب ، لكنه مشاكس ، شردة ، بالله عليك متتحمس من ، نهضت ، ده حرام ! يجب علينا نرتب لهم حياتهم ، وجيتى زى بنتى وأنا بحبها، وبوماً أتحدث معها .

أثناء ذلك سمعت صوت أبى يتحدث فى عصبية قائلاً لها : روى اندهى أرسلان خليه ييجى . قالت أمى : لكن ... وأعاد أبى عليها الحديث قائلاً : قلت لك خليه ينزل وإلا حضطر أروح له بنفسى ، الولد ده لازم يعرف إيه اللى عليه من أعباء فى حياته ، وأنا لا أستطيع أن أتعهد له بذلك .

ولم تكن لقدمى القدرة على صعود السلم ، وكأنتى قد تسمرت مكانى ، وصعدت أمى درجات السلم ، وحينما وصلت إلى درأتنى ، نظرت إلى نظرة يملؤها الحزن ، ثم قالت : سمعت أبوك قال إيه ؟ فنهضت من مكانى بسرعة ونزلت السلم .

أستطيع أن أقول بمنتهى الجرأة إننى لم أر شيئاً حولى سوى عيني أبى التى كانت تشبه كأس الدم ، بلغت ريقى بصعوبة ، فى حين أننى كنت أحاول أن أكون متماسكاً ، ووجهت حديثى إلى والد جيتى قائلاً : السلام عليكم !

ورد والد جيتى السلام على وهو غاضب عابس الوجه ودون أن ينظر إلى ، وقالت أمى بهدوء : اجلس : فجلست وأنا أسعى أن أكون بعيداً عن أبى وبالقرب من الباب ، ونظرت إليه بطرف عيني فرأيت أنه يرصد حركتى ، فمع أنه قد بلغ من السن أرذله إلا أنتى لا أزال أخشاه ، أخشى شواربه الكثيفة التى ترتسم إلى أعلى .

وعم الصمت الجميع ، لكنه انكسر بترحاب أمى بوالد جيتى ، ولم أكن أستطيع تخمين ما الذى سيقوله أبى ، لذا كنت قلقاً . وفى النهاية ، حينما عزم أبى على الحديث ، كان صوته يرتعد من حرقه الغضب قائلاً : كائنك لا تعلم أن زوجتك قد رحلت ! إنت يا ولد ، إمتى هتبقى راجل ؟ وأصلاً إنت ناوى على إيه بالنسبة لمستقبلك ؟

والتزمت الصمت ، بينما كانت عيناي تزوغ على الورود التى تزدان بها السجادة .

- تصدق يا سيد صداقت إن عذابى من الثلاث بنات أقل بكثير من عذابى مع هذا الولد ، أنا هموت كمداً منه .

قال والد جيتى : أنا ماشى وعايذ أعرف إيه اللى قررتوه للمستقبل ؟

قال والدى : أى قرار يجب أن يكون ؟ هيجى ويبوس إيدك ويرجع مراته ، وبعد كده هيدور على عمل كويس ومريح .

فقال والد جيتى : أنا مش هصدق الكلام ده طالما ما سمعتوش من لسان أرسالن نفسه : فنظر أبى إلى وقال فى غضب : اتكلم !

وحاولت أن أتحدث ، ولكن لم أستطع ، ومرت لحظات من الصمت حتى نهض والد جيتى ، وقال : كويس أوى ، كده الأمور اتضحت .

وصاح أبى ثانية فى : اتكلم يا ولد !

ولم أستطع حتى أن أرفع رأسي ، ونظرت أُمي إلى وقالت :
السكوت علامة الرضا ! وحيثُذ قلت عنان لسانى وقلت : أنا ... أنا
مقدرش أتحمل مسئولية حياة واندesh الجميع ، أبى وأُمي ووالد
زوجتى وهم ينظرون إلى واستفدت من صمتهم ، ولأول مرة فى حياتى
أعارض كلام أبى :

- لا ، أنا مش هقدر ، ربما بعد عدة أعوام ! فليس لدى من العمر
سوى ثلاثة وعشرين عاماً ، يا سيد صداقت أنا مش هقدر أسعد بنتك ،
يعنى أنا منفعش أكون زوجاً لها ، لازم الأول ألقى نفسى ، وهى لسه
شابة ، ممكن تتجوز تانى ! فقالت أُمي فى صوت يرتعد : أرسلان ...

وكان والدى مثل البنجر الأحمر يشتاط غضباً ، والسيد صداقت
ينظر إلى مندهشاً ، وقد قلت هذه الجمل وأنا متماسك إلى حد ما ،
ولا أزال حين أتذكرها الآن يقشعر بدنى ، وهجم السيد صداقت على
كالأسد المزمجر ، وأمسك بياقة قميصى ، ولم أكن أنتظر منه وهو فى
هذه السن أن يكون بمثل هذه القوة ، فقد سقط زرارين من قميصى على
أثر شدة اللياقة ، وكنت أشعر جيداً بأنفاسه ، ثم قال غاضباً : إنت ..
إنت بتقول ده دلوقتى ! دلوقتى ؟ دلوقتى بتلعب بكرامة أسرتى ؟ وتقول
فى منتهى الهدوء تتجوز بنتى تانى ؟ وتسبب فى جبينها وصمة عار
الطلاق ؟

وتقدم أبى ناحية السيد صداقت ، ووضع يديه بلطف على ساعده
فتركنى بمجرد رؤيته لوالدى ، ودفع يد أبى ، ومضى تجاه الباب ، وسار
أبى وأُمي وراءه ، وبقيت أنا فى مكانى ، وسمعتة وهو يقول لوالدى : أنا
الى عملت كده بنفسى ، اللعنة على ، ربنا ياخذنى .

الفصل الرابع

لا أزال أشعر حتى اليوم بآثار صفعه والذى ، فقد صفعنى بكل قوته ، وقد سبب صوتها العالى وقتئذ بإصابة أذنى بصفير مزعج .

وكنـت أـستـحق أكثر من هذا بسبب كسر قلب فتاة عفيفة بريئة ، لقد كانت الحياة بالنسبة لى آنذاك كلعبة ، وكنـت أرى أن الزوجة والزواج يعدان مانعاً لاستمتاعى بهذه اللعبة ، كنـت أريد أن أتحرر من شر هذا القيد.

لم أعد إلى البيت لمدة أسبوعين بعد انفصالى عن جيتى ، كنـت أعلم أن والدى سوف يطردنى ، فقمـت بتأجير غرفة فى أحد الفنادق ، وكنـت أحدث أـمى عبر الهاتف ، وكانت هى أيضاً فى حال بكاء دوماً .

وكل صديق لجأت إليه لم يقدم لى يد العون . نفس الأصدقاء الذين كانوا يحومون حولى فى يوم من الأيام كالفراش جميعهم نبذونى.

وكانت الوحدة فرصة لى كى أفكر جيداً ، ولكن دون جدوى ؛ لأننى كنـت أهرب من التفكير ، وكان عيـبى أننى كنـت أفكر فقط فى المستقبل، غافلاً عن أن المستقبل الذى أمامى مستقبل مظلـم مملوء بالأوهام !

لم أكن أعلم أن الغد والمستقبل الجميل يرتبطان بالأمس ، وعلى أية حال فقد قضيت فترة فى الوحدة ، حتى ذلك اليوم الذى ذهبت فيه لتقبيل يد أبى بناءً على إلحاح أـمى . لقد كنـت معتمداً على مساعدته ، وكان يقدم لى العون دوماً . و الآن مع ما يشعر به من الاستياء بسببى ، إلا أنه لم يـضن بمساعدتى .

فى البداية لم يصفح والدى عنى ، لكنه هداً من غضبه تحت إلحاح أمى ورجائى المتتالى ، وحينئذ أمسك بساعدى وقام وقال لى بصوت رصين: خليك راجل وخذ درس من كل مشكلة ، ارفع رأسك ، متخليش إحساس الضعف يتغلب عليك ، إن دمنى فى عروقك ، أنت وفائى ، وكل وفائى ما يخافش زيك أبداً ، خليك شهم ، وعوض ما فاتك ، أنا عايز خلف لى مش ابن أمه ! روح دلوقتى ، روح وفكر كويس ، ولما تفكر وتوصل لنتيجة تعال إلى المحل فوراً .

وبعد فترة ، وعندما كنت أتناول الطعام من يد أمى ، وكما قال والدى استغرقت فى التفكير ، وقلت لنفسى : دلوقتى إنت عندك أربع وعشرين سنة ، أيها التعس ، إيه اللى فكرت فيه علشان المستقبل ؟ إلام تستمر فى هذا الجنان ؟ وبنت الناس اللى تعستها ، على الأقل متخليش نفسك أسوأ حظاً منها ، لعلك أصم أو أخرس ؟ لعلك أكتع أو أعرج ؟ ! قسماً بالله لو كان لى ولد زيك ، لكنت سيبته يموت من الجوع ، لكن أباك استضافك مرة أخرى ، وسامحك ، ومع ذلك لم ترحم شيبته ، وخليته يعادى أفضل أصدقائه ؟ ! لحد إمتى ؟ ! لحد إمتى هتفضل عالة ؟ دائماً يشرب ابن صانع الفخار من كاس مكسور ، إن والدك تاجر كبير للبسط ، فى حين إنك عمال تدور على عمل من باب لباب .

وظللت فترة أتحاور مع نفسى ، حتى اتخذت قرارى واتجهت إلى متجر أبى ، وسعد أبى لرؤيتى ، وفهمت ذلك من عينيه ، بيد أنه كان متمالكا لمشاعره ، وقال فى حدة : أخيراً اتخذت قرارك ؟ يجب أن أقول إنك لم تؤذنى ، ولكن من اليوم لا يوجد فرق قط بينك وبين الصبي كريم . يجب أن تتقدم إلى الأمام بسعيك وجدك ، وأنا هاساعدك ، لو عايز فلوس لازم تشتغل ، وتتعلم الحرفة بعقل ووعى ، ولو كان عندك أى مشكلة ، فلتسألنى أنا أو كريم ، وسوف يعلمك كريم كيفية معرفة أنواع البسط

لم أكن أتوقع على الإطلاق أن يحدثنى أبى بمثل هذا الحديث أمام صبيه ، فأنا ابنه ، ابنه الوحيد ، وأستأث قليلاً ، ولكننى قلت لنفسى : أنت جيت برجليك ، ودلوقتى عايز تمشى !؟

ومنعنى كبريائى من الرحيل ، وانهمكت فى العمل عند والدى ، وكان كريم ولداً طيباً ، كان يراعى يوماً احترامى ، ودوماً ما كان ينادينى باسم السيد وقائى الصغير ، وسرعان ما اندمجت فى عملى ، وطبقاً للمقولة الشهيرة "تعلمت الصنعة" ، وكان والدى سعيداً من تقدمى هذا ، لكنه لم يبد لى ذلك نظراً لجديته فى العمل ، ربما أنه لم يصدق ، فإن يصدر هذا الأمر منى كان فقط فى الخيال ، كم هو مضحك جداً ، أن أعمل فى مهنة كنت أهرب منها من قبل .

وبعد مضى شهرين ، جاءت أمى إلى حجرتى ذات يوم ، وكنت أمدد على السرير ، وعينائى على سقف الحجرة ، وفى الواقع كنت أشعر بالكسل بعض الشيء .

وجالست أمى على حافة السرير ، وقالت لى بحنان : ولدى ، أنت راضى عن عملك ؟ ولما رأأت سكوتى ، استمرت فى حديثها قائلة : الحاج راضى عنك جداً .

سألتها : قال لك بنفسه ؟ أجابتنى أمى : لا ! استنتجت ده من كلامه ؛ فقلت فى استياء : ده حتى ما شكرنيش على أى عمل عملته ، ولا حتى شجعنى ، وبيتعامل معا زى ما بيتعامل مع الصبية فى متجره .

وسحبت أمى يدها على شعرى ، وقالت فى لطف : مفيش فى قلبه حاجة ناحيتك ، إنت ابنه الوحيد وهو عايز مصلحتك ، عايز تكون راجل بمعنى الكلمة ، اجلس فى أحد الأيام واسترجع ذكرياته علشان تشوف هو وصل لكده إزاي ، هو عايزك تعرف قيمة الفلوس ، ويجب عليك إنك تفتخر به .

قلت متبرماً : إنت جييتى لتدافعى عن الحاج ؟ وابتسمت الأم ،
وقالت : لا يابنى ، أنا جيت علشان أكلمك فى حاجة تانية ، إنت دلوقتى
بتشتغل وبتكسب ومش من العدل إنك ترجع البيت ومتلاقيش اللى
يستناك، وجيتى كانت بنت طيبة ، فلو عايز أروح وأتكلم ويا أبوها ،
صدقنى يا بنى إن مكانها فى البيت ده خالى ، روح ، وهاتها، وارجع
بها ، أنا عارفة إنك بتحبها، لكنك دلوقتى زعلان.

وفى الواقع لم أرغب فى أن أفكر فى جييتى ؛ فالتفكير فيها
يصيبنى بالاستياء ، وهذا دليل على أننى ما زلت أحتفظ بقدر من
الضمير . فجلست على حافة السرير ، وصببت كوباً من الماء لأشرب ،
وكانت يداى ترتعدان ، وهذا ما كان يلفت نظر أمى جيداً . واتجهت إلى
النافذة كي أهرب من نظراتها ، فجاءت أمى بالقرب منى ، وقالت
مبتسمة : بتخبي مشاعرك عني أنا كمان ؟! فوضعت كوب الماء على
المائدة بعصبية ، وقلت: لم لا تتركينى لحالى ؟ ليه بتفهمى كلامى بصورة
معكوسة ؟ أمى إننى لا أزال نصف رجل ، أنا مقدرش بالفعل أسعد أى
واحدة ، أنا ماكنتش موافق على فكرة الزواج من الأول ، لكنكم ربطونى
به ، وأنا ما قبلش الحياة دى لزوجتى ؛ فالحياة اللى تخلو من السفر
لمدة شهر كل سنة ما تكونش حياة .

قالت الأم : إيه الكلام ده ؟ هو احنا ماعيشناش ؟

قلت بعصبية أشد من ذى قبل : أنا مش عايز أكون زيك ، مش
عايز أتعس تلتين عمرى على أمل إننى أستريح فى أواخر العمر ، شوفى
الحاج ، إيه اللى تعرفيه عن حياته ؟ ! دلوقتى لسه ماكملش الخامسة
والستين ، وإيده بترتعش ! ولما تكون الحياة كارثة كده ، إزاي أخلى
شخص تانى شريك لى فيها ؟! أمى أنا مش عايز مراتى تكون زى أمى
أو زيك .أنا عايز لما أدخلها حياتى أوفر لها كل شىء ، مش الحسرة .

ولم أستطع الاستمرار فى الحديث ، فسألتنى أمى وهى حزينة :
طب وجيتى؟ فقلت لها فى صوت حزين : هى مبهتشة مراتى ، ربما تكون
فى حال أفضل ، هى دلوقتى تقدر تعيش حياتها ، هى لسه شابة.

وأمى التى كانت تأمل بشدة فى عودتنا ، ظلت تنتظر إلى لفترة وهى
يائسة غير مصدقة ، ثم قالت بصوت غاضب : لو لم يكن لك قلب فلتعتزل
فى كوخ ، امشى ورا قلبك يا بنى !

وبحديثها هذا أشعلت أمى النار فى روحى . لقد مضيت وراء قلبى،
لكنه لم يكن معى، ولم أكن أنا كذلك معه ، وكان ذلك العهد الذى علمت
فيه أننى من مريدى الحياة المرفهة ! لا أعلم أكان ذلك من أجل المال ؟
أم لأن سلسلة مشكلاتى مع المال قد بدأت ؟ ولا ريب أن هذا كله كان من
وجهة نظرى ، وعلى أية حال كنت أعتقد أنه ينبغى على أن أسعى فقط
وأعمل ، وأجمع الأموال ، ولم يكن هذا بهدف السفر أو لشراء الملابس ،
بل كان بهدف تحقيق أمنيته فى يوم ما . كنت أرى سعادتى فى جمع
ثروة طائلة ، ولكى أتمكن عنى الوسواس ، لم أكن أحتفظ بالمال لدى ، بل
طلبت من أبى أن يحفظه لى .

كنت أقبل أصعب الأعمال على أمل الحصول على مال أكثر ، ولم
أكن أشتكى . ومن جهة أخرى كان وجودى بجوار أبى لمساعدته مما زاد
من مكسبى ، وبعد مضى أربعة أعوام على عملى معه ، تمكنا من
تصدير منتجاتنا إلى الدول الأخرى ، وكنت أنا مندوباً للصادرات ، ومنذ
ذلك الحين بدأت أسفارى إلى : لندن وروما وباريس وبرلين وميونخ
وأثينا، وقد حالفنى التوفيق خلال هذه الأسفار ، وتمكنت من تقوية لغتى،
ولم يمض زمان طويل حتى أجدت الإنجليزية والفرنسية - عجباً على
المال الساحر الخادع - فأنا الآن النموذج الأمثل للعائلة، وكنت الزهرة
التى تعلو سلة الحديث ، وكنت أعلم أننى إذا ما تقدمت لخطبة أية فتاة

من عائلة لن يرد طلبى ، لكننى لم أكن أرغب فى ذلك رغم بلوغى الثامنة والعشرين . الجميع يقولون : إن المال لا يجلب السعادة ، ولا ريب أننى لم أكن أشعر بالسعادة، لكن الآخرين كانوا يعتقدون أننى سعيد ، لكننى فهمت على الأقل أن المال يؤدى إلى احترام الآخرين لك أكثر ، وينظرون إليك بشكل آخر ويقولون إنك رجل مقتدر ذو هيبة ويهتمون بالحديث معك .

وهذا ما كان يوضح إلى أى حد يعبد البشر حولى الماديات والمال، وهؤلاء الذين كانوا على استعداد لتزويج بناتهم لأى شخص سوى، الآن يتهامسون برغبتهم فى مصاهرتى ، ومع أننى كنت أتعامل معهم باحترام ، لكننى كنت أهزأ منهم جميعاً فى داخلى . كنت أشعر أنهم يطمعون فى ثروتى أكثر من رغبتهم فى ، لقد صرت فى الحقيقة مثل الإنسان الآلى ؛ حيث أقضى النهار كله فى العمل ثم أذهب إلى الفراش ليلاً متعباً مجهداً ، ولم أكن أعلم كيف أستغرق فى النوم ، كنت أتخيل بعض الأشياء حتى تصل بى التنهيدة إلى خط النهاية .

الفصل الخامس

أبى الذى استقر على ملامحه غبار الكهولة ، ولم يتبق ثمانية من رمق فى بدنه، عهد إلى بإدارة كافة أعماله ، وأحياناً ما كان يأتى إلى المتجر إلا - كما يقال - لكى يعدل علينا ، وعلى الرغم من أنه كان مطمئناً من أننى أجتهد فى العمل ، لكنه كان دوماً يطالب كريم بمساعدتى ، وانقضى عامان على هذا النحو ، وتبدلت برجل بلغ الثلاثين من عمره . كنت أعلم أننى مستقر من الناحية المادية ، لكننى كنت كالطائر المنكس الرأس، كطائر يتأذى فى القفص من ضيقه وصغره .

أتذكر أننى قلت فى خريف نفس العام لأبى : أريد أن أسافر ، ولا أستطيع أن أصف إلى أى مدى تأثر من سماعه مثل هذا القرار ، وجعل ينظر إلى فترة فى اندهاش ، ثم قال : اتجننت يا ولد ؟ ولا اتخبط فى نفوذك ؟

ربما كان الحق مع أبى ، وكنت أنا مجنوناً ؛ فالمجنون فقط هو الذى لا يعرف ماذا يريد من حياته ، وكان يبدو أن حتى مرور الزمان لم يحكنى ، والآن أنا ماهر فى عملى ، وكان أبى يعلم هذا جيداً ، لكننى كنت مستاءً ، كان يبدو أن الحياة بالنسبة لى كحصار يزداد ضيقه بمرور الوقت، كان قلبى يهفو إلى التحليق والسياحة فى العالم ، كنت أريد أن أعرف ما يدور بين الناس فى أنحاء الدنيا ، أو كما يقال أى لون لسماء تلك البقاع.

وعلى أية حال بعدما وجدنى أبى مصراً على رأى ، جلس للنقاش معى لأننى بعدما عزمتم على هذا الرأى ، لم أذهب ثانية إلى المتجر .

وفى تلك الليلة التى دخل على فيها حجرتى ، كنت مستلقياً على المقعد الهزاز الخاص بى فى التراس ، وكان لا يزال بالنسبة لى مظهرًا للقوة، وفى جو نصف مظلم ، وعلى الرغم من شيخوخته وعجزه ، إلا أنه كان أمامى عريض المنكبين فارع الطول، رغم أن مرور الزمان قد بدل شعره الشببيه بالليل إلى قطعة من القطن. ونهضت من مكانى وألقيت عليه السلام، ورد على السلام فى هدوء ، ووقف بالقرب منى ، وأردت أن أضغط على مفتاح الكهرباء، لكنه منعنى ، وقال : كده كويس ، وكان ضوء القمر يضىء حجرتى ، لكننا لم نتمكن من رؤية بعضنا البعض فى وضوح. لعل والدى كان يرغب بالفعل فى أن تكون الإضاءة خافتة فى الحجرة، ودعوته للجلوس، فجلس على حافة السرير، وكانت رياح الخريف الباردة تداعب شعر كل منا، ولكن كان يبدو أن أيا منا لم يلتفت إلى برودتها .

يجب أن أعترف بأننى لم أر والدى على هذا النحو فى أى وقت قط، وكنت أشعر للمرة الأولى أننا نجلس معاً مثل صديقين أو رفيقين .

وكان أبى ينظر حوله بدقة ، وكأنه يرى حجرتى لأول مرة ، وكان ينظر إلى الأشياء فى الظلام ، ومضت فترة بيننا فى صمت ، حتى انكسر هذا الصمت بحديث أبى : كم يوم ماجتش فيها المحل ؟

فقلت فى هدوء وحذر : أنا مش هاجى المحل تانى.

وكنت أتوقع أنه سيسحقنى بصوت صياحه ، لكن على عكس ما توقعت ، قال فى هدوء : ليه ؟ حصلت حاجة ضايقتك ؟ أو جايز مش راضى عن أجرك؟

وطأطأت برأسى ، ثم قلت : لا يا أبى ، ولا حاجة، أنا ... أنا ما بفكرش أستمر فى الشغل ده.

قال والدى : إزاي ؟ إزاي تاخد القرار ده ؟ أنا سيبتك كام يوم مع نفسك وقلت جايز ترجع ، لكن...

فقلت فى تأن وإصرار: أنا خدت قرارى ، ده مش قرار أنا خدته فى لحظة ، أنا بفكر فيه من فترة .

فقال والدى بشيء من العتاب : أرسلان ، إنت تعرف إنى فقدت كل ما كان لى من قوة ، وأكون سعيداً لو بقيت عصا شيخوختى ، إنت دلوقتى أحسن ، وعارف الأمور أكثر منى ... فى الحقيقة إن العجلة بتدور فى المحل ده بفضلك إنت .

قلت : أسف يا أبى ، أنا هاخد التأشيرة وهسيب إيران ؛ فسألنى: هتروح فىن ؟ فنظرت إلى القمر، وقلت : إلى إنجلترا .

- هتعمل إيه ؟

- مش عارف يا أبى ، مقررتش لحد دلوقتى ، جايز أخلينى هناك على طول وجايز أرجع ، كل اللى أعرفه إنى لازم أرحل .

-إنت ما تعرفش أمك بكت أد إيه الأيام دى ؟ إنت عارف إن زينب تعبت كتير علشانك زى أى أم حقيقية .

- أيوة عارف ، لكنى مقدرش أصرف نظر عن قرارى ، وقدمائى ليست لديها القدرة على البقاء .

وشعرت أن صوت أبى كان يرتعد ويغلب عليه بغض الغضب :
يا ولدى إيه عايز تسافر ؟ إنت دلوقتى تاجر ، وثرى ، إيه اللى تعبك ؟
عايز تتجوز ولا بتاخد فلوس شوية ؟

فأجبت : لا يا أبى ، مفيش حاجة من دى ، إيه بتعاملنى زى الأطفال ؟ أوعدك إنى هاجى أشوفكم ، وأرجو إنكم تفتكرونى بالخير.

ونهض أبى من مكانه يائساً ، ومضى تجاه الباب ، وكانت هذه هى أول مرة لم تتم فيها بيننا مشادة كلامية ، وناديت عليه وهو أمام الباب ، وحينما عاد إلى ، قلت له : أنا سعيد جداً يا أبى إننا اتكلمنا مرة واحدة مع بعض زى أى اتتين أصحاب .

ونظر إلى أبى دون أن يتفوه بكلمة ، ولم أتمكن فى الظلام من أن أرى ما يبدو على وجهه ، فلم أكن فى مثل موقفه كى أعلم أى حال يكون عليها الأب الذى يفقد ابنه الوحيد ! إننى لم أكن فى موقف أى شخص قط سوى نفسى وما لديها من آمال كبيرة .

ووقت الرحيل قال أبى : أنا مقدرش أمنعك ، إنت دلوقتى عندك ثلاثين سنة، وتعرف الفرق بين الصبح والغلط ، علشان كده إنت مش محتاج نصيحة . وزى ما أنت طلبت أنا شيلتك فلوسك ، وهى مبلغ كبير. علاوة على كده أنا بهديك مبلغ على سبيل الشكر ،إنت أربحت تجارتى والمبلغ ده من حقك ، وعليك فقط إنك تخلى بالك إن القلوب اللي كسبتها بهذه المشقة ما تفقدهاش بسهولة . الغربة لا تقى لشخص ، خليك حارس على نفسك !

وشعرت بالدموع فى عينيه ، لكنه كان رجلاً بالقدر الذى لم يسمح لدموعه أن تفضحه ، ولم أكن أنا نفسى فى حال أفضل منه ، فمهما كان هما أسرتى ، وكانت زينت تذرِف الدموع ، وتتنظر إلى فى توسل ، إنها لا تزال تعتقد أنها قصرت فى حقى ، ولكن أياً ما كان الحال فقد انتهى كل شىء، فسأنا مسافر الآن، وكنت أتحديث بصدق عن تركى للوطن بحقيبة مملوءة بالأموال التى هى من نتاج كدى .

وعندما حلقت الطائرة لم أتمكن ثانية من السيطرة على انهمار دموعى ، كنت أشعر بأننى ألوم نفسى ، كنت أتحاور معها حتى أتمكن بهذه الصورة من أن أخفف من حمل أخطائى .

لا أعلم ، لعلنى كنت أريد أن أرحل بين أناس مختلفين ، لا أعرفهم ولا يعرفوننى ، ففى تلك الحالة لا يكون هناك شخص يعلم ما لدى من ماضٍ ، وهذا ما أَرْضَى غرورى . كنت أشعر هناك بأننى إنسان ، وقلما ما كان يعترينى أى إحساس بعدم الرضا .

من وجهة نظرى أن مشكلتى هى ما لدى من ضمير ، فلم أكن إنساناً بلا ضمير ، لكننى كنت جباناً ، حين جعلنى أفكر فى القيام بأى عمل كى أهرب به من نفسى .

وبعد مرور ثلاثة أيام ، هبطت طائرتنا فى مطار لندن ، وكان الجو فى لندن ملبداً بالغيوم ، وكان الناس يسировون وكأن كلاً منهم لا يرى الآخر . كنت مندهشاً من عادات وتقاليد هذه الدولة الأجنبية . كنت أخطو خطواتى وأنا أعتقد أن لندن ستكون موضع إعجابى ، ومشيت حتى استقلت التاكسى ، وبقدر ما كنت أعلم من اللغة ، أعطيت السائق عنوان الفندق الذى كنت قد حجزت فيه من قبل ، وفتح لى السائق الباب بأدب جم ، وعلمت أن الفندق يقع فى أرقى المناطق بلندن ، وحينما وصلت إلى الفندق دفعت أجرة السائق والبقيش ، ونزلت من التاكسى ، وتقدم خادمان يتسمان بقوة البنية لحمل حقائبى .

والفندق الذى نزلت فيه كان فاخراً جميلاً ، وتقدم مدير الفندق لتحيّتى ، وتحدث معى قليلاً بوجهه البسام ، ثم جاء معى ليرشدنى ، فى حين كان الخادمان يتقدمانى إلى الحجرة يحملان حقائبى وأمتعتى .

كنت أشعر أننى جئت إلى مدينة أحلامى ؛ لذا كنت فى قمة السعادة ، وحينما سألتنى مدير الفندق : إلام تطول إقامتى ؟ قلت : ليس معلوماً ، فليس لدى برنامج محدد ، تخيلت أننى سأفكر فى ذلك بعد تناولى قسطاً من الراحة . ولا شك أن هذا لا يمثل لهم شيئاً ، فكانوا يرونى فى أبهى صورة ، وكان جيبي مملوءاً بالمال ، إذن فلن تفرق معهم مدة إقامتى ، وكلما كانت أطول كلما كان أفضل .

كنت متعبا للغاية لدرجة أنني استغرقت في النوم على الكنب فور خروجي من الحمام وأنا أرتدى المنشقة . لا أعلم جيداً كم من الوقت استغرقت في النوم حتى فتحت عيني على أثر صوت دقات خفيفة ، وتذكرت وقتها أين أكون .

ومضيت نحو الباب وفتحته ، ورأيت العاملة أمام الباب ، وقالت لي مبتسمة إنها جاءت لتغيير الملاءات ، ونظرت حينها على ساعتى فوجدت أنني نمت ما يقرب من إحدى عشرة ساعة ، فارتديت ملابسى بسرعة ثم دعوتها لدخول الحجرة ، وأثناء تصفيف شعري سألتها : من الأفضل أن أذهب إلى أى سينما لشغل الوقت ؟ فأجابتنى بوجه بشوش : أستطيع أن أستفسر لك تليفونيا عن برامج السينما؛ فقلت : فى حالة ما أحببت هل أستطيع الذهاب إلى الأوبرا ؟ فقالت : سوف تقام الليلة واحدة من أجمل عروض الأوبرا .

وبناءً على نصيحتها ذهبت إلى الأوبرا ، لكننى أعترف أنني لم أفهم شيئاً منها سوى أصوات الآلات الموسيقية التى كانت تختلط مع بعضها وكأنها ت قلب القاعة على رأس المشاهدين . لعلنى كنت أشعر بهذا لعدم وجود معرفة لى بمثل هذه البرامج ، ولما رأيت كل من حولى مستغرقين فى مشاهدة العرض ، قلت لنفسى : إذا أردت أن تعيش بين هؤلاء فيجب أن تعتاد على كل شيء ، حتى على هذه الأصوات المزعجة! وعلمت بعد ذلك أن هذا العرض قد حصل على عشرات الجوائز ، لا أعلم كيف يمنحون الميداليات لمثل هذه الأصوات !؟

على أية حال لقد حضرت البرنامج كله ، وحينما خرجت من القاعة كنت أعلم ما يجب أن أفعله ، فقبل كل شيء فكرت فى أن أوفر سيارة ، وأن أبقى فى الفندق حتى أعثر على منزل مناسب ، وأن أضع ما يتبقى لى من أموال فى البنك ، وأحصل على فائدتها كل شهر، وهكذا أكون مطمئناً على المال من جانب ، ومن جانب آخر سيكون لى دخل ثابت ، وفى هذه الليلة تناولت عشائى بنهم ، ومضيت للنوم على أمل غد أفضل.

الفصل السادس

حينما اشتريت السيارة صار التنقل أسهل ، وكما عزمت من قبل ، وضعت ما تبقى لدى من مال فى البنك ، وحينما تخلصت من شر المال، ارتاح بالى ، ولم يمض طويل زمان حتى تعرفت على البيئة من حولى، واكتشفت أماكن اللهو. وعلى أية حال كان يجب على أن أملأ أوقاتى بشيء ما ، ولم يكن هناك من وجهة نظرى ما أهو أمتع من اللهو.

كنت أقضى أوقاتى من الصباح وحتى منتصف الليل فى الملاهى وصالات الرقص والكافيتريات ، ونسيت تماماً أننى إيرانى ويجب على أن أكون ملتزماً فى تصرفاتى ، وسرعان ما تعرفت على بعض الأصدقاء، واندمجت معهم، وكنا لا نفكر فى شيء فى هذه الحياة ، ولم يكن لنا من عمل سوى لعب القمار . كانوا يقولون إننى محظوظ ، ولا أعلم أكان الدخل الذى أحصل عليه نتاج هذا العمل من حسن حظى فعلاً أم لا؟ لقد كنت أتناول طعامى من مائدة أبى ، ذلك الرجل الذى لم يضع حجراً على حجر آخر طوال حياته ، وكان دوماً يجلس على المائدة وهو على وضوئه، الرجل الذى كنت أستيقظ دوماً على صوته وقت السحر وهو يؤدى الصلاة ، وكم من الليالى كنت أستغرق فى النوم على همس مناجاته ، على أية حال فإن ما كان يثير انفعالى فى تلك الفترة ، هو ازدياد ثروتى ، فبعد مرور عام تمكنت من مضاعفة مدخراتى ، وأعترف أننى كنت أفخر بنفسى بسبب ذلك، فقد ذاعت شهرتى بين لاعبي القمار، ولم يتجرأ أحدهم مهما بلغت براعته على اللعب معى ، وكنت فارساً أمتطى حصان الغرور ، أطلب من ينافسنى دون أن أفكر فى عواقب الأمور . ولا شك أن معظم المتنافسين كانوا مستائين

لهزيمتهم أمامي ؛ لأتني لم أكن في نظرهم سوى شخص أجنبي ، ولذلك السبب كان معظمهم يقومون بتهديدي ، ولا ريب أن أذني قد اعتادت على هذه التهديدات ، ولكنني كنت أتعالي إزاء هذا وفقاً لاصطلاح (ليس بيدي).

وجدير بالذكر أن جميع هذه التهديدات لم تكن هراء ، فأتذكر جيداً ذات ليلة ، وبعد أن هزمت أحد المتنافسين أنه هددني بلهجته الإنجليزية الصادة ، فأطلقت ضحكة وأنامنتهم في جمع الغنائم كالعادة ، وقلت بلغته : على الرحب والسعة ، أنا منتظرك ! لا تعطلني ! فترك المهني وهو غاضب، وتركت المهني أنا كذلك بعده بساعتين برفقة أصدقائي ، وكان الليل قد انتصف، ولم يكن طائر يخفق بجناحيه في الشارع ، وكان صخب الثمالي هو الذي يكسر صمت الليل، وسرت فترة مع أصدقائي ، ثم ودعتهم وسلكت طريقى إلى الفندق، ولم أمض أكثر من عدة أمتار حتى توقفت سيارة أمامي، ثم نزل منها بعض الرجال المفتولون العضلات، وما أن تقدمت لأستفسر عن الأمر ، حتى انهالوا على ضربى بكل قوتهم، ثم سلبونى أموالى وفروا هاربين ، ولم أتمكن من معرفتهم ، لأن وجوههم كانت مخفية ، لكننى خمنت تقريباً من قبل أى شخص كلف الضاربون بضربى .

على أية حال ذهبت إلى الفندق وأنا جريح وفى حالة من الدهشة ، وسقطت على الأرض أمام باب الفندق ، فى حين كانت أريدتى ممزقة وكانت الدماء تتقاطر من رأسى ووجهى . ولا أزال حين أتذكر تلك الليلة يقف الشعر على جسدى ، وتتملكنى الحيرة ، وأتساءل كيف تمكنت بعد تلك الليلة من الاستمرار فى هذا الأمر ثانية ؟

فهؤلاء الذين لا يعرفون الله ، ضربونى بهدف موتى ، ثم فروا هاربين دون مروعة ، ينبغى القول بأنهم كانوا أسوأ من اللصوص فاقدى الشعور .

وعلى أية حال ، حينما فتحت عيني ، رأيت نفسي فى حجرتي ، ووجوهاً مبهمه فوق رأسى ، وهذا لأن عيني قد تورمتا ، وكانتا تؤلمانى بشدة من أثر الضرب المتتالى ، كما كان جسدى كله يؤلمنى ، لدرجة أنه كان من الصعب على تحريك رأسى فى أى اتجاه. أثناء ذلك سمعت صوت مدير الفندق المتعلق وهو يسأل الطبيب دون توقف : دكتور ، هومش هيشوف بسبب الصدمة دى ؟ وسمعت صوت الطبيب أيضاً يقول له : لا ياسيدى ، عليه فقط أن يستريح ، وحينئذ أدركت أننى سأبقى على قيد الحياة .

وبعد مرور عشرة أيام تمكنت من الوقوف على قدمى ، ورأيت نفسي فى المرآة ، كنت قد أصبت فى خمس مناطق : ساق القدم ورسغ اليد والرأس والكتف ، فضلاً عما اعتري وجهى من الورم والزرقة ، ولم أتمكن من التفرقة بين جلدى وبين ما عليه من ضمادات ، خاصة وأننى كنت قد نحفت بسبب كثرة النزيف وقلة الغذاء ، وكنت أشعر وكأننى أرى بالفعل عظام وجنتى ، ولم أكن حتى ذلك اليوم قد رأيت نفسي فى هذه الحالة السيئة ، كانت هياأتى غير مرتبة ، وشعرى مشعثاً ، والجروح تملأ رأسى ووجهى ، وما جال فى خيالى فى الوهلة الأولى لم يكن التراجع ، بل كان الانتقام، وكنت أشعر بأننى لا أكره أى شخص مثلاً أكره هذا الرجل الإنجليزى ، ولم يكن يريحنى شيء فى أسوأ حالات غضبى سوى التفكير فى الانتقام منه وطرحه أرضاً .

قررت أن أسعى لإتمام ذلك الأمر ، ولكن ما من معين ، وكل ما فكرت فيه هو أن أستأجر بعض الأشخاص مثله ليقوموا بحراستى ، وليقدموا لى العون وقت اللزوم ، وعلى الرغم من أن هذا القرار يبدو نوعاً من المغامرة الحمقاء أو العمل الطفولى ، لكننى كنت مصراً على إنجازه، وكنت أنتظر فقط دون صبر أن أتححر من شر الأربطة والشاش، ولا ريب أن هذا الانتظار قد انتهى أيةً

لم يكتمل الشفاء تماماً لجروحي ، لكنني نهضت من فراشي ومضيت إلى أصدقائي الذين كنت أجهل أخبارهم منذ فترة ، وقدموا يد العون لي حينما علموا بالموضوع ، حتى إن أحدهم - وكان أكثرهم ميلاً للشر - قال : يا صاحبي في الغربية لازم نساند ولاد بلدنا ، ولو ما عملناش كده دلوقتي ، إمتى هنعمله ؟ ! كفاية بس إنه يشاور واحنا نساعد .

وكنت قد فكرت من قبل في كل شيء ، فقلت : لا يا صاحبي !! مفيش شك إني عايز أنتقم منه ، لكن أنا عندي خطة أحقق بها هدفي ، أنا مش عايز أخلق مشاكل بدون تفكير وأنا في بلد غريب ، أنا عايز أخطو خطواتي بحساب . أنا عايز أجلس أمامه تاني ، وأنقض جيوبه بطريقتي . أنتم عارقين إني بالعب البوكر كويس ، وساعتها هقدر آخذ منه خسارة الفترة دي ، بس هو يوريني وشه .

وقال أحدهم ، وكانوا ينادونه بسيافوش : لغاية دلوقتي مفيش خبر عنه ، لكنه من يومين جه الملهي مرتين ، وسمعته يقول لصاحبه الإنجليزي وهو يضحك : أهو أطرده من المكان ، لكن أنا ما كنتش أعرف إن قصدهم عليك ، لإني ما كنتش أعرف اللي حصلك ، لكن دي مش النهاية، ممكن ييجي واحد وينهزم وبعدين ييجي واحد تاني ويخسر، ورغم كده ما تفرحش إنك بتكسب الآخرين دايمًا بالحيلة ، جايز ييجي يوم ... وقاطعت حديث سيافوش لأنني لم أرغب سماع حديثه المحيط : دلوقتي لسه اليوم ده ما جاش ، واجب عليكم النهاردة تكونوا حولى .

والآن حيث أفكر بصورة أفضل ، أدرك أنني حتى وإن كنت راغباً في ذلك ، إلا أنني لم أكن أستطيع أن أتخلي عن هذا الأمر لأنه قد ألمني بشدة .

لقد كنت مغرمًا بجمع المال دون مشقة أو عناء ، وعلى أية حال وعدنى أصدقائى بحمايتى ومد يد العون لى ، وتم الاتفاق على إنه منذ ذلك الحين وصاعداً يتولى اثنان منهم حراستى فى قاعة القمار، وفى المقابل أدفع لهم نسبة مما أكتسبه .

وكانت الأمور تمضى على ما يرام وكنت راضياً سعيداً ؛ لأننى تمكنت من هذا الطريق وبعد مرور عام آخر من بناء منزل كبير خاص بى فى أحد المناطق الراقية بلندن ، وأصبح من السخرية أن ألعب الآن فى الملاهى العادية على عدة آلاف من الجنيهات ، وتدرجياً فكرت فى الذهاب إلى ملاهٍ أخرى أرفع من حيث المستوى لألعب مع أناسٍ أكثر ثراءً .

ولهذا الهدف كنت أحجز لقضاء ليال متميزة، وذهبت فى الليلة الأولى وأنا فى أبهى زينة ، ودخلت القاعة يصاحبنى حارسان أحدهما عن يمينى والآخر عن يسارى .

لا أنسى تلك الليلة ، فقد راهنت على عدة ملايين من الجنيهات هى كل ما أمتلكه ، ثم جلست أمام منافسى . أعترف أننى كنت فى غاية الاضطراب لكننى لم أظهر ذلك، كنت أحاول أن تبدو تصرفاتى طبيعية هادئة.

ومن العجيب أننى تمكنت من هزيمة منافسى الإنجليزى ، وكانت هذه هى الحقيقة بالرغم من أننى لم أكن أصدق هذا حتى بعد انتهاء اللعب. ولو كان ساسان وخشايار حاضرين لعبى لما صاحبا من السعادة. كنت أظن أننى أحلم، وفى ليلة واحدة أصبحت مليونيراً ، ولهذا لم يسعنى جلدى .

لا أعلم لم كنت بدون إرادة إلى هذا الحد ؟! كنت أقول لنفسى فى كل مرة أبدأ فيها اللعب إن هذه المرة ستكون آخر مرة أَلعب فيها ، ولكننى كنت أغير كلامى بعد فوزى على منافسى .

وفى تلك الليلة لم أذق طعم النوم من فرط السعادة والفرحة ، فقد أَسْأَلْنِى الأرق طوال الليل ، وكنت أفكر فى الأموال ، وأرسم خططاً ذهبية ، دون أن أعلم أنها ستكون على الأبد!

الفصل السابع

لا ريب أن الأحداث كانت تعود بى إلى الماضى ، وأغتم من أجل أسرتى ، لكن قدمى لم تكن لها القدرة على العودة ، وكنت أكتفى فقط ببعض المكالمات التليفونية القصيرة .

و ذات ليلة وأنا أسير بسيارتى الفارهة أمام أحد الملاهى رفيعة المستوى ، حدث موقف جديد فى حياتى ، موقف غير مجرى حياتى تماماً .
حقاً لقد حدث لى حادث مهم فى وقت لم تكن الحياة فى نظرى سوى لهو ومزاح ؛ فقد مر بى العشق كنسيم مدلل ، وأصبحت عاشقاً من نظرة ، وشعرت بأننى قد وجدت محبوبتى ، والإنسانة التى استطاعت أن تلين قلبى الشبيه بالحجر ، كانت إنجليزية ذات شعر أصفر وعيون خضراء برقة الربيع! حينما جلست أمامى اضطرب قلبى وبدأت يداى ترتعشان ، وسلمت أمرى ، وخسرت لأول مرة فى حياتى خلال تلك المدة أمام امرأة ، كان شيئاً مضحكاً ، أن أخسر أمام امرأة وأنا الذى كنت أفوز على أشد المنافسين لى .

وأخذ رفاقى فى لومى ، ولكننى كنت أفكر فى شىء آخر ، كنت مضطرباً ، ولكن ليس لهزيمتى ، بل بسبب اكتشافى لأحاسيس جديدة بداخلى ، وهناك وجدت الفرصة سانحة لأفكر فى نفسى ، فى أننى أحتاج إلى شريك ، ولم أكن أفكر قط فى تلك المسألة بشكل جدى .

فى تلك الليلة وحتى الصباح كانت صورة هذه المرأة تتجسد أمام عيني ، وأستطيع أن أقول بمنتهى الشجاعة إن الحديث مع هذه المرأة كان أحد الأمنى الكبيرة لى .

وأنا لا أعلم إن كانت ترتبط بشخص آخر أم لا ! على الرغم من أنني لم أر شخصاً بصحبتها فى تلك الليلة ولا فى الليالى التالية عليها .

كنت أذهب منذ ذلك الحين إلى ذلك الملهى على أمل أن أقابلهامرة أخرى ، وكنت أجلس فى كل مرة لفترة على مسافة منها لمشاهدتها دون أن أجد الجرأة فى نفسى للحديث معها ، وقضيت أياماً عديدة أفكر فى كيفية الحصول على طريقة لفتح باب التعارف مع تلك السيدة الإنجليزية، حتى حصلت على فرصة ذهبية لم أتوقعها من قبل ، فقد أعد أحد أصدقائى الإنجليز حفلة كبيرة بمناسبة عيد زواجه الثامن ، ودعانى للحضور ، وقبلت دعوته لأننى كنت قد قضيت فترة فى عزلة ووحدة ، وذهبت للحفل ، ولم تمض ساعة على دخولى حتى دخلت تلك المرأة الإنجليزية ، ومن فرط تعجبى فقدت القدرة على الحديث ، وحتى حين تعرفت عليها بواسطة المضيف ، لم أتمكن من الحديث . كان يبدو لى أنها لم تتعرف على ؛ لأنها لم تبد أى حركة تدل على معرفتها بى عند رؤيتى ، أو على الأقل مثلما فعلت أنا!

وجلست فى هدوء فى أحد الأماكن بالقاعة، لكنها لم تكن بعيدة عن عيني ، وكانت توسوس لى رغبة ملحة فى أن أهين المجال للحديث معها بطريقة ما ، وفى النهاية ، ومن منطلق أن الإنسان العاشق يفقد القدرة على المقاومة إزاء رغباته ، اقتربت منها أثناء تناول العشاء ، وكانت تتناول الجيلي ، فقلت وأنا خلفها بابتسامة رقيقة : أنسة... فالتفتت إلى، وقالت وهى تنظر لى بعينيها ذات اللون الأخضر :

—أنا أرملة يا أستاذ، إن كنت تقصدنى!

فقلت وأنا فى حالة من الحيرة والخجل: أه .. حقيقى أنا أسف، كنت أتخيل أنك أنسة !

وبابتسامة عذبة ويدأها تمتد بجوارى ، قالت: أنا كيت كلى ، السيدة كلى ، فقلت وأنا أسلم عليها : أهلا بك ، أنا أرسلان وفائى ، يتادينى أصدقائى بأرسلان ، إحنا اتعرفنا على بعض قبل كده ، مش كده؟

قالت كيت وهى تفكر : مش فاكرة !

قلت : فى الملهى ! لقد هزمتنى .

فقلت مبتسمة : أنا هزمت ناس كثير .

فقلت لها : ربما أنا فاكرك كويس : لأنى أول مرة أخسر فيها أمام امرأة .

وضحكنا ولا أعلم لم فكرت فى أن هذا الضحك سيكون بداية التفاهم بيننا ، وعلمت أثناء الحديث أنها من أصدقاء زوجة المضيف القدامى ، ولها سابق معرفة قديمة بتلك الأسرة ، وبالرغم من أننى كنت فى حيرة من كونها أرملة ، لكننى لم أتصايق ، فكونها أرملة أو أنسة لا يفرق معى فى شىء . كنت أحبها ، وكان هذا من وجهة نظرى يكفى للعشق النموذجى ، ولكن المشكلة هنا هى أننى لم أكن أعرف أى إحساس لديها تجاهى .

وبعد مضى ساعة أخرى سمحت لنفسى أن أسألها عن حياتها الشخصية ، وبعد قليل علمت أن زوجها فقد حياته على أثر حادث فى سباق للسيارات ، وعلمت كذلك أنها إحدى الأراامل الإنجليزيات ذات الثراء الواسع، وكانت تذهب أحياناً إلى الملهى لشغل وقت الفراغ فقط ، وكان حديثها وسلوكها موضع إعجابى ، ولا أعلم كيف صرت أكثر ولها بها من ذى قبل ، وفى نهاية الليل حينما كان كل زوج يرقص مع زوجته، طلبت منى أن أرقص معها ، ومنحتنى مجالاً أكبر للتعرف عليها ، ووقت الرحيل وافقت على طلبى بلقاءات أخرى .

ومرة أخرى لم يسعنى جلدى من شدة الفرح ، واعتقدت أنتى بينما
كنت أحلق فى السماء للعثور على قرينتى ، تمكنت من العثور عليها
على الأرض .

إننى أفصح عن مشاعرى وأحاسيسى للبعض كى يفهموننى ،
للبعض ممن يعشق قلبهم . إنهم يفهمون جيداً ما هو هدفى حينما أتحدث
عن خفقات قلبى السريعة . أهذا من عالم آخر أم من الخوف ؟ الخوف
من أن أفتح عينى وأرى أن كل شىء وكأته حلم أو رؤيا .

إننى أتحدث من خلال إحساس معروف ! إحساس يجعلك تشعر
بالقرب منها رغم أنك غريب ! إحساس وكأته يكمل نصف وجودك . يشبه
العثور على مفقودك الذى قضيت سنوات فى البحث عنه ! إحساس يشبه
السحاب فى سرعته ! إحساس مثل ترجيح الظلام على الضياء .

حقاً ما قالوه: "إن العاشق أعمى" ، فإن لم يكن أعمى فإنه يغلق
عينيه عن عمد ؛ لأن الضوء يؤذى العيون الحساسة.

كانت تتملكنى حالة غريبة بجوارها ، فلو قدر أن أحيا فى صحراء
ينعدم فيها الماء والطعام وأراها بجوارى فلا أخشى شيئاً .

مع أنتى كنت أقابلها كل يوم تقريبا لكننى كنت غير راض . كنت
قلقاً ، أخشى - لا قدر الله - أن أفقدها ، على الرغم من أنها اعترفت
بحبها بعد مضى فترة من الزمن ، وحررتنى من قيد الشك والتردد .

وبعد أن أحسست بالطمأنينة من إحساسها بى ، ألبستها على الفور
خاتماً ، وطلبت منها أن تمنحنى الفرصة حتى أهين أسباب زواجنا ،
وقبلت ، وقضينا معاً أجمل أيام حياتنا ، ولم يساورنى الشك للحظة فى
أننا سنكون سعداء ونحن معا .

الآن وأنا أفكر فى الماضى ، وأسأل نفسى : كيف لم أفكر للحظة فى هذا الموضوع ، فى أن أتزوج من امرأة أوروبية متحررة بلا قيود؟ امرأة تختلف معى فى ظروف حياتها منذ الطفولة وحتى الكهولة كاختلاف السماء والأرض؟

وشعرت برغبة شديدة فى وجود والدى بجانبى لإتمام مراسم الزواج فاتصلت بإيران ، وما أن سمعت زوجة أبى صوتى حتى انخرطت فى البكاء ، ولم أتمكن من السيطرة على نفسى حينما سمعت صوت بكائها ، انفجرت فى البكاء وانهمرت دموعى لفترة وتذكرت من جديد: كان قلبى غافلاً عن أننى إيرانى ، شرقى ، بنفس الانتماء والمشاعر والأحاسيس ، وقالت زينت : ولدى الحبيب ، مش من الواجب عليك الاتصال بنا لتسأل عن أحوالنا ؟ أنت ما تعرفش إزاي عدت علينا الأيام والليالى دى ! إنت الابن الوحيد لهذه الأسرة ، ونحن والداك ، ألم يكن معنا الحق فى إننا نعرف إنت بنعم إيه ؟ إزاي بتقضى حياتك ؟ كيف حالك ؟ مش محتاج حاجة ؟ كويس ؟ اتكلم يا بنى ! إنت بخلان على بصوتك ؟

لم أكن أرغب فى أن تعلم زوجة أبى ببكائى ، فانتظرت برهة حتى أتمالك نفسى ، ثم قلت بصوت خافت : أماه ، على رسلك على ، إنت بكيت لدرجة أثارت أعصابى . قالت زينت فى توسل : أرجع ، علشان تكون بجوار أمك ! ليه صوتك متغير ؟ إنت خدت برد ؟ هو الجو برد عندك؟ قلت ضاحكاً : الجو هنا فى الغالب ممطر ، لكن ما تقلقيش أنا ما خدتش برد ، والدى عامل إيه ؟

قالت زينت : ده عجز وبقى كثير الشكوى ! أنا مش عارفة ، جاز حصل كده بسببك ! قلت ضاحكاً : هذا الذى لا تجرى مياهه ومياهى فى مجرى واحد !! فقالت زينت فى لوم : إنت بتقول إيه ؟ هو ما تعبش

علشانك ؟ ما تتكلمش وحش عنه ! بيقلولوا إن أكل خبز الغريبة يولد الكراهية ! ما فيهبوش بركة ! ودلوقتي عدمت الدم وبتتكلم كده عن أبوك!!
إنت ما تعرفش هو زعلان علشانك أد إيه !

قلت : وأنا كمان ، زعلان علشانكم !

- إمتي هتيجي علشان أشوفك ؟

- مقدرش ! أنا مشغول !

- إيه ؟ إنت بتشتغل إيه ؟

- كل حاجة وولاحاجة .

- يعنى إيه ؟ على رأى أيوب أفندي ، هو هنا مش زى هناك ،
والعمل اللي تقدر تعمله تشتغل فيه ؟

- ما تلومينيش تانى يا أمى ! أنا اتعودت على هنا .

- مبسوط فى حياتك ؟

- أيوة !

- الحمد لله ، لكن إيه اللي أثر فيك وخلاك تفتكرنا ؟

- أنا فاكركم دائماً فى كل زمان وفى كل مكان .

- يحرق أبوك ! رجعت تتكلم بالطريقة دى تانى؟ أنا أعرفك كويس،
قل الحق !

كانت زينت تقول الحق . إنها تعرفنى أكثر مما تعرف الأم الحقيقية
ابنها ؛ لذا قلت بصوت صادق دون رياء : أنا عايز أتجوز، واتصلت ببيكم
علشان أدعوكم لحضور مراسم الزواج .

قالت زينت بصوت مفعم بالسعادة : حقيقى اللى سمعته ؟ بتتكلم
جد؟ ألف حمد وشكر لله ! لأنه استجاب لدعائى .

وسعدت لسعادتها وقلت لها : إنت دايماً فاكراانى ؟ أنا هابعت
مصاريف سفركم مع الدعوة ، روحوا السفارة وخذوا التأشيرة . أنا
هتجوز فى الخامس والعشرين من نفس الشهر .

سألت زينت : مين عروستك ؟

قلت : مش إيرانية ومش ها تفهم معنى كلامك .

فقلت فى تعجب : وه ! وإيه اللى شوفته من اللى بيتكلموا لغتك
وخلاك رحت تاخذ واحدة بتتكلم لغة غير مفهومة ؟ فضحكت وقلت :
كفاية يا أمى ! إيه الكلام ده ؟ هى إنسانة ، وأنا بافهم لغتها .

فقلت فى قلق : وإزاي إحنا هنفهمها ؟

قلت ضاحكاً : أنا هتكلم معاها وأترجم لكم ، إنت ما تعرفيش
يا أمى إيه شكل العروسة دى ، لها عينين زى الربيع الأخضر وشعر
ذهبى .

قالت زينت وهى سعيدة : أنا فداها ، فكل اللى تحبه نحبها إحنا
كمان ، أتحبها كثيراً ؟ قلت : أنا على استعداد أن أضحي بروحى فداء
لها . إنت ما تعرفيش يا أمى أد إيه هى حنونة ! لو شوفتيها مرة واحدة
هتحبها !

وزينت التى كانت امرأة بسيطة حنونة ، قاطعتنى قائلة : مبروك
عليك ! ولكن إنت ما فكرتش إن زواجك من امرأة ليست من نفس دينك
يعتبر معصية ؟! فقلت فى استياء : إيه الكلام ده يا أمى ؟! لم أتوقع منك
هذا ، ده كلام زمان ، والزمن بيتغير ، إنت ما سمعتيش إنهم بيقلوا إن

الناس سواسية ؟ ومع ذلك فأنا فكرت في الموضوع ده ، وكيت قالت لى
إنها هتسلم علشانى ، هتكون زينا بالضبط ، وهى تعرف إننى إيرانى .

سألت زينت فى دهشة : ماذا قلت ؟ كيف ؟

قلت مبتسماً : لا يا حبيبتي ، كيت ، اسمها كيت .

قالت زينت : ولكن يا بنى ، مش هنسب لك حرج ؟

قلت : أنتما تاج على رأسى . إيه الكلام ده ؟ هى هتسعد
لرؤيتكما ، اتكلمى مع والدى واقنعيه . وأنا فى انتظاركما .

حينما وضعت السماعة فوق التليفون ارتسمت ابتسامة على
شففتاي حين تذكرت بعض ما دار خلال المكالمة ، وعندئذ شعرت أننى
مشتاق من أعماق قلبى للوطن .

الفصل الثامن

على الرغم من عدم وجود ضرورة لهذا الأمر، إلا أنني أفصحت إلى
كيت عن حقيقة حياتي السابقة وزواجي غير الموفق بجيتي ، فلم أرغب
أن يبقى شيء غامض في حياتنا التي نبدأها بأمانة .

إنني كنت أعبدها ، وكأنتي أحد عباد الشمس . قلت عابد الشمس !
نعم ، لقد أعادت إلى حياتي وقلبي الضياء والرونق الذي مات، وكانت
سبباً لإقناعي بأن وجود العشق في الحياة من الضروريات . كانت أنغام
صوتها دافئة صافية ، وكانت تصرفاتها مخلصة حنونة !

كانت تقول - لأنتي كنت أغار في عشقي لها - إن زواجها السابق
لم يكن قائماً على أية عاطفة ، وإنها أجبرت على هذا الزواج تحت
ظروف ما ، كما قالت كذلك إنها تعلم الآن معنى الحب والعشق المنزه ،
ولن يستطيع أى شيء قط أن يبعدنا عن بعضنا سوى الموت ، وقلت لها
إنها لم تعد بعد ذلك السيدة كلى ، بل ستكون السيدة وفائي ! وعلى
الرغم من أن لقب عائلتها مك اينتاش ، لكنني كنت مصراً على أن
أخلصها من كل الآثار السابقة التي تذكرها بارتباطها بأى شخص آخر.
وفي الحقيقة لم أرغب في أن أفكر في أنها أرملة مسكينة بسبب موت
زوجها ، بل أحببت أن أتصورها أنسة ، أبدأ معها أول وآخر تجربة في
الحياة المشتركة . قلت لها اعتمدى على ، ووعدتها بأنني سوف أمحو من
ذهنها أى ماضٍ مقلق ، وأنني سأسعددها إلى حد يجعل النساء الأخريات
يمتن من فرط الحسد ، ويأملن في أن يكن محلها ولو ليوم واحد . قلت لها
إنها لن تذوق طعم الحزن ثانية على أى شيء ، وأن تعهد إلى بكل شيء .

وبالرغم من أن كلاً منا قد تزوج مرة من قبل ، إلا أنني أقمت حفل زواج كبير ، ودعوت جميع الأصدقاء والمعارف للمشاركة فيه . ووصل أبى وزوجته فى اللحظات الأخيرة ، وسعدت كثيراً لرؤيتهما ، حتى إننى لم أتمكن من السيطرة على انهماار دموع اشتياقى لهما ، وحينما قدمتهما إلى كيت ، أبدت هى الأخرى سعادتها لرؤيتهما ، وسلمت عليهما بحرارة ، كما أنني كنت أتصور أن زينت قد سعدت بها للغاية ، هذا فى حين أن أبى كان متردداً بعض الشيء ، وكان واضحاً أنه جاء بعد إلحاح شديد من قبل زينت ، وهذا ما فهمته بعد ذلك .

حينما جلست فى السيارة بجوار كيت ، كنت لا أزال غير مصدق أنني قد تزوجتها ، وحينما صرحت لها بهذا الشعور ، ضحكت على بصوت مرتفع ، وأكدت لى أن كل ما يحدث هو عين الحقيقة . وبعد الانتهاء من مراسم الزواج صممت على أخذ أبى وزوجته إلى منزلى ؛ لأن أبى كان مصراً على الإسراع بالعودة ، ولكن فضوله جعله يمكث قليلاً ليرى حياتى ، فهو لم يكن يعلم من أى طريق تمكنت من تشييد هذا القصر ، فعند رؤيته لمنزلى قال فى حيرة : أنا مش مصدق إن المنزل ده نتيجة كدك ! قوللى علشان أعرف إنت بتشتغل هنا إيه ؟ فقلت مبتسماً : أنا تاجر يا أبى ، ماتطلبش منى إننى أبوح لك عن أسرار تجارتي ، أنا أسف !

فسألنى ثانية : إنت بتشتغل فى تجارة حلال ؟

قلت : إنت بتشك فى كده يا والدى ؟

وقال وهو يتفحص جميع محتويات المنزل بينما يجلس فوق الكرسي الهزاز بجوار المدفأة : أنا مش مصدق لغاية دلوقتى إنك غنى كده وأنا ما عرفش ، واضح إنك ما قضتتش الفترة دى بدون عمل ! فقلت بكبرياء :

على أية حال فأنا كنت ابن الحاج أيوب خان تاجر الفرش ، وكان العيب الوحيد فى هذا العمل هو إنك لم ولن تتعامل معى فيه بشكل جدى .

قال الأب : سبب ذلك هو أنت نفسك ، فلم تبد قط قدرتك على العمل، وأنا سعيد لإنك إتجوزت ، ربما يكون وجود زوجتك دافعاً لك علشان ما تضيعش نتيجة كدك هباء.

وقلت بينما أضع يدى على كتف كيت : ربح بالك فكيت نفسها تاجرة وتعرف قيمة الفلوس.

قال الأب : أتمنى إن حالك ينصلح مع هذه المرأة الأجنبية ، قصدت إنه بسبب هذه المرأة الأجنبية التى اخترتها زوجة لك لم أكن أصفح عنك قط ، ولكن بعد اللى شوفته من غناك وقدرتك على العمل ، فقد تغير رأيى الآن . ورغم إنى جيت حفل جوازك تحت إلحاح زينت ، لكنى سعيد دلوقتى لمكوئى هنا كام يوم حسب رغبتك . أتمنى إنك تأخذ إيدى أنا وأمك، تلف بينا فى البلد علشان ما نشعرش بالحسرة ، وتسعد قلبنا لإننا شوفنا أوربا وإحنا فى أواخر عمرنا .

وكنت سعيداً من أعماق قلبى ؛ لأننى نلت التشجيع المباشر من والدى لمرة واحدة فى عمري ، وكذلك لأنه لم يفهم قط من أى طريق جمعت ثروتى ، وهذا ما كان يعطينى المجال كى أشعر بإنسانيتى ، فعلى الرغم من أن أسلوب جمعى للمال مجاز وقانونى من وجهة النظر القانونية لهذه الدولة ، لكننى كنت أشعر بالعذاب من أعماق قلبى ، ودوماً كنت أهرب من تائب الضمير.

إن السعادة ليست شيئاً ملموساً ولا قابلة للرؤية ، ولا ريب أن هذه المسألة مرتبطة بالأسئلة التالية : فى أى شىء يمكن أن تبحث عن السعادة ! فى الزوجة ؟ فى المال والثروة ؟ فى الشباب ؟ فى الصحة ؟

فى الرنق والشهرة ؟ أم فى تحقيق الآمال الكبيرة ؟ وإن تكن فى أى منها ، فقد ملكتها جميعاً ؛ فلدى زوجة أحبها بعدد نجوم السماء ! والمال والثروة يزدادان معى يوماً بعد يوم ! والشهرة نلتها بسبب مهارتى فى لعب القمار ، فقد اشتهرت بأنتى اللاعب الذى لا يقبل الهزيمة ، وكان الكثيرون يطلبون منى الحضور أثناء لعبهم للمشاهدة فقط . إنه لشيء مضحك ، لكن البعض كان يعتقد أن حضورى سبب فوزهم أثناء اللعب ، وقد تكررت هذه المسألة لدرجة جعلتنى أصدق بأنتى فعلاً الحصان الرابع ، وكان أول إجراء شهم اتخذته بجرأة بعد زواجى هو منع كيت من التردد على الملاهى ؛ فأنا رجل إيرانى متعصب ، وعليه لم أستطع أن أتقبل جلوس زوجتى أمام رجل أجنبى على مائدة القمار ، وعلى الرغم من أنتى قد تسببت فى بعض الضيق لكيت بهذا الإجراء ، لكننى كنت أعتقد أنتى سوف أستطيع أن أخرجها من قلبها ؛ فالموضوع هو أنها كانت تضحك على بعض معتقداتى لدرجة أنها كانت فى بعض الأحيان تجعلنى أشك فى منطقية تلك المعتقدات ، كان هذا يؤدى إلى أن أفكر فى أنتى إنسان متعصب وقاسى المسلك .

ورويداً رويداً ، وبعد مرور عدة أشهر على حياتنا الزوجية تمكن الخوف من قلبى . الخوف ليس فقط من أنتى لا أستطيع أن أقلل من المسافة بيننا ، ولكن لأن هذه المسافة كانت تزداد بمرور الوقت ، وقد أوجدت بينى وبين كيت حبيبتى فجوة صغيرة ، ولا ريب أن كلاً منا كانت تتغلب عليه مشاعر العزة ، فلا يريد أى منا أن يتغاضى عن مطالبه إرضاءً للآخر ، على الرغم من أنتى أتذكر أنتى كنت أتغاضى يوماً عن كثير من الأمور ، فلم أكن أستطيع أن أرى حزنها ، ولم أكن أتحمّل العيش بدون حبها .

أحياناً كانت تبدو بريئة ، حتى إتنى أقول بجرأة إن أى شخص لم يكن يستطيع أن يرى نظرتها البرئية ويصر على تنفيذ مطالبه .

لا أعلم ، أعلها كانت تعرف جيداً نقاط الضعف لدى الرجال الشرقيين . وأياً ما كان ، إنتى لم أستطع تحمل نظرة عيونها الخضراء ، ولو أصف ضعفى فإننى أعترف أننى كنت ضعيفاً أمامها ، خاصة وأننى لم أكن التجربة الأولى لزواجها ، بالإضافة إلى أن كلامها مصدق عنى فى بلدها ، وهذا ما كان يجعلنى أهرب يوماً من النقاش معها ، وغالباً ما كنت أغير دفة الحديث بأى صورة ، وكان هذا مثلاً لعاشق لا حيلة له ! ووفقاً لقول والدى "كل من يأكل الحنظل يجلس مرتعش الأقدام". وإذا ما رغبت فى زوجة أجنبية ، فلا بد وأن أخضع لقوانينها ، وطبقاً لأحكام هذه الدولة لم يكن فى استطاعتى أن أمنع زوجتى من العمل ، كذلك لو أن أى شخص يرغب فى أن يعيش بمفرده لا يحق للآخر أن يمنعه .

وأخيراً انتبهت إلى كنه القضية ؛ فكنت أرى بعينى نساءً ورجالاً فى نفس الوقت الذى يكونون مرتبطين بالزواج فيه، يعدون آخرين بالزواج، وبعد ذلك ينفصلون عن أزواجهم ، وبينما كنت أضحك على هذه العادات والتعاملات كنت أشاهد فى الأسبوع التالى نفس المرأة أو الرجل مع شريك حياته الجديد منهمكين بالحديث مع أزواجهم السابقين بشكل عادى .

وقلت لنفسى : ما هؤلاء الناس ؟ يعشقون بجنون ، وينفصلون عن بعضهم فى هدوء ، ويذهبون بعد أسبوع لرؤية أزواجهم السابقين وفى أيديهم باقة من الزهور ؟!

كان هذا من وجهة نظرى نوعاً من الإهانة إلى الإنسان والإنسانية، فمن وجهة نظرى أن الحيوانات فقط هى التى تستطيع أن تكون كل لحظة مع شخص آخر .

وتدريجياً كانت فلسفة الزواج هنا موضع استفسارى، وفى نفس الوقت كنت مطمئناً تماماً على أننى قادر على أن أغير كيت ، وانقضت فترة طويلة حتى تمكنت من إفهامها بأن الرجل أو المرأة فى تقاليدنا ليسا زياً أو طعاماً حتى يتم تغييرهما ، وتحدثت معها عن مكانة المرأة وشأنها ، وكذلك عن مدى الحس المرهف لدى الشرقيين ، وخاصة لدى أهل إيران ، تجاه المرأة والأبناء . ولا ريب أنها كانت تنصت إلى حديثى، لكنها كانت تنظر إلى غير مصدقة ، لأن إذن الزوج لم يكن له من معنى من وجهة نظرها ومن وجهة نظر مجتمعتها ، فمن وجهة نظرها أنها إنسان حر ، بالغ ، وحتى فى حالة ما إذا كانت أنسة، فهى ليست فى حاجة إلى إذن الأم أو الأب .

لا أعلم كيف تمكنت من الزواج بكيت بالرغم من وجود هذه السمات الأخلاقية ؟ لقد كانت حقيقة مرة وكنت أحاول تقبلها بصعوبة : فنحن شخصان مختلفان تماماً ، إذا ما اجتمعنا يؤذى كل منا الآخر . ولا شك أن كيت كانت تمتلك الشجاعة أكثر منى لأنها سرعان ما تحدثت عن هذا الأمر. لقد كان صعباً عليها جداً حين منعتها من السباحة على الملاء العام ، فقد كان يجن جنونى حين كنت أراها تشتاق للعوام . كيف كنت أستطيع تقبل فكرة أن تقوم زوجتى ، شريكة حياتى ، حبيبتى ، بالعوام فى البحر بذلك الجسد المشوق ، وتلتفت إليها عشرات العيون؟!

ومن سوء الحظ أن الجميع هناك كانوا يضحكون على مشاعرى ومعتقداتى ، حتى إننى أتذكر أن أحد أصدقائى قال لى : حينما تعيش فى هذه الدولة ، وتزوجت من أجنبية ، يجب أن تحترم عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم !! وإلا سيشار إليك بالبنان ، وسوف تلحق المرارة بحياتك . لم لا تستفيد أنت الآخر من هذه الحرية؟ فلتدع كيت لحالها ، أنت زوجها مش سجانها ! أنا عايز أقول لك إن لكل امرأة طاقة ، ما تخليهاش توصل لمرحلة تتدم فيها على كل اللى عملته !

لعلكم لا تصدقون ! لكننى كثيراً ما حاولت أن أنظر إلى هذا الموضوع بعيونهم ، ولكننى لم أستطع . وحينما كنت أصفى إلى كيت كانت تقول لى إننى أراك تغير بشدة ، كانت تقول إنها لا تستطيع أن تعيش مع رجل يشك فى السماء والأرض ، هذا فى حين أننى لم أكن أرغب فى أن أكون باعناً لعذابها ؛ لأننى كنت أهيىم بها عشقاً ، لكنها لم تكن تفهم معنى هذا العشق الطاهر ، وكانت تظن أننى مريض ، وهذا الظن كان كافياً لزيادة الفجوة بيننا ؛ فأنا الذى تزوجت كيت أملاً فى حياة سعيدة ، كنت أشعر بوضوح بالفتور الذى كان بيننا .

كنت أعلم أن الأوضاع سوف تزداد سوءاً بمرور الوقت ، وكان هناك حل واحد لتحسين هذه الأوضاع وهو تقبل تقاليدهم ، وكانت كيت تريد ذلك أيضاً .

الفصل التاسع

لم يمض طويل زمان حتى علمت أنتى لا أستطيع أن أسيطر على كيت ، لذا تركتها لحالتها . وفى الحقيقة أنتى كنت قد سئمت من الشجار والجدال ، وكنت أريد أن أعيش حياة هادئة بلا مشاكل . كنت أريد أن تكون زوجتى فى انتظارى حين أعود إلى المنزل ، وأن تأتى لاستقبالى من منطلق العشق والحب ، ومعها باقة من الزهور . لم أرغب ثانية فى أن أظل لساعات بعد عودتى إلى المنزل مترقباً الباب فى انتظارها . كنت أرغب فى منحها الحرية لأحظى بالحب . لم أكن أرغب فى أن أكون سبباً لعذابها . كنت أرغب أن تنتظر إلى ثانية مثلما كانت تنتظر إلى فى الأيام الأولى لتعارفنا ، وأن تهمس فى أذنى بهمسات العشق . فأنا رجل ، رجل شرقى المشاعر ، بعيد الآن عن أهله وأسرته ووطنه ، وحب امرأة هو فقط الذى كان يستطيع أن يملأ فراغه .

وعلى أية حال ، كانت تبدى سعادتها من هذه الخطوة التى خطوتها فى سبيل إيجاد التفاهم بيننا ، لكنها كانت بعيدة عنى ، وكانت تعترلنى كما كان فى السابق ، وما كان يبعث الوحشة والقلق بداخلى هو معتقداتها ، المعتقدات التى كانت تتحدث عنها ببرود جم كانت تجعل الشعر يقف على جسدى . لا تنسى من ذاكرتى قط تلك الليلة حينما عدت إلى المنزل ومعى باقة من الزهور ، ومكنت فى انتظارها . وانقضى الليل حتى نصفه وبعدها عادت إلى المنزل ، وحاولت أن أتمالك نفسى وألا أهين المجال للشجار كالليالى السابقة ؛ لذا رددت عليها تحية المساء بلطف ، وساعدتها فى خلع البالطو ، وطلبت منها أن تجلس ، لكنها - وقبل أن أبدأ فى الحديث - حثتني على الصمت بحديثها عن الحفل :

- أوه يا عزيزى ، بجد كانت حفلة مقيش زيتها . جاكين بالغت أوى فيها ، وحش أوى إنك ما تجيش معايا الحفلات دى وتشغل نفسك فى الوحدة ، تعرف ؟! الدور على بعدها ! مقروض إنى أدعوهم كلهم لحفلة ، هتكون حفلة كبيرة ، وإنك كمان ممكن تدعو أصحابك ، لكن على شرط ما تكونش زعلان ، لازم تكون سعيداً ، إحنا عندنا عدد كبير من الأصدقاء يخلينا نقدر نعمل حفلة أو نحضر حفلة فى كل يوم من أيام السنة ، إنت عارف إن أنا بأعشق الحفلات ، الحفلات الكبيرة ، والرقص ، والأوركسترا ، والموسيقى ، يا إلهى ، الإنسان اللى بيحس بكده هيكون شباب دائماً ، وأنا دائماً أفكر ، إزاي تقدر تعيش بدون رقص أو موسيقى؟ ألم يصبك الرتم الواحد والهدوء ده بالعذاب ؟

وجلست بهدوء ، وظالت مصغياً لها حتى ذهبت إلى الحمام ثم استعدت للنوم ، فطرقت باب الحجرة ودخلت ، وكانت مشغولة بتجفيف شعرها . وقالت عند رؤيتى : أنا متشكرة علشان الورد ، إنت لطيف معايا .

قلت بهدوء وبلا مقدمات : أنا عايز أتكلم معاكى .

فكفت عن تجفيف شعرها ، وجلست على حافة السرير ، وجلست أنا أيضاً على الكرسي المقابل لها ، وقلت : كيت أنا فاهم أد إيه إنت بتحبى الحفلات ، لكن يا عزيزتى فاهم دلوقتى على جوازنا تسعة شهور ورغم كده ماأكلناش مع بعض تسع مرات .

قالت كيت فى استياء : إنت تقدر تيجى معايا الحفلات .

قلت وأنا أحاول التحكم فى نفسى حتى لا يملكنى الغضب : أنا مقدرش أجي معاكى الحفلات دى ، وألقت كيت بالمنشفة فى عصبية على حافة السرير ، وقالت : إنت مضايق من أصحابى ؛ فقلت على الفور :

إنت غلطانة ، أنا مستاء جداً . ونهضت كيت من مكانها. ووقفت أمام المرأة وتوجهت إليها ، وقلت لها بينما أنظر إليها فى المرأة: كيت ، أنا مش معارض مرواحك ومجيك ، أما عايزك بس تفكرى فى وفى حياتنا ، ده مطلب صعب ؟

وعادت كيت ناحيتى وقالت : أنا بافكر فيك ، ولو كان العكس ما كنتش إتجوزتك ، وإنت، كل ما تشوفنى مع أصحابى تتصرف تصرفات مش كويسة.

وسحبت يدى بين شعرى ، وقلت بابتسامة غاضبة : يا إلهى ، إيه اللى إحنا بنقوله ده ؟ إحنا بنتعارك مع بعض زى الأطفال ، إحنا زوج وزوجة مش كده يا كيت ؟ لكننا حتى بنام فى حجرتين منفصلتين ، كل واحد بياكل لوحده ، وينعيش حياتنا منفصلين تماماً عن بعض ، أنا أفهم إن الوضع ده يستمر طالما أنا على خلاف معاكى ، أما إنك تكونى كده دايماً فدى حماقة ، إنت زوجتى ، لكنك بتفضلى لغاية نص الليل بره البيت ! فى عاداتنا لازم ألسن تطيع جوزها ، ومسئوليتها هى رعاية جوزها وولادها ، لما يرجع جوزها للبيت لازم تكون فيه ، حتى ولو كانت بتشتغل بره البيت.

فقلت كيت فى عصبية : عاداتنا ! عاداتنا ! أنت دلوقتى فى دولة تبعد عن وطنك مئات الفراسخ ، أنا مقدرش أشتغل فى البيت من الصبح لغاية الليل زى الخدمة اللى ملهاش أجر ، وفى الآخر أسمع كلامك اللى ملهوش معنى ، فى دولتنا للمرأة حق وأجر .

فقلت مبتسماً : اتكلمت عن حقك وأجرى . مش لازم تكررى الكلام ده تانى ، أنا ماكنتش عارف إن الستات هنا بياخدوا أجر على أعمالهن المنزلية ، ما أكثر الخدم فى البيت ده ، لو حصل وأعدتى فيه كل اللى

متعمليه إنك تراقبيهم بس، المرأة عندنا ليها مكانة مقدسة وليها شخصيتها المستقلة، مش ممكن نوفيها حقها فيما تتحمله من تعب ، إيه اللي إنت تعرفيه عن الجواز ؟ الجواز قانون ، وكل اللي تقدرى تعمليه إنك تلتزمية فى إطاره ، وواضح إنك حتى مش قادرة تتعهدى بالتزامك، النهاردة إنت فى مكان وبكرة فى مكان تانى .

وبدا أن كيت لم تستوعب شيئاً من حديثي ، لذلك رفعت كتفها، وقالت : مفيش حاجة من كلامك دخلت دماغى ، لكن لازم تعرف إن إحنا زوج وزوجة ! بنعيش مع بعض ! لكن مش لازم يتدخل أى واحد فينا فى شئون التانى ، أنا مش فاهمة حاجة من اللي كلمتنى فيها ، أنا مش عارفة ليه الست لازم تعيش أسيرة الراجل ؟ أنا مش موافقة على أن تكون المرأة فى قيد الرجل ، تنفذ احتياجاته فقط . أعتقد أن الجواز فى عرفكم هو الاستسلام لحماقات الرجال بس ، وإنجاب طفل كل سنة ، واندھشت من أسلوبها فى التفكير ! ولكى أتأكد من هذه المسألة سألتها: يعنى هذا أنك بتنكرى أن الزوج وزوجته شركاء فى السراء والضراء ؟!

وضحكت كيت وقالت : يا إلهى ، لا ، إنت عارف إنى كاثوليكية متعصبة ، إنت حطيت إيدك على نقطة ضعفى، الجواز يعنى المشاركة ، لكن المشاركة فى كل شىء ، ما تشكش فى إيمانى بالمسألة دى ، وإحنا فى الواقع مش شركاء ، فعلى الأقل أنا مبدخلش فى شئونك زى إنت ما بتتدخل فى شئونى ، فمثلاً أنا ماحبش أبداً إن يكون جوزى لاعب قمار رغم كده أنا ما شتكتش من الموضوع ده ، صدقتى صعب على جداً إنى أرد على أصحابى عند سؤالهم عن طبيعة شغلك .

ولأول مرة تلالأت بارقة أمل فى عيني ، وسعدت لأنها تشكو من شىء يتنافى والأخلاق ، وكانت هذه نقطة إيجابية اكتشفتها فى سمات كيت ، فمسكت بكتفها ، وسألتها: حقيقى اللي قولتیه ده ؟

قالت كيت وهي مندهشة : أيوة ، أيوة اللي قلتة حقيقي . أنا دائماً بنظر للموضوع ده على إنه شىء ترفيهي ، مش على إنه عمل دائم! وقبلت جبهتها ، وقلت : أنا كمان كنت بفكر في كده ، ولكن طالما إنى عرفت وجهة نظرك فأنا هسييه فوراً .

قالت كيت: في الحقيقة المسألة متفرقش معايا، أنا قلت رأيي فقط ؛ فقلت في لطف : لكن الموضوع مهمه بالنسبة لي . رغباتك ومقترحاتك مهمة بالنسبة لي ، دلوقتي تقدرى تساعدينى في الحصول على شغل مناسب ؟ وفكرت كيت قليلاً ثم قالت : كويس ، إنت عندك رأس مال ، وأنا ما عرفش إنت تملك أد إيه ، لكن فيه صديق لي يقدر يساعذك ، هو عنده شركة وعاييز مدير ذا كفاءة لعقد الاتفاقيات ، لو عاييز ...

فقلت على الفور وأنا أتذكر أصدقاء كيت : لا ، شكراً ، أنا هفكر في الموضوع ده ، وفهمت أنها استاعت منى ، ولكنى في الواقع لم أكن أستطيع أن أدخل في عمل مع شخص تحدثنى هي عنه .

حقيقة أن اقتراح كيت كان باعثاً مفاجئاً لي للتخلي عن لعب القمار ، بالضبط وكأنتى كنت منتظراً الفرصة ؛ لأننى لم تعد لدى الرغبة ثانية لهذا الأمر ، كنت أشعر بإحساس الضياع وعدم الاستقرار ، كنت أقضى أوقاتي منذ الصباح وحتى المساء وسط الدخان والشمالي والمتشردين والمفلسين ، و يوماً ما كنت أنفر من نفسى بسبب استمرارى في هذا الأمر. وعندما انصرفت عن هذا الأمر شعرت وكأنتى قد حررت روحى من أسرها. لا ريب أننى التزمت بما عاهدت نفسى به ، ولم أجلس ثانية على مائدة القمار، وكانت هذه أول وآخر تجربة سيئة مررت بها في الغربة. وجدير بالذكر أنه بعد التخلي عن عادتى صرت وحيداً

أكثر من ذي قبل ، لأننى قلما كنت أقابل أحداً من أصدقائى ، كما كانت كيت أيضاً مشغولة بعملها ، ولم تكن تمنحنى الفرصة قط لكى أتبادل معها أطراف الحديث ، وإذا ما جلسنا سوياً للحوار لم نكن نفهم حديث بعضنا البعض ، وتكون النتيجة هى الإحساس بالأسى .

أعترف أن تلك الأيام ، أيام كنت أشتاق فيها للتواجد بجوار شخص من نفس لغتى ، كى يجلس أمامى ويفهم رباعية من الشعر الإيرانى العذب ، كى أتذكر أشعار حافظ بصوت والدى الخافت المؤثر . لقد كنت كسولاً يوماً فى قراءة الشعر ، وكنت أفضل فقط الاستماع خلسة إلى ما يتردد على لسان والدى منها ، والآن لا أفهم لم تحرك أشعار حافظ حزنى الداخلى إلى حد يحثنى على البكاء الشديد ؟

- حجاب وجه الروح يصبح غبار جسدى ،
- ما أسعد تلك اللحظة التى أرفع فيها الحجاب عن ذلك الوجه .
- إن مثل هذا القفص لا يناسب من هو مثلى عذب الألحان ،
- وأمضى إلى روضة الرضوان ، فأنا طائر تلك الروضة .
- ولم يتضح لمَ جئت وأين مضيت ؟
- واأسفاه لأننى غافل عن نفسى (١) .

وقدمت ما لدى من مال إلى أحد أصدقائى الذين يعملون هناك فى تجارة الخشب . وبعد وقت قصير صرت شريكاً له فى رأس المال ، وذلك من الأرباح التى حصلت عليها ، وكان يحدونى الأمل فى المستقبل

(١) من أشعار لسان الغيب لحافظ الشيرازى .

وكنـت سعيداً حقاً لأننى انهمكت فى العمل ، وكان لتجارة الخشب سوق رائجة هناك نظراً لأن إنجلترا تشتهر من بين دول أوربا بإنتاجها له، كما كان صديقى يبدى رضاه الشديد عن عملى ، وكنـت أعلم أننى لو أصبر قليلاً سوف أصل إلى النتيجة المرجوة ، كما كان صديقى أيضاً تحذوه آمال كثيرة وعلى ما يبدو أننى أصبت الهدف حقاً .

الفصل العاشر

وفى فترة قصيرة - كانت من وجهة نظرى طويلة جداً - تمكنت من الوصول إلى هدفى القديم بالعمل والسعى ، جعلت من نفسى تاجراً موفقاً من خلال التجارة التى توارثتها عن أبى . تاجر إذا ذهب لعقد اتفاقيات الخشب لم يعد خالى الوفاض ، وبعد فترة - وبشكل سرى تماماً - حصلت على عرض مغر للعمل فى إحدى شركات الخشب . لا شك أننى كنت أكثر راحة ؛ لأننى أعمل مع صديق لى ، لكن عرض هذا التاجر الإنجليزى كان يشغل بالى ، وكنت أحصل فى الشركة مع صديقى على الثلث من الفائدة ، فى حين كان عرض ذلك التاجر الإنجليزى شيئاً آخر، فكانت الفائدة تزيد عن النصف تقريباً، بالإضافة إلى النسبة المئوية التى أحصل عليها عن كل عملية . وحينما عرضت موضوع فض الشركة على صديقى الذى كان يتولى منصب مدير الشركة، نظر إلى ثم قال : أرسلان ، أنا مش هاكذب عليك ، وجودك فى الشركة حقق لها مكاسب كثيرة ، وأنا فاهم كويس إنك تاجر محنك ، وكل مكان ليك فيه شغل ، وعارف كمان إنه تم تقديم عرض جيد ليك ، وعلشان كده عايز تسيبنى ، لكن إنت ما تعرفش إن اثنين من نفس اللغة يفهموا بعض كويس ؟

فسألته : إنت عرفت منين إن مقدم العرض أجنبى؟

فضحك وقال : لأنى يا صاحبى أعرف أسماء جميع التجار والشركات المنافسة ، وأعرف كمان إن مفيش إيرانى بيشتغل فى المجال ده غيرى .

فقلت له معذراً : إنت تعرف إنى إتجوزت ، ولازم أفكر فى رفع مستوايا ، أنا مقدرش أفضل كده مكتفى بوضعى الحالى .

فقال صديقى : معك حق ، لكن زى ما بنقول الطاحونة فى دورها ! منين جالك إنه هيلتزم بتعهداته إليك ؟ إنت بالنسبة له أجنبى ، وأنا ما شوفيتش ناس أبداً زى الأوربيين بيعبدوا جنسهم ، أنا إتعاملت معاهم ، لو حبوا يسلخوا جلدك ، وربنا بس اللى يرحمك ، ولو خدت القرار ده ، أتمنى لك التوفيق ، وأنصحك بأن تحافظ على طاقتك ، أنا مقدرش أديك أكثر من اللى بتأخذه ، لكن خلى بالك ، سلام الثعلب لا يخلو من الطمع ، فإن أكلنا أنا وإنت لحم بعضنا هنعافظ على العظام ، لكن الأجنبى مش كده مع الغريب عنه !

وفكرت لفترة فى حديث صديقى ، لكننى لم أستطع التخلّى عن العرض الجديد ، و لا أعلم لماذا لم أستطع أن أصرف نظرى عن عرض ذلك التاجر الإنجليزى مع إيمانى الراسخ بأن حديث صديقى منطقى وخال من الرياء؟ حسناً ، فهم يقولون إنها الأموال ، والمال له فوائد عديدة ، فهو وسواس بلا ضمير ، وأحياناً ينحدر بك من القمة إلى أسفل ، والبعض أيضاً يقول إن المال يندس اليد ، ولكن هم أنفسهم يقومون بعمل أى شىء من أجل المال ، ولنتغاضى عن ذلك ، فقد كان هذا العرض موضع اهتمامى ، لأن كيت أحسنت معاملتها معى بمجرد سماعه ، وهكذا ظلت عدة أيام كما كنت أريد ، وبالإضافة إلى ذلك كانت تهمس فى أذنى دوماً بأن هذه الفرصة لن تتأتى لنا ثانية . وفى النهاية ، ولأننى كنت أفكر فى استقرار أسرتى ورضا زوجتى ، قبلت العرض .

والآن انطوت فترة الابتعاد والتكدر ، وكنا أنا وكيت زوجين متحابين ، يعيشان معاً بصورة جيدة رغم نقاط الضعف الملموسة فى علاقتنا . الآن نحن مثل كل الأزواج والزوجات ، نسافر سوياً ونحضر

الحفلات سوياً ، كنا نجلس معاً مثل الكثيرين للحوار، ويبدى كل منا تعاطفه تجاه الآخر ، لكنى كنت أفكر حتى ونحن فى أسعد أوقاتنا فى مسألة ما، وهى كيف تغيرت كيت على هذا النحو دفعة واحدة ودون مقدمات ؟! ولا ريب أن ما كان يهمنى أكثر من تغييرها فى تلك الفترة هو تغيير أسلوبها. وكان تغييرها سبباً فى أن أغير أنا أيضاً بعض انطباعاتى فيما يتعلق بشخصيتها وفى النهاية ، وحتى أهدأ من فكرى، قلت لنفسى : إن هذه سمات بارزة فى النساء، حيناً يكن كالطوفان الجامح المدمر ، وحيناً آخر يكن مثل بركة هادئة ساكنة ، ويكفى فقط ألا تكثر بهن وأن تمتدح يوماً قدراتهن .

وكنت أزهو بنفسى لأننى فى الغالب قد تمكنت من إدراك نقاط الضعف لدى كيت ، وانقضت فترة تمكنت بعدها أن أصير رجلاً خبيراً ذا مكانة ، وأصبحت الآن أحد الدعائم الأساسية فى الشركة ، بالإضافة إلى أننى كنت شريكاً فى الربح والخسارة ، وكنت أيضاً الباعث الأول لإرباح الشركة ، وبناء عليه فأنا محق لو أقول إننى كنت الدعامة الأساسية للشركة ، وبالتالي تحسن وضعى المالى عن ذى قبل ، وكان هذا أمراً مرضياً إذا ما قارنته بمصدر دخلى السابق من الملهى . وعلى أية حال، كانت صداقتى لبعض الرفقاء الإنجليز ذات تأثير كبير ، وتدرجياً نسيت التعصب السابق بعد مشاركتى لحفلات البعض منهم . وفى المقابل كنت أرد حفلات أصدقائى بإعداد حفلات فخمة، وهذا ما أدى إلى اقتراب كيت منى أكثر، وكنا نقضى معظم الليالى حتى الفجر إما فى الحفلات أو فى استقبال الضيوف فى منزلنا .

وفى الحقيقة، لو لم يكن المنزل أمام عيني بعد كل حفلة بمثل هذه الصورة الفوضوية غير المنظمة ، لما كنت قد صدقت أن هذا الوضع هو

عين الحقيقة . يوماً بعد انتهاء كل حفل كان ضميمى الوسنان
يؤخرنى ، ويؤنبى على موت أصالتي ، وفى مثل هذه الأثناء كنت أحاول
الهروب من نفسى ، مما كنت فيه ، ومما أكون ، كنت أقول لنفسى يوماً :
لعله غداً ، لعلنى أفكر فى ذلك غداً . ولكن الغد كالأمس ، والأمس ككل
يوم . كنت أسير حتى أغرق فى نومة الإفرنج المليئة بالأمواج دون أن
أطلب مساعدة المنقذ .

وتوسعت فى العمل لدرجة اضطرت معها للسفر الى أقصى بقاع
الدنيا لعقد الصفقات ، وسافرت إلى اليونان ، وفرنسا ، وإيطاليا ،
 وأمريكا ، والسويد ، والنرويج ، واليابان والعديد من الدول الأخرى .
وبالرغم مما كان يعود على من أموال طائلة مقابل هذه الأسفار ،
إلا أننى كنت غير راض عن السفر ، لكن شريكى الإنجليزى كان يرى
أننى الوحيد الذى يستطيع القيام بهذه الأعمال ، وكان يوماً يضرب على
أوتار مشاعرى العاشقة للمال بتقديم عروض أفضل من ذى قبل .
حقيقة ما يقولونه كلما ازددت ثراءً كلما ازدادت رغبتك فى المال .

ورغم قدرتى على تدبير نفقات سفر أسرتى فى كل مرة ، لكن كيت
لم تكن ترغب فى مصاحبتي خلال هذه الأسفار ، وكانت حجتها عدم
تحمل الوحدة . كانت تقول : إننى أشعر بالوحدة حينما تكون مشغولاً فى
عملك فى هذه الدول الأجنبية . وما كان يحدث هو أننى كنت أسافر
وحدى وأعود محملاً بالهدايا التى تزيد فى كل مرة عن المرة السابقة
عليها .

وكان لزاماً على السفر إلى إيران لإبرام إحدى الاتفاقيات الخاصة
بالخشب ، وكنت سعيداً ومضطرباً فى آن واحد ؛ لأننى لم أكن أستطيع
أن أعلم ماذا سيحدث بعد هذه المدة الطويلة وأنا بعيد عن الوطن ، فإذا

ما سافرت سارى أسرتى وأهلى ، ولكن من ناحية أخرى لم أكن أستطيع أن أغادرها بمثل هذه السرعة لأن إيران هى وطنى الأم ، وعجزت عن إيجاد حل حتى ساعدتنى كيت فى اتخاذ قرارى ، وكنا فى تلك الليلة نتناول وجبة العشاء ، فسألتنى : إيه الموضوع يا حبيبى؟

قلت : مفيش حاجة مهمة ؛ فسألتنى : مش مهم لدرجة إنك متقولاهوليش؟ فرجعت للخلف ، وقلت : فى الحقيقة عرض على السفر إلى إيران لعقد اتفاقية لاستيراد الخشب منها .

فقلت كيت بنظرة يملؤها الدهشة : المفروض إنك تكون سعيد ! لكن إيه اللى مخليك حزين ومهموم ؟!

قلت : أنا مش حزين ، أنا بس متردد ، فى الحقيقة أنا عارف إننى مش ممكن أقدر أتغلب على مشاعرى ، تعرفى كام سنة بعدت فيها عن وطنى؟ وبعد كل الفترة دى مقدرش أستنى أكثر من عدة أيام ، من المؤكد أن أسرتى مش هتعذرنى ، قالت كيت: كويس ، إستنى فترة أطول .

قلت : مقدرش ، لازم أوصل الاتفاقية للشركة .

قالت كيت : اتكلم مع شريكك، ولو قبل سلم الاتفاقية للمندوب اللى هتاخدوا معاك وخليك إنت فى إيران كام يوم .

- فكرت قليلاً ثم قلت : من غيرك ؟

- انتظرت كيت قليلاً ثم قالت : أنا ما شوفتش إيران لغاية دلوقتى...

- فقاطعت حديثها وقلت : دى فرصة كويسة ، أنا هوريها لك ، وشعب إيران عشري ومضياف، اطمنى مش هيكون سئ بالنسبة لك ، وكمان والدى ووالدتى هيسعدوا كثير لما يشوفوكى .

وقرأت التردد في نظرتها ، ونظرت إلى بنظرة أحسست من خلالها أنها رأت في عيني الشوق والحنين ؛ لأنها قالت : يعنى عايز تقول أجى معاك؟ فمسكت يديها وابتسمت .

وحيثما تأكدت من موافقتها ، أعددت الترتيبات اللازمة لسفرنا إلى إيران ، وقبل أن يتم ذلك اتصلت بإيران تليفونيا وأخبرتهم عن قدومنا ، وفهمت من صوت أمى أنها سعدت للغاية ، فقد سألتنى بعد أن انهمرت في البكاء المتواصل عن صدق ما أقول ، وبعد ما اطمأنت سألت عن موعد وصولنا .

كانت مشاعرى كلها فى شوق لحضن أبى وأمى الدافئ ، فى شوق لهذا الجو ، لتلك الأرض ، لهؤلاء الناس ، لذلك المنزل .

وبعدما جلسنا فى الطائرة ، قالت كيت : أحب أوى أشوف البيت اللى كبرت فيه ، هو شكله إيه ؟

قلت مبتسماً وأنا أتذكر المنزل : بيت قديم ، بجدران أسمنتية وشبابيك ، وكبير جداً .

سألت كيت : أكبر من بيتنا ؟

قلت : أيوة ، أكبر ، هيعجبك .

وضغطت على نفسى ، وحتى لا يفتضح أمرى أغمضت عيني وتظاهرت برغبتي فى النوم .

وفى النهاية وصلنا إلى إيران بعد اثنين وعشرين ساعة ، وحيثما هبطنا من الطائرة كان الجو ممطراً ، وبلغت مشامى رائحة طيبة بسبب امتزاج ماء المطر بالتراب ، رائحة كنت أنا الوحيد الذى أستطيع إدراك

كنها . وقالت كيت : ليل طهران جميل. وقلت لها : إنت شوقتي فيها
حاجة؟!

ونظرت إلى الساعة ، وكانت الثالثة بعد منتصف الليل ، ولم أستطع
الانتظار ، وكانت أسرتي قد جاءت لاستقبالي ، وجاء جميع أفراد
الأسرة لاستقبالي ، كل من أعرفهم .

الفصل الحادى عشر

كان أبى مرتدياً طاقيته ذات الحافة وأمى بجواره تنهمر دموعها ،
وخلفهما أختاى مع زوجيهما ، تمسكان فى أيديهما أطفالهما ، وعمى
بشاربه الكبير يتوكأ على عصاه ، وعمتى أهو بعينيها الضيقتين ، وكانت
تحاول بصعوبة الرؤية بهما على من أمامها ، كل هؤلاء كانوا قد جاءوا
لاستقبالى ، وهذا ما لم أكن أتصوره . وقدمتهم إلى كيت وقلت : كيت ،
أهلاً بك فى بلدنا ، الجميع فى انتظارنا ، أراهن إن معظمهم جه علشان
يشوفك ؛ فسألت كيت فى حيرة وتعجب : كلهم ، علشان ...

وضحكت بصوت عال ، وقلت : إحنا لنا عادات وتقاليد فى آداب
الاستقبال والتوديع وحاجات تانية كثير هتفهميها بسرعة .

فقلت فى حيرة : كل دول كفاية لإتمام مراسم عقد جواز ؛ فقلت
فى كبرياء : إنت شوفتى حاجة ؟ إحنا أسرة كبيرة .

واكتفت بقولها " يا إلهى " وسارت معى ، وقدمت أختى الثانية باقة
من الزهور إلى كيت ، ورحبت بها بالفارسية ، وقبلتها بهدوء ، كما قبلنى
أبى وأمى ، ثم ضمت أمى كيت إليها بحرارة ، وتخيلت أن كيت سوف
تستاء ، لكن على عكس ما توقعت ، ابتسمت لأمى وشكرتها ، على الرغم
من أن أمى لم تفهم كلمة من حديثها .

وكانت عمتى أهو تمضى إلى الأمام وإلى الخلف كى تتمكن من
رؤية كيت بصورة أفضل ، وفى النهاية قالت : يا حاجة دى عينيها زى
القطعة . واعترضتها أمى على الفور قائلة لها : مرات ابنتى جميلة زى
القمر ، متقوليش قدامها الكلام ده لحسن تزعل .

فقلت وأنا أضحك : هي ما بتفهمش لغتنا ، سيبي عمتي يا أمي .
قالت الأم : يا بني ، دي بقت واحدة منا ، ويجب احترامها .

ووجهت حديثي إلى عمي : عمي الحبيب ، أنا مش موافق أصلاً إنك
تيجي هنا في الوقت ده من الليل .

ووضع عمي يده على كتفي ، وقال : إيه الكلام ده يا بني ! اللي جه
علشان يستقبل مراتك عدد قليل ، لسه فيه كتير منتظرين في البيت ، أنا
ما سمعتش كلام عمتك ، وقلت لازم أجى علشان أشوف مرات ابن أخي .
فحركت رأسي وقلت : ماكنش فيه لزوم للمة دي كلها ، لكن على كل
حال إنتم تعبتم ، وأنا ممنون لكم بالنيابة عن كيت ، هي متقدرش تتكلم
بالفارسي .

وكان يبدو أن كيت مرتبكة بسبب نظرات أسرتي ، فقلت للآخرين
مبتسماً : علشان خاطر ربنا ما تبصوش على المسكينة دي بالشكل ده .
قالت أختي : ما شاء الله دي جميلة أوى يا خويا .

قلت : أه لو كانت بتفهم ، إنت أخت زوج مهادرة ، وغالباً
ما هتكوني سبب بلائها .

فقالت أختي في استياء : نعم ... إيه الكلام ده ياخويا ؟ إحنا كلنا
بنحبها ، هو إحنا عندنا كام أخ ؟! لكن مفيش حد فينا في جمالها .
وضحك الجميع من حديث أختي ، كما ابتسمت كيت كذلك دون أن تفهم
شيئاً ، فهمست في أذنها : إنت سعيدة ؟ فأجابت : مش قدك ! فسألت
الأم : هي بتقول إيه يا حبيبي ؟ هي عايزة حاجة ؟

قلت : لا يا أمي ، بتقول إن أسرتك حسنة المعشر .

فقبلت أمي يديها مرتين وحمدت الله .

إنه لشيء صعب ألا يفهم الآخرون حديثك ، وأنا كنت عليماً بهذه المشكلة .

وعلى طول الطريق كنت أراقب بعينى بلهف شديد المناظر والشوارع والأماكن ، فهذه هي الأرض التى ولدت فيها . لم تتغير المدينة بشكل تام ، وحتى فى الليل كانت تبدو أيضاً جميلة . أثناء ذلك كنت أتحدث أحياناً مع كيت حتى وصلنا إلى المنزل ، وكانت زوجة عمى تنتظرنا بطبق فيه بعض الفحم والبخور ، وما أن نزلنا من السيارة حتى اقتربت منا ، وقالت :

– يارب ، أبعد عنهم عين الحسود والبخيل .

وكانت رائحة البخور من الأشياء التى افترقتها لفترة طويلة ، وطلبت من كيت أن تخفض رأسها حتى يلقوا به حول رأسها ، ونفذت ما طلبت وهى مندهشة . وجاء بعد ذلك دور الذبيحة ، فقد تعب أبى ، واشترى خروفاً حتى يذبحه تحت أقدامنا ، وبمجرد رؤية كيت طريقة ذبح الحيوان حتى ارتمت فى حضنى وأخفت رأسها فى صدرى ، فضحكت ، وقلت : إيه وجه اعتراضك ؟ إنتِ ما شوفتيش عمرك حيوان بيدبح ؟

ولكن لا مجال للعجب ، فهى ليست مسلمة ، فوضحت لها أن كل شخص غال يذبحون له هذه الذبيحة إذا ما عاد إلى داره بعد غياب طويل ، فقالت وهى مستاءة من عاداتنا : ليه قتلتم الحيوان الأخرس ده ؟

قلت : لما تاكلى لحمه هتقولى نفس الكلام ؟ كمان إنتِ فكرتى إزاي بيعيش البشر فى الدنيا دى؟ الله – سبحانه وتعالى – خلق الحيوانات لتأمين احتياجات الإنسان من اللحم والملابس ، العمل ده من وجهة نظرك عمل وحشى لأنه تم أمام عينيك ؟ أنتِ بتتصرفى زى ما يكون ما روحتيش مرة واحدة فى عمرك للصيد ، أنا مش عارف ليه دايمًا عايزة

تخلي عاداتنا موضع سؤال؟ أنا أراهن بأنك هتغيري وجهة نظرك دي مع تناول أول قطعة من الكباب .

مسكين والدي ! لقد كان يظن أنه بهذا العمل يعرب عن محبته إلى العروس الأجنبية ، فى حين أن الله وحده يعلم كم من الوقت مضى وكيت تتحدث عن تصرفنا هذا على أنه عمل وحشى . أتذكر أنه فى إحدى المرات التى انتقدت فيها عاداتنا ، قلت لها : يا هانم خلي بالك إن إحنا بنقطع رؤوس الحيوانات ، مش بنصنع قنابل ذرية ونقتل فى الناس ، وأظن إن اللى بتعملوه أكثر وحشية من اللى بيعملوه الإيرانيون المؤمنون بعاداتهم وتقاليدهم .

فردت فى عصبية : ليه سبت وطنك وجيت بينا احنا القتلة؟ هم مارحبوش بك فى وطنك ؟

ولم أجد رداً مناسباً، لذا التزمت الصمت ، ونظرت إلى أمى- التى كانت ترد على بنظرتها المشتاقة - وإلى أبى الذى لاحظ أننى أريد شيئاً - وإلى أصدقائى ومعارفى ...

أتريدون الصدق؟ إنتى كنت أعلم جيداً أن مكانى بينهم، بين أشخاص لم يروا قط طوال عمرهم مائدة القمار ، أناس لا يعلمون سوى مكان إقامتهم وبيتهم ! لا ريب أنهم كانوا يبحثون عن السعادة فى نفس المكان ، عن سعادتهم وأحلامهم الصغيرة !

وجعلت أمى حجرتى تحت تصرفنا ، وقالت : مادخلتش فيها حد خالص ، كنت عارفة إنك هتيجى فى يوم من الأيام.

قلت : أمى ، أنا مش هستنى هنا غير كام يوم ، ربما شهر أو أقل. أنا جيت لعقد صفقة ، وقلت فى نفسى أطلب عليكم فجأة ، فنظرت أمى بحنان إلى كيت ، وقالت : خسارة إن إحنا ما بنقهمش كلامها .

قلت : هي كمان مش فاهمة كلامنا ، ربما يكون ده أفضل ، ولو كان العكس لسألتك عن كل حاجة.

قالت الأم : إيه الكلام ده يا حبيبي ؟ هي دلوقتي صاحبة البيت زيك تماماً .

فقبلت جبينها ، وقلت : والله يا أمي لو كانت تعرف أد إيه إنت حنونة لفضلت هنا للأبد ، في بلاد الإفرنج ماتت المشاعر والأحاسيس ، أما الشرقيون فما زالت لديهم رائحة أزهار الإنسانية .

وسألت الأم في رجاء : هتفضل هنا ؟ لو هتخليك هنا أقول لوالدك يشتري بيت ليك .

فقلت في ابتسامة : لا يا أمي ، أنا مسافر ، كمان أنا مش مفلس ، أنا لو عايز أعود أقدر أشتري منزلين أو ثلاثة .

وكانت كيت تنظر مندهشة إلى منزلنا الذي كان بناءً عتيقاً ، وكنت قد أعددت نفسي للرد على أي نوع من أسئلتها الهجومية ، على الرغم من أن هذا السلوك لم يكن فيه أي تعقل . وفي الليلة الأولى من إقامتنا ذهبنا إلى الفراش ولم نتحدث عن أي شيء ، وفهمت بوضوح أنني لن أقضي هنا أياماً جميلة ؛ لأن كيت كانت مرتبطة بأهلها ، ولم أكن أستطيع أن أفرض عليها مبادئ أهلي وعقائدهم .

وفي الصباح قمت من النوم مبكراً دون أن أفهم السبب ، وكانت كيت كعادتها قد ألقت بغطائها عنها ، فغطيت وجهها ، وخرجت من الحجرة بهدوء ، ونزلت السلم . كان الجو يغلب عليه الضباب ، وكنت أسمع جيداً همسات والدي في مناجاته ، وعلى الفور جلست على حافة الدرجة الأولى من السلم المواجه لباب الطابق الأول ، وأصغيت : إلهي ، يا إلهي ، اجعلنا من عبادك الصالحين ، ولا تجعلنا نخطو خطوة خلاف

ما تريد ، لا تتركنا لحالنا ، ولتجعل أبنائنا من عبادك المخلصين ،
وألبسهم لباس العافية والصحة ، وأهديهم إلى الطريق الصواب .

وكنمت الحزن بداخلي ، وأردت اللحظة أن أضع رأسي فوق ركبتي
أبي ، وأن أبكي بحرقة ، وأحل عقدة قلبي ، وفكرت في نفسي : ماذا
فعلت من أجل أمي وأبي ؟ كيف كنت ابناً لهما ؟ وهل في الأصل كنت
أو أكون إنساناً ذا فائدة ؟ من أنا ؟!

ونهضت من مكاني ، وتوجهت إلى الفناء ؛ حيث كان بعض الشيوخ
يتجاذبون أطراف الحديث ، ولم تكن لي طاقة لسماع حديثهم ، فخرجت
من المنزل ، وسلكت طريقى بلا هدف .

ولم تتغير ضاحيتنا قط ، وكالعادة كان محل الخبز يعمل منذ ساعات
الفجر ، وألقيت التحية على أحد جيراننا القدامى أثناء عبوري بجانبه ،
لكنه اكتفى بالرد الفاتر ، وفيما يبدو أنه لم يتعرف عليّ ، فنظرت إليه ،
وابتسمت ابتسامة مرة . إذن فقد تم نسياني من قبل الكثيرين ؛
فما كنت أتوقعه من أن الجميع يتذكروني كان كثيراً ، فأى شيء كنت من
قبل حتى يشعر بعدم وجودي ؟

وبعدت عن محلاتي ، وظهرت الشمس من خلف الجبال الشرقية ،
لقد طال الوقت الذي لم أر فيه شروق الشمس . أى إحساس جميل هذا !
إنه إحساس الضياء .

أى إحساس جميل هذا أن تكون في منزلك ، تتناول وجبة الإفطار
وفيهما الخبز الجاف والقشدة ولبن الماعز ؟

ونظرت إلى ساعتى ، ومع إدراكي للوقت أسرع في خطواتي ،
وحيثما وصلت إلى المنزل ، وقبل أن أضع يدي على الجرس ، فتح الباب ،
وكانت أمي بعينيها القلقتين ، فألقيت السلام ، وأغلقت الباب خلفي .

- كنت فين يا حبيبي ؟ كنت قلقانة عليك .

فقلت في لطف : هو مش مسموح لى أتمشى فى المكان اللى اتولدت فيه ؟

فقالت الأم : لا ، ولكن واضح إن زوجتك كانت زعلانة ، واللى فهمته من كلامها هو اسمك بس .

ونظرت إلى أعلى ، ورأيت كيت خلف النافذة بشعرها الأشعث وكانت لا تزال فى رداء النوم ، فاستأذنت أمى وصعدت بسرعة . وحينما دخلت الحجرة ، أسدلت الستار ، وقلت : إنت مش عارفة بتعملى إيه ؟ إنت عايزة تخرجى والدى؟ وقفتى ورا الشباك بقميص النوم وشعرك مكشوف كده؟

- إنت رحت فين ؟

- رحت أتمشى .

- لما قمت ما كنتش موجود .

- مقدرتش أنام أكثر من كده .

- إنت ليه نزلت الستارة دلوقتى ؟ أنا عايزة أشوف الشمس .

- بالتأكيد إنت بتهدرى ؟

- جاز إن انت اللى بتهدر ، أو جاز ده أول يوم تشوفنى فيه بقميص

النوم .

ومررت يدي بين شعري ، وأجلستها برفق فوق السرير، وحاولت إقناعها بهدوء : بصى يا كيت ، هنا بلد شرقى ، مختلف تماماً عن بلدك! وأهل البلد دى عندهم أفكار سيئة عن النساء اللائى بلا قيد أو غطاء

للرأس، لازم تحاولي طول إقامتنا في البلد دي إنك تحترمي عقائدهم وأفكارهم .

وكانت تنظر إلى في دهشة ، لذا تابعت حديثي بصورة أبسط من ذي قبل ، قائلاً : كيت ، الناس بيعتبروا أسرتي من الأسر المتدينة ، ومفيش مخلوق غير محرم لغاية دلوقتي شاف شعرة واحدة من شعر أمي أو أخواتي . إنت فاهمة الصلاة والصوم والدعاء والمسجد ؟

إلهي ، لقد استاعت كيت ، وبدأت في البكاء ، فجلست بجوارها ، وقلت لها في لين : كيت ، مش مفروض تبكي ، لحسن أمي تفكر إننا بنتخاف . إنت مش طفلة ، وأنا ما طلبتش منك حاجة كبيرة ، أنا عايز بس في الفترة ألي إحنا فيها هنا تهتمى أكثر مما مضى بملابسك .

قالت كيت وهي تبكي : لكن أمك ما نتقدتنيش لما شافتنى ؛ فسألتها في حيرة واضطراب : إنت... أنت نزلت باللبس ده ؟ وسألتها ثانية وأنا متردد : والدي شافك هو كمان ؟

وأجابت كيت في برود : أيوة، أعتقد كده .

- إلهي ، إنت مجنونة ، وهتجنتيني في الآخر .

ومن فرط خجلي لم تكن لي القدرة على مواجهة أبي ، ويبدو أن كيت فهمت ذلك أيضاً ؛ لأنها جلست أمامي لدقائق ساكنة ، تحاول أن تفهم الموضوع ، وكانت تنظر إلى بطرف عينيها ، وظللنا صامتين حتى سمعنا طرق باب الحجرة يكسر الصمت بيننا ، وكانت أمي :

- يا بني ، الفطار جاهز ، أبوك راح يجيب العيش الناشف.

ونظرت أمي إلى كيت بقلق ، ثم تركتنا ، وكنت أفهم تماماً سبب قلقها ، فقلقها كان بسبب ملابس كيت ومظهرها .

وقلت بهدوء : كيت ، ممكن من فضلك تغيرى لبسك ؟

وانشغلت كيت فى تغيير ملابسها ، واستفدت من الصمت الذى كان بيننا ، وقلت لها : أقدر من فضلك أفتح شنطتك ، وأتمنى إنى أساعدك خلال الفترة دى فى اختيار ملابسك ، وكانت نظرة كيت جافة مستاءة .

الفصل الثانى عشر

استبعدت بعض الملابس الخاصة بكيت تماماً ، وأنذرتها بعدم استخدامها خلال فترة إقامتنا ، والبعض الآخر وضحت لها كيفية استخدامه.

كنت أشعر للمرة الأولى أنه يجب أن تكون لى الكلمة الأولى والأخيرة فى حياتنا ، وكنت أعلم أن كيت سوف تتخيل أنتى أتعامل معها كأسير فى القيد ، ولكن الشيء الوحيد والمهم الذى كنت أفكر فيه هو إرضاء أسرتى وحفظ ماء وجه أبى . لم أكن أريد خلال فترة إقامتى أن أكون سبباً فى استيائهم ، لذلك كنت مستعداً لقبول عواقب هذا الأمر من قبل زوجتى .

وعلى أية حال ، رغم أن علاقتنا لم تكن دافئة أو حميمة ، لكنها كانت تمر بشكل جيد أمام أسرتى مع ما كان يتوفر من كرم الضيافة ، وبعد مرور أسبوع واحد بدأ همسها لى بالعودة بسبب ما كنت أقوم به من تحديد لتصرفاتها .

ومع هذا كان الأهل والمعارف يقومون بدعوتنا إلى منازلهم على سبيل الفضول واحترامهم لأبى ، وكانت الولائم تعد لنا كل يوم احتفاءً بنا ، ولكن فيما يبدو أنها لم تغير ما كان فى نفسية كيت ، وظلت على إصرارها فى أن نعود إلى إنجلترا . إنها كانت تعشق الابتذال أكثر من الحرية ، وهذا ما ثبت لى خلال الفترة التى قضيناها فى إيران .

واستمر الجدل بيننا حتى ذلك اليوم الذى عاد فيه ابن عمى المتفرنج إلى الوطن بعد غياب لعدة أعوام ، وكان منذ طفولته يعشق

أوريا، وفي النهاية سافر إليها على نفقة والده ، ومن حسن طالعنا أنه عاد إلى إيران بعد عدة أيام من إقامتنا . كان يجيد اللغة الإنجليزية ، كما كان يفهم حديث كيت بسهولة ، وحضوره كان مصدر قلق بالنسبة لي ، وكذلك مصدر سعادة.

كان القلق بسبب أنه على الرغم من أن الدم الإيراني يجري في عروقه ، إلا أنه كان ينحومني الغربيين ، فكان بلا ضابط . أما سعادتي فكانت لأنني أخيراً وجدت شخصاً من عائلتي كان يحوم حول كيت كالفراشة ويحظى باهتمامها .

واعتقد بلا شك أن كيت كانت سعيدة من وجود ابن عمي ، حيث كانت تنظر إلى كل تصرفاته وأفعاله بعين التأييد ، وكان في حديثه مثلها تماماً ، ولك أن تتخيل كيفية سلوكهما مع بعضهما البعض ؛ فكانت علاقتهما منفتحة وبعيدة عن الحياء إلى حد ما ، لدرجة جعلت أبي يلفت نظري إلى بعض الأشياء . والواقع أنني كنت ملاماً أيضاً ، لأنني لم أقف أمام كيت منذ اليوم الأول ، وكان كل ما يهمني فقط أنها شغلت بشيء جعلها تكف بعض الشيء عن المطالبة بالعودة إلى بلدها .

ولا يغيب عن ذاكرتي أول يوم للتعارف بينهما ، فقد ضغط ابن عمي سينا بشدة على يد كيت ، وامتدح جمالها ، ولم يكن لشخص حولهما القدرة على فهم ما يقولانه . وكانت كيت تقول لي أيضاً إنها لا تصدق أن لي ابن عم مثل سينا مع ما لديها من معرفة بي . كانت تقضي معظم أوقاتها مع من يعرف لغتها ، فكانت تنتزه مع سينا ، حتى إنها كانت تتجاذب أطراف الحديث والمزاح معه بين الناس ، كان هذا يتم رغم أنني قد شرحت لها من قبل بعض ما يتعلق بعاداتنا بالتفصيل .

حتى والد سينا - أى عمى - كان قلقاً أيضاً بسبب هذا الموضوع ؛ لأنه قد طلب من سينا العودة إلى إيران كي يخطب له فتاة طيبة نجيبة ، ولهذا لم تكن هذه الأوضاع وفق مراده ، وكان من قبيل الحماسة أن أتحدث مع سينا ؛ لأننى كنت مشتاقاً أكثر منه لزوجتى. إنها لم تكن تتمكن قط من قبول هذه الحقيقة المرة ، وهى وجوب التصرف وفقاً لسنها ، فكانت تتصرف دوماً كالبنت اللائى ليس لديها تجارب ، ومع رؤية أول رجل يحوم حولها كانت تتسرع فى التعامل معه . وأحياناً كنت أشتاط غضباً من تصرفاتها وأفعالها ، وكنت أتمنى لو أستطيع أن أختقها بيدي . والآن أصبحت أحاديث الأسرة العلنية همسات وكنت أتجاهلها ، لكننى كنت أغلى من الداخل ؛ فكانت نظرات الآخرين ثقيلة وكأنهم كانوا يتهمون بها حميتى. ومن ناحية أخرى لما كانت كيت وكذلك سينا كلاهما من الأسرة ، لم يكن يسمح لشخص لنفسه أن يتدخل أو يتحدث فى هذا الأمر ، ولم يكن بوسعى أنا الآخر أن أعود بهذه السرعة، لارتباطى بعقد الصفقة بعد أسبوع.

وذات ليلة كنا نتناول قسماً من الراحة فى منزل والدى ، جاء سينا، وقابلته بفتور أكثر من أى وقت آخر ، لكنه لم يهتم بسلوكي وأخذ يبحث عن كيت ، فعلى الدم فى جسدى ، وسألته : إنت بتدور على مراتى؟ إزاي تسمح لنفسك بكده ؟

وابتسم سينا ، وقال : استنى يا أرسلان ، إنت متقدرش تدعى إنك بعد ما قضيت الفترة دى كلها فى أوربا، وبعد جوازك من أجنبية ، لسه جواك نفس العصبية وعدم المنطقية السابقة ؛ فقلت فى عصبية : إنت اللى غير منطقى لإنك نسيت نفسك ، يعنى إنت فى درجة من الغباء خلبيك مش قادر تفهم إن شرفى هو شرفك !! أنا فى داهية ، فعلى الأقل فكر فى كرامة والدك .

وضربنى سينا ضربة خفيفة على كتفى وكأنه ينظر إلى حركاتى
بنظرة سخرية ، وقال : أنا وعدت كيت إنى أودىها الوادى ؛ فقلت : أنا
أقدر أعمل الموضوع ده فلا داعى للتعب ، وبينما نحن منهمكان فى
شجارنا ، نزلت كيت وهى مستعدة . لعلى آخر من يعلم بالموضوع !!
وما أن رأت كيت سينا حتى قالت فى سرور ودون أن تهتم بوجودى : أنا
سعيدة إنك جيت ، أنا جاهزة .

فقلت فى غضب : على فين ؟ مش هتخرجى لأى مكان فى الساعة
المتأخرة دى من الليل بدون إننى .

وخرج أبى وأمى على أثر صوتنا ، وقالت كيت : أنا مش سجينتك،
ومضت ناحية سينا ، ولكن قبل أن تمر من أمامى ، مسكت بيدها ،
فسحبته ، فاشطت غضباً ، وصفعتها صفعة قوية على خدها ، ثم
تشابكت مع سينا ، وهنا تقدمت أمى مهرولة حتى تأخذ كيت فى
حضنها ، لكن كيت دفعته بعصبية وصعدت .

ومع تدخل أبى انفصلنا أنا وسينا ، لكن أوضاع كل منا كانت
تدعو للأسف ، فالأردية ممزقة ، والجروح على وجهينا وجسدنا ،
وشعرنا مشعث ، وكانت هذه المسألة مفيدة إلى حد ما ، فعلى الأقل لم
أر سينا ثانية حتى وقت رحيلنا . وعلى الرغم من أن كيت لم تخاطبنى
لمدة يومين ، وكانت تسيء معاملتى ، إلا أنها اضطرتنى للذهاب إليها ،
وطلب الصفح منها بسبب ضربى لها .

وبعد أيام ، مضيت لعقد الصفقة ، ومع أنه كان من المقرر أن أسلم
الصفقة إلى مندوب الشركة ، إلا أننى عقدت العزم على المبادرة بالعودة
إلى إنجلترا ، وكانت هذه رغبة كيت أكثر من كونها رغبتى ، وحينما
أعلنت عن عزمى هذا ، توجهت لحجز تذاكر السفر دون الاكتراث بىكاء
أمى وتوسلاتها أو بإصرار والدى على مد فترة إقامتى ، وكنت أعلم

جيداً أن الجميع يفهمون سبب عودتى السريعة. وجاء يوم الرحيل ،
وقبلت أبى وأمى ، ولا أعلم لم فكرت فى أن هذا اللقاء سيكون الأخير ؟
فكنت أشعر فى نظرتيهما بالشفقة من أجلى ، وهذا ما كنت أنفر
منه دوماً .

وحينما ركبنا الطائرة اضطرب قلبى ثانية ، ولكن كان ثمة شيء
آخر فى وجه كيت ، وكأنها قد تحررت من قفص ضيق مظلم ، وأشحت
بوجهى بعيداً عنها ، لأننى كنت أشعر أننى ضقت ذرعاً من شدة
الغضب. لا أعلم لم كنت أفكر فى أن جميع التصرفات التى بدرت من
قبلها كانت عن عمد ؟ وهكذا كان السكوت بيننا مرأ ، وبدأت هى
الحديث للمرة الأولى لتكسر هذا الصمت : أنا فاهمة إحساسك ،
وحركت رأسى ببرود وظللت صامتاً .

- أرسلان ، أحب إنك تصدقنى ، أنا ما ليش ذنب فى الأحداث
اللى حصلت.

- وحينما لم تسمع جواباً ، استمرت فى تهدئتى :

- إنت فى الحقيقة راجل سعيد الحظ ، أنا سعيدة لأن ليك أب وأم
بكل الحنان ده .

- وكانوا حنينين معاكى إنتِ كمان .

- فطأطأت برأسها ، وقالت بهدوء وهى تلعب بأظافرها : لكن مش
أدك ؛ فقلت فى سخرية : اللى بتقوليه مش مضبوط .

- لكن إنت عارف إنى باقول الحق ، فالأب طول الفترة دى
ما خدنيش فى حضنه مرة واحدة ، ودايماً لما كان بيسمعنى يخلى رأسه
تحت ، وإنت عارف كويس إنى كنت بينهم غريبة.

- مسكين يا أبى ! مع كل ما لديك من حب وكرم ضيافة ، كان جزاؤك من كيت اللوم ليس إلا .

وقلت فى برود : إيه اللى خلاكى تعرفى إنك محقة فى كل اللى بتقولىه ؟ إنت تعرفى إيه عن محبة القلب ؟ خلال الفترة دى كلها كنت بتبعدى نفسك عنهم ، وكأنتك جنس أسمى ، وكانت حجتك هى عدم معرفتك باللغة . وهما كمان ما كانوا فاهمين لغتك ، لكنهما سعيًا خلال هذه المدة ليجعلاك فى أسعد حال . لبتك تكونى منصفة ولو بقدر قليل . دلوقتى إحنا هنعود لبلدك ، للمكان اللى بتفتقدى فيه ذرة من هذا الحب الطاهر الخالص حتى فى أجمل مكان فيه ، للمكان اللى بتلجأى فيه لإقامة الاحتفالات لتسكين القلب الكسير وشغل وقت فراغك .

واستاعت كيت جداً ، وحين رأيته تنهض من مكانها وتذهب إلى مؤخرة الطائرة ، كنت أعلم أن وصول الترياق بعد موت سهراب لا طائل منه .

فكرت فى أن الجدل لا فائدة منه الآن ، وها قد أصبحنا أنا وهى بمفردنا ثانية ، وثمة حقيقة ، وهى أننا نحتاج إلى بعضنا البعض ، واحتياجى لها أكثر ، فكرت فى أنها زوجتى وشريكة حياتى ولا داعى لأن أعمل على تغييرها دفعة واحدة ، فكلانا يحتاج لفرصة أكبر لتحقيق حياة هادئة بلا مشاكل .

وقد تحقق لى الهدوء النسبى عندما فكرت فى هذه الآمال وتلك الأحاسيس الجريحة .

ولكن بدلاً من الاختناق كمدًا كان من الأفضل أن أصير أكثر هدوءًا حتى أتمكن من السيطرة على نفسى .

الفصل الثالث عشر

مرة ثانية ، عمل ، عمل ، وعمل فقط ، تماماً مثل الإنسان الآلى ،
تماماً وكبرنامج قد حدد من قبل ، مثل شريط قد ضبط اللحن فيه على
نمط ونسق معين ، ثم يبدأ فى عرض ما بداخله مع ضغط الزر .

كان كل منا مشغولاً فيما يخصه ، ولا شك أن كلا منا كان يرغب
فى ألا يزعجه الآخر . ومضت فترة وتمكنت من شراء عدد آخر من
أسهم الشركة ، وبناء عليه صرت أكثر قرباً من مديرى الإنجليزى .
وذات ليلة دعانى أنا وكيت إلى منزله ، وفى ليلة أخرى دعوته إلى منزلنا .
وعلى هذا النحو ازدادت أواصر الصداقة بيننا ، إلى حد أن كلا منا كان
ينادى الآخر باسم مختصر ، وكنا نذهب سوياً للترحلق على الجليد، كما
كنا نسافر معاً ، وكانت كيت تصاحبنا فى كل هذه الأحوال، وحينما
اقتربت منه بعض الشيء أثار عدم زواجه فضولى، وكنت أعلم من قبل
أنه انفصل عن زوجته بسبب عدم توافق الطباع بينهما، وحينما سألته لم
لم يتزوج ثانية ؟ أجابنى بأنه يفضل حياة العزوبية عن الزواج .

حقيقة كنت سعيداً بحاله فى تلك الفترة، ورأيت أنه سعيد الحظ
وأنا سئ الحظ، أنا الذى يجب على أن أتحمل كيت يوماً، وأنتظر الغد
فى يأس . أحياناً كنت أسأل نفسى عن سبب إهمال كيت لى ؟ لم يضيع
الرجل العاقل الوقت الذى يكون فيه خالى البال ؟ ما العشق ؟ لقد أصبح
كالرياح الخفيفة على الوجه، تتمحى بإشارة إصبع ! هل أسعدت قلبك
حين أصبحت عاشقاً وتزوجت ؟ لك من العمر واحد وثلاثون عاماً،
ونسيت ميلادك ، والآن ليس لديك طفل حتى يناديك بكلمة بابا !! وفى
النهاية لمن تريد كل هذه الأموال ؟ كيت تعتقد أن الطفل سوف يقيدها،

ومعنى هذا أنه يجب على أن أتخلى عن هذه الفكرة، ولم أكن أستطيع أن أجبرها على قبول رغبتى؛ لأنها كانت ترى أنه حينما تكون أمًا لطفلى سأعهد إليها وحدها بتربيته .

وفى تلك الفترة ، لجأت إلى احتساء الخمر من فرط ما كنت أشعر به من العزلة والوحدة ، وتسبب ذلك فى أن أفقد وعى لعدة ساعات . لاأتذكر بالضبط ما الذى جعلنى ألجأ إلى ذلك فى أول مرة ، ولكننى أعلم جيداً أننى كنت مع فرانك ، شريكى !

ذهبنا سوياً إلى الملهى وكنت حزيناََ معموماً ، وكان نصف متنبه ، ومد لى كأس الخمر فنظرت إليه غير مصدق ، وحركت رأسى للرد عليه بالنفى ، ثم رددت يده ، لكنه مد يده إلى ثانية ، وقال :

- اشرب يابنى دى هتريحك !

- شكراً فرانك ، لكنى مش قلقان للحد اللى يخلينى فى حاجة للشرب .

- خد ، اشرب ، أنا مش فاهم أبداً ليه إنت خايف للدرجة دى من الشرب ؟ ما تخفش ، مش ها يحصل حاجة ، لو ما كنتش شوفت كيت لتخيلت إنك بتخاف منها .

- الموضوع مش موضوع خوف أو أى حاجة ثانية ، الموضوع خاص بى ، أنا ما حططهاش على شقايفى أبداً .

- كفاية ، يعنى من وقت مجيك هنا لغاية دلوقتى ما شربتش خمر .
- لا !

- إلهى ، إنت ميكائيل الملاك ! إنت عايزنى أصدق كلامك ؟ طب خد شقطة واحدة وبعدها هتحس بتأثيرها .

وأخذت كأس الخمر وأنا متردد كالمذنب وقت ارتكابة الذنب ،
واحتسيت جرعة قليلة كما قال لى ، وكان فرانك يتحدث وكنت أضغى
إليه ، ولكن بعد مضى نصف الساعة لم أكن أفهم شيئاً من حديثه ، كنت
أراه فقط بشكل مشوش وهو يتحرك بهدوء ويتحدث إلي ، كنت أرغب فى
النوم إلى الأبد ، وعلى الدوام كان فرانك يملأ كأساً أخرى ويضعها بين
أصابعى ، وكانت رأسى تدور ، وكذلك كل شيء ، كنت أرى صورة أبى
وكذلك أمى وهى تجلس على السجاد مخنفيه فى عباءة الصلاة
المزركشة، وجيتى بعينيها الباكيتين ، وكيت وهى سعيدة مسرورة.

وملأت بنفسى الكأس الثالث ، كنت أشعر بأن جسدى كله مخدر
انعدم الإحساس فيه ، كنت أريد حجر أمى ، تمنيت وجود أمى كى أضع
رأسى على حجرها ، وأخلد للنوم الهادئ وثقلت أهدابى ، بعد ذلك
لم أتذكر شيئاً آخر .

وحيثما فتحت عيني ، كان الضوء يؤذيها ، وكانت رأسى كالريشة
الخفيفة التى لا ثقل لها ، وشعر رأسى كله يؤلمنى ، رغبت فى النوم
ثانية، لكننى ما إن رأيت الساعة قد تجاوزت الحادية عشرة صباحاً حتى
نهضت بسرعة ، وخرجت من الحجرة وضحكت كيت عندما شاهدتنى ،
وألقت على تحية الصباح ؛ فسألتها :

– ليه ما ندهتيش على ؟

– أنا ناديت عليك كثير ، لكنك كنت فاقداً للوعى ، قولى عملت فى
نفسك إيه إمبارح ؟

ومع تذكرى الليلة أمس عجزت رأسى عن التفكير ، ماذا كنت
أفعل ؟ ماذا حدث لى ؟ وحاولت أن أضغط على نفسى حتى أتذكر
ما تم : أنا كنت مع فرانك .

وقالت كيت فى سخرية : أيوة ، عارفة إنك كنت مع فرانك ، لأنه
وصلك البيت وإنت سكران وفاقد الوعي ، كنت فى حالة مقدرتش فيها
تخلع حذاءك ، وكنت مندهشة لإنك قلت لى إنك ما بتشربيش الخمر أبداً ،
فتصور الوقت اللى أشوفك فيه وإنت شارب حتى الثمالة ، أى حال أكون
أنا فيها . لازم تشرب بقدر بسيط .

من العار أن تعلمنى امرأة أوربية الأدب والرسوم ، امرأة تشرب
على الأقل كأسين أو ثلاثة فى كل مجلس ، واستأأت من نفسى ، وكنت
كالجبان الذى يخفى نفسه وراء زجاجة الشراب ، وخرجت من المنزل
دون أن أقول كلمة ، ومضيت إلى الشركة .

وابتسم فرانك حين رآنى ، وقال :

— واضح من عينيك إنك كنت نايم لحد ساعة واحدة .

وقلت غاضباً دون مقدمات : إية اللى قصدته لما رجعتنى البيت وأنا
فى الحالة دى ؟

فقال فرانك بنظرة سخرية وفى استهزاء : أتمنى إن ما يكونش
قصداً أنك كنت عايز تنام الليل فى المحل !

ثم قال بشكل جدى : إنت شربت برغبتك ، وكثرت منه ، مفيش شك
إن الزيادة عن الحد مش مطلوبة ، لإنك هتتعود عليه بعد كام مرة .

لم ألت فرانك بدلاً من لوم نفسى ؟ لعلى أردت أن أجعله شريكاً لى
فى ذنبى ، لاشك أننى لم أكن أستطيع أن أدعى أننى شاب مغمض
العينين والأذنين قد غرر بى ؛ فقد كنت رجلاً بالغاً أعلم جيداً حقيقة
كل شىء .

ولاشك أن هذه المرة لم تكن الأخيرة التى قمت فيها باحتساء
الخمير، بل كانت بداية الخطأ الكبير وعدم السعادة . كنت أرغب فى أن
أعترف بخطأى إلى أى شخص ، مثل أمى ، التى يثقل عليها حمل هذا
العذاب ؛ لأنها واحدة من أكثر الناس تدينًا على وجه الأرض ، لقد كانت
طاهرة إلى حد أننى كنت أفكر يوماً فيها إذا ما وصف المسيحيون
السيدة مريم؛ فكانت تتأذى يوماً من مثل هذه الأعمال القذرة ، وكانت
يوماً تشكر الله حينما تسمع حكايات الآخرين ، وتقول : حمداً لله أننى
لست مكانهم .

والآن ينزلق ابنها بمحض إرادته فى هذا المنزلق . ومع دخولى فى
دنياهم تغيرت أخلاقى ، ولم أشد مع كيت ثانية مثلما كان يحدث فى
الماضى ، ولم أنتقد عاداتها وتقاليدها . لا أعلم ، ربما تكن مجالستى
لفرانك بلا تأثير ، كنت أذهب معه إلى أماكن لم يكن لى طوال حياتى
علم حتى بأسمائها ، كما أننى قلت من فترات تواجدى مع كيت .

وبعد انقضاء فترة على تعارفى بفرانك ، أكثر من زيارته إلى
أسرتنا إلى أننى أصبحت لا أنظر إليه على أنه صديق ، بل كنت أنظر
إليه على أنه فرد من الأفراد الأسرة .

لقد كان حقاً صديقاً وفيّاً ملازماً لنا فى السراء والضراء على حد
سواء ، كما أننى كنت اعتدت على تواجده ، قد اعتدت على حضوره
فجأة ومضية دون علم ، وكانت كيت أيضاً تكن له كل احترام ،
وكانت هذه هى المرأة الأولى التى نتفق فيها على شخص واحد ليكون
صديقاً لنا .

كان فرانك معنا فى أبسط مشاكلنا وأكبرها ، ونحن كذلك كنا نقدم
له العون وقت الأزمات .

أتذكر جيداً الفترة التي أسأت الظن فيها بصداقته وإخلاصه لى ،
بالضبط يوم عيد ميلاد كيت ، فقد أعددت حفلاً كبيراً بمناسبة عيد
ميلادها الرابع والعشرين ، ودعوت جميع الأصدقاء والمعارف للمشاركة ،
وكانت الحفلة جميلة لحد نالت فيه رضاء كيت ، وكنت منتظراً فرانك ،
واعتبرت أنه قد تأخر لأنه أقرب صديق لأسرتنا . وفى النهاية وصل وهو
يحمل باقة من الزهور فى يده ، فاقتربت منه وقلت له أثناء ترحيبى به :

– اتأخرت يا فرانك ، افكرت إنك مش جاي .

– إنت عارف إنى ما بنساش أصدقائى المقربين ، والحقيقة إنى
انشغلت بمشكلة خاصة .

– أقدر أساعدك ؟

– لا ، ما فتكرش على أية حال أنا ممنون للطفك ، حقيقى ، فين
كيت ؟ أنا عايز أهنيها !

ومضينا سوياً ناحية كيت ، وسعدت كيت لرؤيته كثيراً ، ويبدو لى
أنها لم تكن بمثل هذه السعادة لو كانت قد رأتنى بعد غياب دام عدة
أعوام . لا ريب أنى لم أكن أغير ، ولكننى كنت أفكر دوماً حتى فى
حالتى المختلفة أن كيت تستطيع أن تكون أكثر لطفاً معى .

وبعد تناول العشاء ، رقص كل زوج مع زوجته ، وكنت أنا وكيت
منهمكين فى الحديث ، فاقترب فرانك منا ، وقال :

– أرسالن ، أتمنى إنك ما تعترضش لو دعيت كيت للرقص .

فنظرت إلى كيت ، وكانت تنظر إلى فرانك بكل ما لديها من مشاعر ،
فارتسمت الضحكة على شففتى ، ومد فرانك يده إلى كيت ، فقبلت .

حقيقة لم أكن مستاء في البداية ، لأننى لم أكن أرغب فى إفساد ليلة عيد ميلادها ، واتجهت إلى الخلف ، وأشعلت سيجارة ، ولكننى لم أكن أستطيع أن أحيد عنهما بعينى ، وكان فرانك يضم كيت إلى أحضانه أكثر من اللازم ، ولا أعلم عن أى شىء كان يحدث كيت ويحدثها على الضحك . وحاولت أن أصرف فكرى عنهما بمحادثة من يجاورنى ، لكننى لم أستطع ، فذهبت إلى التراس غير أنى شعرت بالبرد لأننى كنت أغرق فى عرقى ، فعدت ثانية إلى الصالون ، إلا أن غضبى كان يزداد برؤية هذا المنظر ، فكانت كيت تضع رأسها على صدر فرانك . لا ريب أن علاقة كيت وفرانك كانت حميمة مثلما كانت بينى وبين فرانك ، ولكن ما بدر منهما أمامى شىء آخر .

لا أعلم لم كنت أفكر فى أن علاقتهما كانت شيئاً أكثر من صداقة أسرية ؟ ولا ريب أننى فى كل مرة كنت ألوم نفسى بسبب هذا التفكير ، وانشغلت فى النظر إليهما حتى جاعنى صوت من خلفى يقول :

– السيد وفائى !

وكانت إحدى صديقات كيت .

– السيدة شارولت ، الجوده مش مناسب ليكى .

– إنت لطيف دايماً مع السيدات .

ونظرت إلى اتجاه نظراتى ، ثم قالت وهى تلف الشال حولها : كيت مبسوطه أوى !

– أيوه هو كده .

– لكن اتخيل إنك مش مبسوط زيها .

– إيه اللى خلاكى تفكرى كده ؟

وجودك فى التراس .

- سبب وجودى هو الزحام ، والهروب من الدوشة شوية .
وأدى صوتها العالى وهى تضحك إلى أن أتعجب وأنظر إليها فى
حيرة .

- سيد وفائى ، أنت متقدرش تكذب لإن عينيك بتفضحك ، أعتقد
إن كيت هى سبب قلقك !
وكان غضبى بسبب إصرارها على معرفة سبب همى ، وقلت : كل
ده من تفكيرك ؟

- لكن الحقيقة مش كده !

فالتزمنت الصمت ، وأشعلت سيجارة أخرى ، وأخرجت هى
الأخرى سيجارة ، ووضعتهما بين شفطتيها ، فأشعلت الولاعة ، وتقدمت
بها ناحية وجهها ، ونظرت إلى لحظة على ضوء الولاعة ، ثم أشعلت
سيجارتها ، وبعد أن أخذت نفساً عميقاً ، قالت :
إذا سألتنى أقول لك إن المشكلة فيك إنت .

- وأنا ما سألتكيش .

- لازم تسألنى ياسيد وفائى ، أنا بتربطنى بكيت صداقة قديمة ،
علشان كده باعتبار نفسى مش غريبة .

وقلت وأنا أنظر إلى كيت من خلف النافذة : ولكن من الواضح إنى
غريب بالنسبة لك ، والأعجب من ده كله إن الجميع هنا غرباء عن
بعضهم ، ففى الوقت اللى تفتكرى فيه إنك تعرفى شخصاً ما جيداً
تكتشفى إنك مخطئة .

- مش لازم تتعب فكرك علشان تعرف الآخرين .

- لكنها زوجتى .

- زوجة فقط .

- أنت عايزة تقولى إيه ؟

- عايزة أقول إنك حر زيتها ، إيه ما يتبصش كويس على اللى حواليك.

- هلاقى إيه ؟

- ناس بتحبك ! وإنك مش شايف معظمهم .

ونظرت إلى بنظرات كانت الرغبة والشوق تموج فيها ، وكانت عينها تغمزان وتعبران عن رغبتها الشيطانية ، فحاولت نظرى عنها واتجهت للعودة إلى الصالون ، لكنها أمسكت كم ردائى بنعومة ، فبعدت يدها عن كفى ، وقلت :

- أنا مخلص لمراتى .

ثم دخلت إلى الصالون ، ولم أنظر خلفى لأرى رد فعلها ، فى حين كان كل كيانى يرتعد من الحيرة ، الحيرة من الأشخاص الذين تبتعد كيت عنى لتختلط معهم وتعاشرهم .

الفصل الرابع عشر

فى تلك الليلة ، وبعد انصراف الضيوف ، وقعت أشد مشاجرة بينى وبين كيت ، وكان كل جسدى مفعماً بالغضب والنفور ، وكنت أتمنى أن أتمكن من السيطرة على نفسى .

لا ريب أن فرانك لم يكن فى وضع يجعلنى أدينه ، ومن وجهة نظرى فإن الحديث أصلاً معه لا جدوى منه ؛ لأنه طبقاً لقول أمى : إن الحجر الثقيل لا يتحرك فى أى وقت قط من مكانه ؛ فلو لم ترغب كيت لما حدث ما حدث .

وتحول حديثنا إلى جدال كالعادة، وأهانتنى كيت، والرد عليها قمت على الفور بضربها على وجهها بصفعة قوية ، وكيت التى لم تكن تنتظر منى مثل هذا التصرف ، ظلت تنظر إلى فترة وهى لا تصدق ، ثم تركتنى على الفور .

لم أكن أرغب أن أتعامل معها على هذا النحو ليلة عيد ميلادها ، لكنها كانت السبب ، وظلت بعد ذلك لمدة ساعتين فى حجرتها ، وأنا أيضاً كنت أجلس فوق الكرسي الهزاز ، وأفكر حتى خرجت فى النهاية من حجرتها وهى تحمل فى يدها حقيبة كبيرة إلى حد ما ، فنظرت إلى ساعتى ورأيت أنه لم يبق على الصباح إلا قليل ، ومضت دون أن تكثرث بى ناحية الباب ، وانشغلت فى ارتداء البالطو ، ومنعنى كبريائى من الحركة ، كنت أتخيل أننى لو قمت بمنعها أكون قد سلمت إليها الورقة الراححة . من ناحية أخرى فإننى لم أكن أستطيع أن أتركها بمفردها فى

ذلك الوقت من الليل ، فهي زوجتى ، فنهضت من مكانى بفتور ، وتوجهت إليها ، وقلت لها فى لهجة باردة إلى حد ما :

- شايف إنك ناوية الخروج ، أقدر أسألك رايحة فين ؟

- وأجابت هى كذلك بنفس البرود :

- هروح لخالتى .

فقلت متعجباً : خالتك ؟ إنت ما قولتليش أبداً إن ليكى خالة فى إنجلترا .

- لأنها مش فى إنجلترا ، هى عايشة فى فرنسا ، وأنا حجزت تذكرة لهنالك بالتليفون ، وهاسافر فى السابعة صباحاً .

فأخذت الحقيبة من يدها ، وقلت : إنت مش هتروحى أى مكان .

فقلت كيت فى سخرية : إنت مش هتقدر تحبسنى لغاية آخر لحظة فى عمرى ، أنا هامشى فى جميع الأحوال ، ولما تاخذ قرارك إبقى قولى ، ده رقم التليفون هناك ، واسم خالتى بولين .

- قرار فى أى شىء ؟!

فقلت فى هدوء : فى حياتنا ! أرسلان ، أنا مقدرش أعيش معاك .

وحاولت أن أتحدث بهدوء ، لذلك سألتها :

- إنت زعلانة علشان ضريبى لك ؟

- لا ، المشكلة اللى بينى وبينك أكبر وأكثر ألماً من كده ! لازم تصلح من نفسك .

- أنا ، لازم أنا أصلح من نفسى ؟ ده شىء مضحك .

- أنت أخرجتني إمبراح أمام أصدقائي !

- إيه اللي تقصديه من إحراجك ؟

وصممت ، وأدركت أنه لا جدوى من حديثنا ، وعزمت هي على الرحيل.

وقلت لها : هاوصلك للمطار .

ثم حملت حقيبتها ، وخرجت أمامها من المنزل . كنا في الطريق أثناء شروق الشمس ، ولم يتفوه أحدنا مع الآخر بكلمة حتى بلغنا المطار، وحينما وصلنا إلى هناك، لم يبق وقت على التحليق ، وألقت على تحية الوداع ببرود ، ونظرت إليها وهي ترحل .

لا أعلم كم مكثت في المطار ، ولكنني على أية حال غادرته ، وعدت إلى المنزل ، ولم يكن لدى القدرة على تحمل أى شيء ؛ فقد كنت متأثراً لأن كيت اختارت آخر الحلول لمواجهةي ، وأخذت أبحث عن السبب في خيالي ، ولكن كلما كنت أفكر أكثر قلما وصلت إلى نتيجة .

لم أتوجه إلى العمل لمدة ثلاثة أيام ، وفي نهاية اليوم الثالث جاء فرائك لزيارتي ، واستأنت من رؤيته ، ولم أتمكن من السيطرة على نفسي، فبمجرد رؤيته صحت قائلاً : أنت جيت تشوف كيت ؟ إنها رحلت، رحلت للأبد !

وتنظر إلى في تعجب ، وصمت ، ومنصت دقائق بيننا ونحن في صمت حتى تحدث قائلاً :

- أرسلان ، إيه اللي حصل لك ؟ إنت عصبى لدرجة إننى مش فاهم حاجة من كلامك ، إيه اللي حصل لكيت ؟

- رحلت إلى فرنسا .

- ليه ؟ دى ما ذكرتش حاجة عن سفرها !
- زعلت منى !
- وجلس فرائك بجانبى ، وقال : ليه ؟ حصل حاجة بينكم ؟
- فسأله فى عصبية : إنت جيت هنا ليه ؟
- جيت علشان أشوف إيه اللى حصل ، إنت ولا بترد على التليفون ، ولا بتيجى الشركة ، إحنا أصدقاء حميمين !
- أنا مش هقول إنك صديق بل عدو أصابنى بختجر من ورا ظهري ، وفى الحقيقة كان الشجار بينى وبين كيت بسببك إنت .
- إنت بتقول إيه ؟
- إنت عارف كويس أنا بتكلم عن إيه ! عن يوم عيد ميلاد كيت !
- بالتأكيد فإكر أى سلوك غير سوى بدر منكما .
- قال فرائك فى هدوء وهو بيتسم :
- أرسلان ، كيت مخلصه لك إلى أقصى درجة !
- الإخلاص لوحده مش كفاية !
- المفروض إنك تكون معاها لطيف إلى حد ما .
- ودون أن أفهم ما الذى أتحدث به على أثر فقدان الوعي من الشراب ، قلت له :
- هى ما بتحبنيش !
- مش لازم تقول الكلام ده ! دى بتعشقك !
- هى طالبة الطلاق منى !

- هي قالت الكلام ده من عصبيتها ، وإنت مش مفروض تأخذ كلامها على إنه جد ، لازم تروح لها وترجعها !

فصحت فى عصبية: هي مش عايزانى ، هي عايزة ...

وفجأة ، وكأن أثر الخمر قد طار من رأسى ، نظرت إلى عين فرانك ، وأدركت ضرورة أن أمسك لسانى . فكرت : ده مش ممكن ، وإن فرانك مع كل ده شخص جيد .

- أرسلان ، أنا تعبت من أفعالك وانفعالك الزائد ، وبون أن تفهم أصبحت متشائم جداً وحساس جداً . أظن لو إنك رُحِت لكيت وخليتك معاها كام يوم هيكون أفضل وأنا هاتولى إدارة الشركة فى غيابك لوحدى .

- إنت انفصلت ليه عن زوجتك ؟

وتعجب لسؤالى الذى لا محل له ، وأصابه التوتر، لكنه أجاب فى هدوء :

ماكنش فيه حب بينا ، ومن الطبيعى إن استمرارنا مع بعضنا كان من الحماقة .

ونهضت من مكانى بسرعة وقلت وأنا أتمايل من أثر الشراب : لازم أنام ، واصطحبني فرانك حتى حجرتى ، ثم تركنى ، وبمجرد أن استلقيت على السرير استغرقت فى النوم .

وحيثما استيقظت كان الجو ليلاً ، وأدركت حينها أننى استغرقت فى النوم لساعات طويلة ، وحيثما خرجت من الحجرة كان الخدم قد أعدوا مائدة العشاء ، فغسلت رأسى ووجهى بالماء ، ثم جلست على المائدة . وبصعوبة وضعت فى فمى عدة لقيمات ، ثم تركت المائدة ،

وتوجهت إلى التليفون ، واتصلت بالرقم الذى تركته كيت لى ، ومضت فترة حتى ردت سيدة عجوز !

– السيدة بولين ؟

– الأنسة بولين ، من أنت ؟

– أنا وفائى ، زوج كيت .

– أوه .. أى سعادة غير متوقعة !!

– أقدر أتكلم مع كيت يا أنسة بولين ؟

– إنت بتتصل من لندن ؟

– أيوة.

– أنا أسفة جداً يا حبيبى ! هى مش فى البيت دلوقتى لكنها هترجع بسرعة، حقيقى أنا استعجبت لزيارتها لى بعد كل السنين دى .

– أقدر أسأل تن عنوانك ؟

– أيوة .. بكل تأكيد .

وبعد أن أخذت العنوان بدقة ، اضطررت لمتابعة الحديث مع تلك الأنسة العجوز الإنجليزية ، وكنت مندهشاً من كونها أنسة ، ولكن سرعان ما زالت دهشتى ، لأننى علمت من خلال حديثها أنها كانت تحب نسيساً فى شبابها ، ولما لم يتمكنوا من الزواج أقسما فيما بينهما على أن يظلا دون زواج حتى آخر العمر ، وأن يجعلا نفسيهما وقفاً لخدمة لكنيسة والناس .

حقيقة حينما سئمت من ثرثرتها ، رغبت فى أن أهرب من يدها أية حجة ، وقد اعترفت هى نفسها بثرثرتها ، وضمناً أخذت منى وعداً سرعة القيام بزيارتها .

وما أسعدنى هو أن كيت لم تقص على خالتها العجوز أى شىء عن حياتنا ، وهذا ما جعلنى أكثر هدوءاً .

وفى الحقيقة لم تكن لدى الطاقة على بعادها ، وكنت أعلم أنتى لا أستطيع الحياة بدونها . ومن ناحية أخرى كنت قد اعتدت عليها ، رغم كل هذه المشاكل وهذا القلق ، مع كل هذا الإهمال والجدال !

على أية حال ، كنت أؤمن أنها امرأة ، فلو كانت حتى متأكدة من أن الخطأ منها ، فلن تعترف بذلك من منطلق كبريائها ، ومهمتى أن أسافر إليها وأعيدها ، ولم يكن يروقنى هذا ، لذلك تفاضيت عن كبريائى بعد مرات عديدة من التفكير وسافرت إليها ، فى حين أننى لم أكن متأكداً من عودتها .

لم يمض وقت طويل حتى هبطت الطائرة على أرض فرنسا ، وتوجهت على الفور إلى العنوان المقصود ، وحينما وصلت إلى هناك ، ضغطت الجرس وأنا متردد ، وانتظرت ، واستمرت فترة حتى فتحت لى امرأة عجوز قصيرة ، وما أن رأتنى حتى ليست نظارتها ، وسألتنى : إنت عايز مين ؟ فقلت مبتسماً : الأنسة بولين ؟ أنا أرسلان ! ولما رأيت ترددها ، قلت : زوج كيت .

فطرقت يديها ، وقالت فى ذهول بعد معرفتى : أوه ... زوج كيت ! كيت اتكلمت معايا عنك .

وسلمت عليها وانتظرت ، وأفسحت لى الطريق أمام الباب ، ودعتنى إلى دخول المنزل بكل لطف ، فدخلت منزلها الصغير ، وأثناء سيرى فيه سألتها : فىن كيت ؟

- هى هنا ، ولكن تأكد أنها متفاجأ من رؤيتك .

وأُسْرعت قبلى بالدخول إلى حجرة الاستقبال ، وسمعتها تخبرها
بقدومى ، وحينما دخلت حجرة الاستقبال ، نهضت كيت عند رؤيتى ،
وألقت بالمجلة التى كانت فوق ركبتهـا على الأرض ، فنظرتُ إلى الخالة
بولين ، وكانت تنظر إلينا ، فتقدمت بوجهى ، وقبّلت وجهتها ، وتحجّجت
خالة كيت بإعداد الشاى ، وقالت أثناء سيرها : أنا هسيبكم لوحدكم ،
بالتأكيد عندكم كلام كثير عايزين تقولوه يا أطفالى !

فابتسمت لها ، وانتظرت حتى تترك الغرفة ، ثم أجلسـت كيت بهدوء
على الكرسي ، وجلست أنا أيضاً بجوارها :

- كيف حالك يا كيت ؟ أمورك ماشية كويس ؟

- إنت ما قلتش إنك عايز تيجى هنا .

- إنت زعلانة من رؤيتى ؟

- لكن ده ماكنش قرارنا .

فصمتُ لعدة ثوانى ، ثم قلت :

- أنا زعلان علشانك .

وتابعـت الحديث مع رؤيتى لصمتها : أنا جيت وراكى علشان نرجع
البيت سوا .

فنهضت كيت من مكانها ، وتوجهت إلى النافذة ، ثم قالت :

- أنا مش هرجع معاك إلى إنجلترا .

- ولو اعتذرت لك ؟

- أرسلان ، زى ما يكون كده مش واخد بالك .

فنهضت من مكاني ، ووقفت أمامها ، ثم قلت :

- أنا واخذ بالي ، وعازي أعمل أي حاجة لاستمرار حياتنا .

- حياتنا مع بعض ملهاش قيادة .

- لازم تخرجي الأفكار دي من راسك ، إحنا ما بقلناش ثلاث سنوات متجوزين!

- ما تعودتش إنني أرمي يوم واحد ورا ظهري بدون داع .

فمسكت بكتفيها ، وقلت : ليه بدون داع ؟ إنت إيجننتي ؟ الثلاث سنوات فترة غير كافية لتحكمي فيها على حياتنا ، كيت ، إيه اللي طلبتيه مني ومنفذتوش ؟ حبيبتى ، مش مفروض تتكلمى معايا بالقسوة دي ، غدا نمشى سوا من هنا .

ودفعت كيت يدي وسط بكائها وقالت : لا ، أنا خدت قرارى، ومسحت دموعها ، وقالت : أنا حامل يا أرسلان !

فتقدمت خطوة ، فأوقفتنى بإشارة من يدها ، وقالت : لا ، لا تتقدم، أنا اتكلمت مع الدكتور ، وبسرعة هاجهض نفسى للتخلص من هذا الطفل .

فصحت : إنت إيجننتي ؟ هو إحساس الأمومة مات فيك؟

أنا مش مستعدة دلوقتى علشان أكون أمأ أو أفضل زوجة ليك .

فقلت فى عصبية : أنا مش هاسمح لك حتى لو أدى الأمر إلى أن أقيدك معى بالسلاسل ليل نهار .

أثناء ذلك دخلت خالة كيت علينا حاملة بعض فناجين الشاي، وجلست بهدوء فوق أحد الكراسى القديمة، وكأن هذه الكراسى لها نفس

عمر تلك الأنسة العجوز ، بينما كانت كيت تقف أمام النافذة ، وقالت بولين: كيت ، حبيبتي ، تعالى اشربي الشاي !

ومسحت كيت ما تبقى من دموعها ، ثم جاءت بجوارنا ، وجلست في الكرسي المقابل لي ، ووضعت بولين فنجان الشاي الخاص بها أمامها ، وسألت وهي تتفحص وجه كيت : إيه اللي حصل ؟ إظهار إنك كنت بتعيطي .

فقلت بسرعة : هي زعلانة مني لأنني سبيتها كل الفترة دي لوحدها ، وكان من المقرر إنني آجي وراها لكنني انشغلت .

-أوه كيت ، إنت امرأة محظوظة، أنتما فعلاً زوجان متحابان ، حسناً ، امسحي دموعك ، وما تلوميش جوزك لأنه راجل بجد ، وواجب عليك إنك تستحملي جوزك بكل مشاكلكه . عارف يا أرسلان ، دي تشبه أختي تماماً ، فكان لها أيضاً نفس الطبيعة الحساسة المنفعلة ، أنا باعتقد دائماً إن ده هو السبب في قصر عمرها ، ولكني متأكدة من إنك هتفهم كيت .

فمسكت يديها وقلت : اطمني .

الفصل الخامس عشر

وفى النهاية حينما سمحت لنا خالة كيت بالاستراحة ، كان الليل قد انقضى نصفه ؛ فترك الأنسة العجوز الثرثارة قضت أكثر من نصف الليل تسترجع معنا ذكرياتها حتى ألم بنا التعب ، وكنت أتعجب من كيت ، فكيف تستطيع تحملها مع قلة صبرها ، وأعترف أن أياً منا لم يكن متنبهاً لحديثها ، فكان كل منا غريقاً فى أفكاره ، على الرغم من أننا كنا ننظر بإمعان إلى بولين العجوز ، وحينما أغلقت خالة كيت باب الغرفة بعد إلقائها تحية المساء ، ألقت كيت بنفسها فوق السرير وأبدت تعبها ، لكن جلدى لم يكن يسعنى بسبب سماعى خبر أنتى سأكون أباً ، وأحببت أن تشاركنى أيضاً هذه السعادة الغامرة ، ولكن لم تكن فى الواقع سعيدة ، بل على العكس كان يبدو أنها حزينة وقلقة من وجود الطفل ، واعتقدت أنها تحتاج إلى حبى ، وإلى مساندتى !

ولكى أهدئ من روعها أعربت لها عن سعادتى لسماع هذا الخبر ، وقلت لها بهدوء : كيت ، فكى تقطيبة جبينك ، إنى مش عارفة أد إيه أسعدتنى من الظهر لغاية دلوقتى بقولك البشرى دى لى ؟ فكى فيه ! فى ابننا ! فى الشكل اللى هيكون عليه ابنى وابنك .

لكنها حتى لم تلتفت إلى ، فمسكت ساعدها بهدوء ، وقلت : كيت ، أرجوك ! .

وكنت مستاءً من تصرفها ، ولكن من ناحية أخرى لم يكن فى الإمكان قط موافقتها على إجهاض الجنين ؛ فكنت أعشق الأطفال ، سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً ، فلا فرق بينهم ؛ فطفلى كائن أشعر فيه بكل وجودى !

كنت أريد شخصاً يخاطبني بكلمة "بابا" ، أجلسه فوق ركبتي ، وأهمس في أذنه بهمسات حبي وعشقى .

وشعرت بالسعادة في تلك اللحظة التي فكرت فيها في ابني ، وشعرت بطاقة فائضة بداخلي ، ولم أعد مستاءً من كيت ثانية كما كان في السابق ، وفكرت في أن أتصرف وفق ميولها ورغباتها على الأقل حتى تنتهي فترة حملها ، فهي لم تعد زوجتي فقط ، بل أم طفلي .

فكرت في أنني لا أستطيع أن أتصرف وفق مرادها ، ولكن إذا ما أردت طفلاً سليماً فيجب علي أن أشق على نفسي وأظهر حبي لها .

وقبلت كيت بلطف ، وعبثت في شعرها ، وهمست لها : كيت ، هنرجع بيتنا ، حبيبتي زعلك مش في محله ، إنت عايزاه بشدة . إحنا هنربيه سوا ، هو مش وحش لدرجة تخليكي ترفضيه ، وأنا هحاول أكون زوجاً حنوناً ولطيفاً ، إحنا قضينا وقتاً طويلاً في إيذاء بعضنا ، لكن من دلوقتي لا ، مش هيتكرر ده تاني .

ولم أسمع جواباً من كيت ، فأنحنيت بهدوء أمام وجهها ، وكانت قد استغرقت في النوم ، فغطيت وجهها ، وأغلقت عيني أنا أيضاً ، على الرغم من أنني لم أتمكن من النوم لفرط سعادتي .

وبعد يومين ودعنا بولين العجوز ، وتوجهنا إلى إنجلترا ، وتمكنت إلى حد ما من أن أثني كيت عن موقفها من إجهاض الجنين ، لكنها مع ذلك كانت قلقة مضطربة ، ولا شك أن أسبابها في ذلك كانت طبيعية بالنسبة لي ، هذا في حين أنني كنت على إيمان تام بإمكانية الوصول إلى أي نتيجة عن طريق الحب .

لقد كنت أحبها ، وكنت أحاول أن أجنبها أسباب الحزن والقلق ، كنت أقوم بدعوة الأصدقاء الذين كانت تحبهم كي يملأون عليها أوقات

فراغها ، كنت أنفذ لها كل ما تطلبه ، وأذكر أن أصدقاءها كانوا سعداء بها أيضاً ، وكان بعضهم يذكر هذا علانية.

كانت كيت تحت إشراف أحد الأطباء الماهرين ، وكنت أعود سريعاً في أوقات العصر لأصطحبها في نزهة ، كما كنت أحذرهما من العمل المرهق خلال فترة حملها ، وانتظرت التسعة شهور وأنا على أحر من الجمر، وكنت أعلم الأيام في التقويم الواحد تلو الآخر ! حتى أتت اللحظة الموعودة.

في ذلك اليوم كنت مشغولاً أنا وفرانك في فحص بعض الصفقات ، حيث رن جرس التليفون ، ورفع فرانك السماعة ، ومن حديثه تنبعت أن المكالمة تتعلق بكيت :

- كيف حالها ؟ حسناً جداً . . . حسناً جداً .

وخفق قلبي بسرعة وأخذت السماعة من فرانك بيد مرتعدة ، وتحديث مع خادمة كيت :

- أنا أرسلان وفائي ! إيه اللي حصل يا سارة ؟

- لا تقلق يا سيدى حالتها كويسة .

- وكيف حال الطفل ؟

- أسمع ضربات قلبه .

- انقلبيها إلى المستشفى وأنا هاجى .

- إحنا مضطرين لانتظار سيارة الإسعاف .

- حسناً جداً . . . حسناً جداً ، اعملى اللازم وأنا هاحصلكم ،

تقدر كيت تتكلم معايا ؟

- أسفة مش هتقدر ، أوه اعذرني يا سيدى ، يتهىأ لى أن سيارة
الإسعاف وصلت .

ومكثت فى مكانى حائرأ قلقأ ، وعندئذ دق فرانك على كتفى ،
وضحك بصوت عالٍ وهو يقول : هيجيك ابن وهتبقى أب ا

ولبس الجاكيت ، وساعدنى أيضاً فى ارتداء الجاكيت الخاص بى ،
ثم توجهنا إلى المستشفى وسرعان ما وصلنا إليها ، ولم أتمكن من
العثور على طبيب كيت ، فأخذت أسير على قدمى دون صبر ، حتى
أخبرونى بعد عدة ساعات أننى أصبحت أبأ ، وانعقد لسانى من فرط
السعادة ، وسعد فرانك كذلك واحتضننى بشدة .

وتوجهت إلى حجرة كيت بخطوات مرتعدة حاملاً باقة من الزهور ،
وكانت كيت جميلة كعادتها تجمع شعرها إلى أعلى وعيناها الخضراء
تتألأ ، فأنحيت بهدوء ، وقبلتها هى والطفل .

قالت كيت : دى بنت .

وأخذ فرانك يداعب الطفلة ، ويقدم التهانى لى ولكيت وسأل: فكر
هتسميها إيه ؟

وقبل أن أفتح فمى لأقول رأيى ، قالت كيت : سوزان . وبعد نظرة
لها على الطفلة ، قالت : كان لى أخت بهذا الاسم ، وغرقت فى البحر ،
وكنت أحبها كثيراً .

وفُتحت عين الطفلة ، فقلت لفرانك : ، عيناها تشبه كيت تماماً ،
فقال فرانك : لكن بشرتها مش زى كيت ، يبدو أن بشرتها برونزية .

فقلت وأنا أحمل الطفلة : مقيش عيب أبداً فى خلقة ربنا . لعل
طفلتنا برونزية لأننى أنا وكيت نوى بشرة بيضاء .

ضحك فرائك بصوت عال ، وقال : بتتكلّم عكس القاعدة ! إنت محلل كبير. ووقع نظري على كُيت أثناء ضحكنا ، فوجدت وجهها كالبنجر الأحمر، وتخيلت أنها استاعت من مزاح فرائك .

وبعد عدة أيام سمح لى الطبيب باصطحاب كيت والطفلة إلى المنزل، وأحضرت خادمة خاصة لسوزان حتى تقوم بمساعدة كيت .

والآن كانت كيت تعبد سوزان ، وصار سلوكها معي أكثر لطفاً من ذي قبل . وبناءً عليه صارت حياتنا أكثر صفاءً وهدوءاً ، وكنت أعشق سوزان ، كنت أشعر أنني قد وجدت نصفي المفقود ، كنت أشعر بوجوب السعي أكثر لتهيئة مستقبل أفضل لها . حينما كنت أنظر إليها كنت أراها ملكة جمال متوجة ، لا يستطيع شخص أن يدّعي أنه يماثلها في الجمال ، ولكنني أعترف أن الخوف كان يملكني يوماً ، ولم أكن أعرف لم هذا الخوف ؟ وكنت أسأل كيت يوماً : كيت ، إيه الإحساس اللي عندي ده ؟ هل الأبوة مخيفة إلى هذا الحد ؟

لا ريب أنها كانت تضحك عليّ ، وكانت تقول يوماً : لسه بتحكمك المشاعر الشرقية .

نعم ، لقد كنت كذلك ، وكنت أريد أن أحافظ على ما كنت فيه من سعادة ، وكنت مستعداً للدفاع عنها أمام أية عراقيل تقف في طريقها .

وعندما تمكنت كيت من القيام ثانية كالسابق ، أعددت حفلاً كبيراً، واحتفلت بمواد سوزان ، واشترت لكيت رداءً جميلاً ، وحينما خرجت من حجرتها بشعرها المزين وردائها الذي على آخر موضوعة ، امتدحت جمالها من أعماق مشاعري ، ولم أستطع الكف عن الحديث معها :

- حبيبتي ، إنت بقيتي أجمل في الزى الجميل ده ، أحياناً أفكر إنك مش هتعجزى أبداً .

فقلت وهى تلف فى زيتها ، : أنا سعيدة لأنك بتفكر فى .

فقلت فى سخاء : أى حاجة تانية عايزاها اطلبها منى ، إنت جبتلى بنت جميلة مفيش زيتها ، بنت ماكتتش أتخيل جمالها حتى فى منامى .

- بتحبا كل هذا الحب؟

- إيه السؤال الأحمق ده يا كيت ؟ إنتِ كمان أكيد بتحبيها أكثر منى .

- أيوة ، أكيد ، لكنى ماحبتش الأطفال أبداً .

- طفلتك تختلف عن بقية الأطفال ، ولأزم تعرفى كده ، ولو بعدت عنك يومين ساعتها هتفهمنى .

- أشكرك على استخدامك مربية للطفلة ، أنا كنت بافكر هعمل إيه معاها لوحدى.

فقلت بإخلاص : أنا أعمل كل حاجة علشان خاطرك .

وقت الغروب حيث بدأ المنزل يزدهم بالضيوف ، كنت أنا وكيت فى استقبالهم ، وكان أصدقاءنا يأتون جماعات جماعات ، ويقدمون التهانى بعد تقديم باقات الزهور أو الهدايا ، وكانت سوزان فى حضنى ، وكنت أشعر بالزهو لوجودها . كانت طفلة هادئة حقاً ، ولم ترهقنا أو تسبب لنا ألماً قط ، حتى إن المربية الخاصة بها كانت تذكر أنها لم تشاهد فى حياتها طفلاً بهذا الهدوء .

كان الضيوف يتوافدون ، وكنت أرحب بهم أثناء عبورى من شخص إلى آخر.

وتلك الليلة منقوشة في ذاكرتي جيداً ، حيث تصادفت مع الاحتفال بمولد عيسى المسيح ، وقام الجميع بالرقص وهم سعداء ، رغم أنني كنت وبعض الأصدقاء نختلف معهم في الدين .

وأجبرني فرانك على الدخول معهم في دائرة الرقص، ورقصت مع بعض صديقاته ، وكانت إحداهن تدعى أليس ، وعلمت بعد ذلك أنها زوجة فرانك السابقة ، وكانت هي وفرانك يتحدثان بصورة عادية ، حتى إنهما رقصا سوياً ، وكنت قد تعجبت لرؤيتي هذا الأمر !

وأثناء انشغالي مع أليس في الحديث ، رأيت فرانك وكيت معاً ، وكان فرانك للمرة الثانية يقول شيئاً لكيت يحثها على الضحك بصوت عال. ورأيت أن أليس تتسم بقدر من الهدوء وعدم الانفعال . كان فرانك جذاباً ومتحدثاً لبقاً ، ولم أتمكن من أن أمنع نفسي من الحديث مع زوجته في هذا الأمر:

- أنا مستعجب من أمركم يا أليس ، ليه انفصلتِ عن مثل هذا الرجل الجذاب الأنيق؟

- أنت بتسألني عن مسائل خاصة بـماضي .

فقلت في لطف: اعذريني، لم أقصد التطفل على حياتكما السابقة ، لكنني تعجبت فقط.

فلفظت أليس آهة ، وقالت وهي تنظر إلي فرانك وكيت :

- تعرف إنني ضابطة شرطة ؟

فقلت في دهشة : ما كنتش أعرف أبداً .

فقلت : أيوه ، أنا ضابطة شرطة في الإدارة الجنائية ، كانت حياتنا سعيدة ، ولعل السبب في انقلابها .

- إزاي ؟

- كنت مضطرة بمقتضى عملى لأن أتواجد خارج المنزل حتى منتصف الليل ، وده بالنسبة لفرانك كان غير مقبول .

- إنتى حائر بسبب فرانك ، دايماً ينتقد ملاحظاتى تجاه كيت ، فى حين أنه كان بيتصرف معاكى زمان بنفس الطريقة . أوه . . أنا أسف أوى ، إظهار إنى تطفلت كثير ، وعلى أية حال أعتقد أنه يعرف طريقه يوماً إلى قلوب النساء بشكل جيد .

قالت أليس : بتتكم عن كيت ؟ أنا أعرفها من سنين طويلة .

فسألتها فى دهشة : تعرفيها ؟

- أيوة وفرانك كمان !

فقلت غير مصدق : أعتقد إنك أخطأت !

- ما تقولش إنى أخطأت ، إنها صديقة لأسرتينا ، كانت أختى الصغيرة فى نفس الفصل معاها ، هى بجد فتاة جميلة .

كانت أليس تتحدث ، ولكننى كنت غريقاً فى بحر أفكارى ، إذن أيعرف كل منهما الآخر منذ أعوام طوال؟ وقد أوهمانى طوال هذه الفترة بأنهما تعرفا منذ أن قمت أنا بتعريفهما، ولكن ما السبب فى هذا ؟ وضاق صدرى، وأحسست برغبتى فى التنفس فى الهواء الطلق ، بعد ذلك استأذنت من أليس وتوجهت إلى التراس .

الفصل السادس عشر

مرة أخرى لجأت إلى الخمر القذر على نحو كان يجعلنى لا أستطيع الوقوف على قدمى .

وبعد انتهاء الحفلة ، منحت جميع الخدم فى المنزل أجازة باستثناء الخادمة الخاصة بسوزان، وجلست فى الصالون فى ظل ضوء الأباجرة.

وكانت كيت قد ذهبت إلى حجرتها ، وكنت أعلم أنها سوف تأتىنى على أية حال لإلقاء تحية المساء ، فجلست أنتظرها .

لقد قضت وقتاً طيباً مع فرانك ، وربما ساعت الاستفادة من صمتى، كان يجب أن أكون عصبياً تجاهها ، ولكننى تظاهرت بالهدوء التام. ربما تعلم هى أيضاً مدى غضبى جيداً ؛ لأنها لم تظهر نفسها للوقوف أمامى ، وكنت أشعر بصوت أقدامها المضطربة فوقى فى حجرتها. وفى النهاية سمعت صوت أقدامها خلفى حيث كانت تهبط السلم ، وانتظرت حتى طوت درجات السلم .

وحينما ملأ السكون المكان كله ، قلت بصوت غير مفهوم على أثر الإفراط فى الشراب : عجبك الحفلة ؟ فقالت كيت فى حذر وفتور : أيوة، شكراً يا حبيبى.

كان وجهها فى الظلام ، ولم أتمكن من رؤيته بشكل واضح ، فأجلستها على الكرسي المقابل لى ، وقلت : اجلسى .

فقالت بصوت مرتعش : أنا جيت أقول تصبح على خير ، اعذرنى أنا تعبانة جداً .

قلت فى هدوء : اجلسى ، أنا عارف إنك جيتى علشان تشربى
الخمير .

– أنا . . .

وصحت فى غضب : قلت اجلسى ، هل تتخيلى إنى مش عارف إنك
بتشربى الخمير دايمًا كل ليلة ؟

– أنا مش محتاجة له .

فنهضت من مكانى ، واقتربت منها وأنا أخطو خطواتى بصعوبة ،
ثم وضعت كلتا يديّ على كتفيها ، وأنا أشعر أن ثقل جسدى كله فى
هاتين اليدين ، لأن ركبتيها بدأتا فى الرعشة ، كنت أشعر تمامًا
بأنفاسها ، فضحكت ، وقلت : اقعدى علشان نتكلم سوا حديث أسرى .

فردت كيت يدي ، وقالت فى ثقة : أنا مش هاتكلم معاك دلوقتى .

– ليه ؟

– إنت سكران وأنا لازم أكون مع الطفلة .

– الطفلة ليها مربية خاصة بها ومش فى حاجة لىك ، إنت خايفة

منى ولا لا ؟

ورفعت كيت رأسها فى ثقة ، وقالت وعيناها فى عينى : مطلقًا ، أنا
لسه ما ضعفتش لدرجة تخلىنى أخاف من شخص سكران ؛ فوضعت
يدى على قلبها ، وقلت : إنت بتكذبى زى كلب كاذب ، قلبك بيدق زى قلب
الأرنب الهارب! وأنا سعيد لأننى أربك إلى هذا الحد .

قالت كيت بصوت عال : ارفع إيدك القذرة عنى !

- ما ترفعيش صوتك قدامى !

وصممت على أثر صوتى العالى وتابعت حديثى : أنا زوجك ، وأنا
الى سمحت للذئب ده بالاقتراب منك .

- بتتكلم عن مين ؟

- عن ذلك الرجل الأحمق ، الى طول المدة دى ... قضيتى معاه !

وعدت ناحية الكرسى ، وبينما كانت فى طريقها الى حجرتها ،
صحت : إنت مش هتروحى أى مكان طالما لم أمرك بذلك .

فعادت ناحيتى ، وأشارت إليها بيدي كى تجلس على الكرسى
المقابل لى ، فمكثت قليلاً ثم جلست فوق الكرسى .

فقلت وأنا أضحك : شوفتى إنك بتخافى منى ؟!

فقامت كيت من مكانها ، وقالت: أنا ما بخافش منك .

فضربت بيدي على المائدة بقوة وقلت : اجلسى ، أنت كاذبة لا حياء
لك ، وأنا سمحت لنفسى إنى أكسر رقبتك ، إنك لست مسيحية متدينة،
إنت جسد متشرد ويس !

وجلست كيت ثانية فوق الكرسى ، ووضعت كأساً من الخمر
أمامها ، فقالت : أنا مش عايزة.

قلت: اشربى ، أنا عارف إنك محتاجاه أوى ، وإلا لما كنت اشتريتى
خطر المواجهة معى بروحك .

فمسكت الكأس ، وأفرغت ما بداخله على الأرض ، فنظرت إليها بنفور ،
وقلت : فى الواقع هل إنت امرأة ؟

ووضعت الكأس خالياً فوق المنضدة ، ثم ألقت بشعرها المشعث إلى الخلف ، وسألتها على الفور : من إمتى وأنت تعرفى فرانك ؟

- أرسلان ، الليلة . . .

- ردى على فقط ! وخليكى عارفة إذا كذبت على هاكسر رقبتك ، وعلى الرغم من وجوب شنقك دون محاكمة ، لكنى هديك الفرصة للدفاع عن نفسك .

فقالت بثقة وفتور وبدون خجل : من فترة طويلة ! ولكن أى دخل لك فى هذا ؟

- إنه يتعلق بى جداً ، لأننى زوجك .

- إنت حيوان قدر .

فضحكت وقلت : أوافقك على هذا ؛ لأن نصيبك ليس أفضل منى .

- لازم أمشى ، أنا ما عنديش طاقة لسماع إهانتك لى .

- مش هتروحي أى مكان ، هتسمعى كل كلامى .

قلت هذه الجملة بلهجة شديدة جعلت كيت عاجزة عن الحركة ، وتابعت حديثى : إنت لك علاقة به ، ملاقتيش حل أنسب من مشاركتة لى فى العمل علشان تضمنى الاقتراب منه بشكل أشد وأكثر بالوسيلة دى .
- ولكنك أيضاً على علاقة به مثلى تماماً .

- أيوه ، ولكنى مش بشخص يترقب مشاركتى فى حياتى . إنت بعته لى باقتراحه الشيطانى ، وكنت سبياً لقبول صداقتى له .

وكانت كيت صامتة ، لكن لم يبد أنها خجلة ، بل رفعت رأسها بمنتهى الثقة ، وأخذت تنظر إلى باستهزاء للعب بى .

- حسناً ، أنتِ قدرتي تلعبى بى لغاية الليلة ! أد إيه كنت بتتعذبنى قدامى وانتِ بتتصرفى بتحفظ ، واللييلة قضيتم وقتاً كافياً مع بعضكم .

فقلت كيت فى ثقة : إنت متخيل إنى مش عارفة إنك طول الحفلة كنت مشغول مع أليس ؟

- هل أثير شعور الغيرة عندك ؟

- لا ، لأن هذه المرأة مجنونة !

- لو إنى اتقابلت خلال الفترة دى كلها مع شخص عاقل ، لكنت هى ؛ فهى اللى كلمتنى عن حقيقة اللى بيحصل ، قولى لى إلى أى مدى كانت علاقتك به ؟

فنهضت كيت فى عصبية. لا شك أن حديثى أيضاً لم يكن صحيحاً، ولكننى صرت مجنوناً . كنت أفكر فى أننى قد خُذعت خلال هذه الفترة ؛ لذا لم أكن أعنى ماذا أقول ، وتوجهت إليها ودفعتها للجلوس على الكرسي، ثم قلت : لو قممتى تانى من مكانك هضربك بإيدى دى ؛ فانهمرت الدموع من عينى كيت ، فقلت فى قسوة : إلى أى مدى تحسنى الاستفادة من سلاحك الأتئوى !!

فقلت وهى تبكى : أنا مخلصه لك يا أرسلان !

قلت : وإن كنت أشك فى ذلك ، إلا أنى هاصدق كلامك ، لكن لازم تقولى لى ، ليه كذبتى على ؟

ومسحت كيت دموعها ، وقالت : أنا أعرف فرانك من سنوات ، ولما قررت إنك تدور على عمل مناسب ، اقترحتة عليك ، وانتِ قبلت ، ولكنى كنت مطمئنة إنك إذا تعاملت معاه هتجبه ، أرسلان ، عايزاك تصدقنى، أنا عملت كده من منطلق حبى لىك .

أنا على علاقة مع فرانك ، ولكنه مش أكثر من صديق ! تصورت
إنى هاحكى لك الموضوع ده فى يوم من الأيام ، ولكن سرعان ما أدركته
بنفسك ! كنت عارفة إنى لو قلت لك الكلام ده فى البداية هتسبى الظن
بى ، فانتظرت الفرصة المناسبة ، وأنا مستعدة أقسم بحياة سوزان .

وكانت تبكى كسحاب الربيع ، ولم تكن لى قدرة قط على رؤية بكاء
النساء وليست لى ، فسألتها دون وعى : ليه انفصل عن زوجته ؟!

- مش عارفة ، لكن كان واضح إنهم مش متفقين .

- انفصل عن زوجته علشان يملأ أوقاته فى صيد النساء
الأخريات .

- إنت أحمق يا أرسلان ، لو كان لى علاقة به لكنت تزوجته قبل أن
تصبح أنت زوجى ، هو ترك زوجته من كام سنة ، وأنا كمان أعرفه من
كام سنة ، ولإدراك هذا الأمر المسألة مش محتاجة كل الكلام ده ، كنت
تقدر تسألنى . أنت تعلم جيداً الوقت الذى ارتبطنا فيه والوقت الذى
غيرت مسلكك معى فيه ، فما من شىء يقبل التنبؤ به ، وتركتها وصعدت
درجات السلم .

لم أصفح عن كيت فقط ، بل إننى لم أواجه فرانك أيضاً ، فنحن
الآن لم نكن شركاء فقط بل زملاء عمل ، ولم تؤد أسئلتى إلا إلى القلق
والتكرار .

ومنذ ذلك الحين تجمدت العلاقة بينى وبين كيت وأصبحت بصورة
رسمية ، ولم يكن أى منا لديه النية فى أن يخطو خطوة لتحسين
الأوضاع . كنت أعود إلى المنزل فى وقت متأخر ، وأحياناً كانت تمر
الساعات على عودتى دون أن أعلم شيئاً عن كيت ، وفيما يبدو أنها كانت
مستريحة البال فيما يتعلق بسوزان ، أما أنا فكان قلبى يحترق فقط من
أجل الطفلة .

الفصل السابع عشر

إن كنت قد تفاضيت عن تصرفات كيت ، فكان هذا فقط من أجل سوزان ، فكنت أعبدتها ، لم أكن أبغى أن يكون جو المنزل- المكان الذى تنمو وتكبر فيه - مكاناً للشجار والجدال.

والآن كانت سوزان فى عامها الثانى ، لكنها كانت تحبنى أكثر من أمها ، لأنها لم تكن تراها تماماً ؛ فكانت مشغولة يوماً بملهوها وحفلاتها، ولم يكن لديها الفرصة لمداعبة ومحبة سوزان، حتى إنها فى الغالب لم تذهب إلى حجرة سوزان لتقبلها وتقول لها : تصبحى على خير ، وذلك من فرط تعبها، فكانت تربيها بوساطة المربية ، والمربية هى التى كانت تقوم برعايتها وتنظيفها وإطعامها ، وكنت أتأذى من عدم اهتمام كيت بسوزان، ولكننى كنت أعتبر أن تذكرها لها كان دون جدوى . كنت أفكر يوماً فى أن أضع حداً لمصيرى أنا وسوزان من هذه التعاسة .

وتدريجياً بدأت أكف عن المشاركة فى حفلاتها ، وكنت أقضى أوقاى فى حجرة سوزان وبجوارها ، وكف فرانك أيضاً عن مشاركته لها فى هذه الحفلات ، وأظن أنه كان قد شَمَّ شيئاً ؛ لأنه قلما كان يتحدث معى أو يمازحنى كما كان فى السابق ، أنا أيضاً لم أكن غير راضٍ ، فكان تواجهه بعد معرفة هذه الحقائق مما يسبب لى الاستياء .

وعلى أية حال كنت أسمع صوت الضيوف وأنا فى حجرة سوزان، فكانوا يحتسون الخمر ويرقصون حتى منتصف الليل وتعلوا صيحاتهم . بعد ذلك كنت أسمع صوت أقدام كيت وهى تخطو متعبة حتى تذهب إلى

حجرة نومها . وليس هناك عجب فى أننا كنا ننام أنا وهى فى حجرتين منفصلتين ؛ لأننا منذ فترة نتعامل بشكل رسمى . لم أكن أرغب فى أن تصبح ابنتى مثل أمها . لم أكن أرغب فى أن تجد طريقها إلى هذه الحفلات، بين أشخاص لا يعرفون من المدنية سوى الفسق، وتدرجياً أصبحت أرسلان السابق ، بنفس العقائد ونمط التفكير .

ودفعة واحدة عزمتم على مقاطعة الخمر، وبعد عزمى هذا ابتعدت عنها ، وثانية وجد جدى لونه الطبيعى ، وفى نفس الفترة اشتاق قلبى للوطن ، ولكننى كنت أعلم أن كيت لن تأتى معنا . من ناحية أخرى لم أكن أستطيع أن أفرق بين سوزان وأمها ؛ فكنت أفكر بشكل جدى فى مستقبلها، وكنت أعتبر نفسى مجبراً على تحمل الظروف ، وكان هذا فقط من أجلها .

وحيثما بدأت سوزان فى الحديث تدريجياً ، بدأت فى تقليد أمها . وما الذى كنت أستطيع أن أحدثها به ؟ إنها كانت فى حاجة إلى أمها ، ولم أكن أستطيع أن أفعل شيئاً لها سوى أن أتحدث مع كيت ، وأقنعها بالتخلي عن تصرفاتها ، ولكن ليبتها كانت تصغى ! ليت هناك ذرة حب من الأمومة الشرقية فى صدرها الذى يشبه الحجر . كنت أباً لسوزان ولكن كان يجب على أن أعوضها عن حرمانها من أمها ، تلك الأم التى كان يشعر بعدم وجودها وقت وجودها . كنت أصرحبها إلى الحديقة ، وأقص عليها الحكايات ليلاً ، وأشاركها فى لعبها .

أتريدون الحقيقة ؟ كان قلبى يحترق من أجلها ، وفى النهاية هى طفلة صغيرة ، ولكن لها قلب ، لها إحساس ، إحساس يفهم جيداً معنى المحبة .

وكان اشتياقها للحب يبدو في عينيها . أتذكر ذات يوم كان يسبق يوم ميلاد سوزان أن ذهبت إلى حجرة كيت قبل مغادرتي للمنزل ، وطرقت الباب ، لكنني لم أسمع رداً ، ففتحتة ، ودخلت حجرتها ، وكانت كيت نائمة ، ووقع نظري على جانب السرير ، فلفت انتباهي وجود زجاجة خمر ، فحملتها ، وحركتها ، ثم جلست على كرسي بجوار السرير ، وناديت عليها ، وبعد فترة أجابتنى ، فقلت لها :

- كيت ، يجب أن أقول لك شيئاً .

- مش دلوقتي ، أنا في أمس الحاجة إلى النوم .

- طبعي ، لأنك شربت حتى الثمالة ، ولكنني مش هخرج من الغرفة دي إلا لما أقول كلامي ؛ فتضايقت وجلست على السرير بصعوبة نصف جلسة ، ونظرت إلى الساعة التي فوقها ، وقالت بعد ذلك معترضة :

- إنت عارف أنا بنام لغاية إمتي ، لكنك لم تبال وصحتني .

- موضوعي أهم من نومك .

- حسناً فلتقله ، أنا باسمع .

فوقفت و اقتربت منها ، ثم قلت :

- إنت متأكدة أنك هتفهمي كلامي ؟

- بالتأكيد ، أعتقد أنني صماء ؟!

- أمل ألا يكون ذلك ، لأنه يلزم لفهم حديثي أذنان سليمتان .

ونظرت إلى في ضيق ، في حين كان جسدها كله واهناً بسبب رغبتها في النوم ، فقلت : الليلة يوم ميلاد سوزان ! إنت عارفة أنها أتمت عامها الثاني ، أنا مش محتاج لهؤلاء الحمقى اللي بتقضي أوقاتك

معاهم ، فكل ما يكفى لإسعادها هو كام شمعة وكيكة عادية ، هى عايزة تكونى جنبها ؛ فبالله عليك خليكى فى البيت الليلة ، ما تخلنيش أرجع فى وعدى مع الطفلة .

وألقت كيت برأسها فوق الوسادة ، فسحبتُ يدها بعصبية ، فصاحت من الألم ، فقلت : أنا بتكلم بجد وعمايزك تكونى جادة أيضاً . لو ما عملتيش حاجة أبداً علشانها لغاية دلوقتى ، فلتسعيديها هذه المرة ، وحسى بإحساس الأمومة !

وكنت متأكدًا بأننى أوضحت حديثى جيداً ، وجئتُ إلى البيت فى المساء مسرعاً ، وكان كلى أمل فى أن أرى كيت ، ولكن كان هذا درياً من الخيال والسذاجة !

ومكثتُ أنا وسوزان فى انتظارها لساعات طويلة ، ولكن ما من خبر عنها ، وكان الشمع يذوب فوق التورته ، وكنت أترقب خلف النافذة قدوم كيت .

وسألتنى سوزان : أبى ، أمى مش جاية ؟

وأية إجابة يجب أن أرد عليها بها ؟ وحينما تعدت الساعة العاشرة ، استغرقت سوزان فى النوم فوق الكنبة ، فأيقظتها وحملتها إلى غرفتها . لقد انتظرت والدتها كثيراً ، وأخيراً استسلمت للنوم دون أن تراها ، وانطفأ ضوء الشموع ، وجلست منتظراً حتى حضرت كيت فى النهاية . كانت تترنح بقدميها لدرجة أننى لو أشرت إليها بإصبعى لسقطت ، فتوجهت إليها فى عصبية ، فقالت :

— أوه ... السلام ، أنا زى ما كون إتأخرت ، فبن الطفلة ؟

وفكرت في نفسي : هذا فقط ؟ أوه ... السلام ؟ وقلت في عصبية :

- تلك الطفلة انتظرتك لحد منتصف الليل !

- أنا آسفة .

- آسفة فقط ؟ إزاي إنتِ أم ؟

- أرجوك يا أرسالن ! ما تبدأش تانى !

- ما بدأش إيه ؟ حياتنا ملهاش بداية !

وبدون اكتر اث صعدت السلم ، وتوجهتُ إليها في عصبية ، وسحبتهما للخلف من شعرها ، وأوقفتها :

- أتمنى إن ربنا ما يسامحكيش على أفعالك . كانت الطفلة بتبص للتورقة بعين الحسرة، وفعلت كل شيء كى تقطعها لكنها رفضت ، كانت متظرك، كانت عايزا كى تشاركها في سعادتها الصغيرة، لكنك أفسدت كل ده.

وخلصت كيت نفسها من يدى ، وقالت غاضبة : إنت عامل المظاهرة دى كلها علشان خاطر الطفلة ؟

- الطفلة دى طفلتنا أنا وأنت ، طفلتك ، لكنك لا تعيرها دوماً أدنى اهتمام، إنت بتفضلى الزبالة دول عن بنتك ؟

- أنا باحبها ، هى فى قلبى .

- أشك فى الأصل إن فيه قلب فى صدرك ، الطفلة البريئة دى هتتجنن من وحدتها .

- ممكن نخطها فى أى دار رعاية .

- إنتِ عايزة نخطها فى ملجأ ؟ بنتنا ؟ إنتِ إتجنتت ؟!

- كلهم يعملوا كده .

- كلهم مجانيين ، زى ما يكون العاطفة ماتت فى الأرض دى .

- أرسلان ، ما تهتمش ببيكائها ، وسرعان ما هتتعود على الجو الجديد .

- أنت على استعداد تضحي بالطفلة علشان تحقيق رغباتك ؟ ليه
ما تبعديش عن أصدقائك علشان تتعودى تكونى أم قاضلة ؟
- أنا ما عنديش طاقة على المناقشة .

وحاولت منعها من الانصراف ، فقالت :

- انظر ، إحنا اتكلمنا سوا قبل كده ، وقلت لك إنى ما عنديش
وقت لتربية الأطفال ، وإنى قبلت كده .

- لكنها موجودة دلوقتى ، ما تقدريش تنكرى وجودها علشان
السبب اللى قولتيه ، أنا مش طالب منك حاجة كبيرة ، أنا عايزك تهتمى
بها فقط .

ودون اكتراث سلكت كيت طريقها إلى السلم ، وكانت لم تسمع
شيئاً من حديثى .

أدى هواء لندن الملوث إلى ظهور مرض جديد بين الناس وقد
مرضت سوزان بهذا المرض ، وكان ذلك فى نفس الفترة التى سافرت
فيها كيت مع بعض أصدقائها ، وأصيب سوزان بارتفاع شديد فى
درجة الحرارة مما دفعنى إلى إدخالها المستشفى ، وكان الطبيب يقول :
إن لم تنخفض حرارتها ستكون الحالة فى خطر داهم . كنت أجلس

بجوارها على الوسادة لمدة أربعة أيام بلياليها ، أعد قطرات المحاليل ،
ولا أعلم كم مائة ألف مرة لعنت فيها نفسي بسبب تعرفى على
كيت ، فمن وجهة نظرى أن كل شىء، وكل التعاسات قد ألت بى منذ
تعرفى عليها .

وفى نهاية اليوم الرابع انخفضت درجة حرارة سوزان ، ولكنها
كانت ضعيفة ومنهكة للغاية، وقبل أن يسمحوا لها بالخروج ، استدعتنى
الطبيبة النفسية بالمستشفى إلى حجرتها .

ولا شك أن حالتى لم تكن أفضل من سوزان ، فكنت أبدو فى حالة
يرثى لها بسبب عدم النوم فى الفترة التى رافقت فيها سوزان ، وسألتنى
الطبيبة النفسية ، وكانت امرأة مثقفة ذات شخصية ، قائلة :

- سيد وفائى ، أنا عارفة إنك إيرانى .

- نعم ، هو كذلك !

- إنت عندك مشكلة مع زوجتك ؟

- بتسألى ليه ؟

- بصر ، أنا عايزة أساعدك ، هى زوجتك عايشة ؟

- أيوة ، عايشة ، لكنها ميتة بالنسبة لى .

- إزاي ؟ ليه ماجتش لرعاية بنتها ؟ ! إنتم انفصلتم عن بعض ؟

- لا والله ! هى . . . هى سافرت !

- عندها علم بمرض بنتكم ؟

- لا !

- ليه ما قولتلهاش ؟
- لإنى مش عارف بالضبط فين ألاقىها .
- يعنى إنت ما تعرفش فين زوجتك ؟
- لا !
- الطفلة ضعيفة جداً ، وتحتاج إلى حنان الأم أكثر من الغذاء ، ليه أمها ماجتش لرعايتها ؟
- فقلت فى عصبية : أنا قلتها مرة ، وهاقواها تانى ، مش عارف فين أمها .
- فيه مشاكل بينكم ؟
- نعم ، للأسف هو كذلك .
- ترجعت الطيبة إلى الخلف ، وقالت :
- سيد وفائى ، للأسف ما نقدرش نسلمك الطفلة فى الظروف دى .
- يعنى إيه ؟ أنا والد الطفلة .
- أيوة ، لكن الطفلة دى تحتاج إلى أمها أكثر منك ، دى لسه فى عامها الثانى .
- هى متعودة على !
- أسفة ، القانون لا يسمح ، بالإضافة لكده ، إنت فى مشاكل مع زوجتك .
- وثما لكت نفسى وتظاهرت بالهدوء وسألتها : دلوقتى مفروض أعمل إيه ؟ يجب أن تأخذها أمها ، ولا يمكن حثها بالقوة لكى تكون أمًا فاضلة .

- لازم تكون عارف إنك مواطن هنا بسبب زوجتك .
- يعنى إنت بتشكى فى صحة كلامى ؟
- انظر، الطفلة دى عندها مشاكل نفسية كثير بسبب وضعيكما .
- وعدت إلى حجرة سوزان ، ثم توجهت إلى المنزل مضطراً ، ولم يعد لى من حيلة سوى انتظار كيت .

الفصل الثامن عشر

كانت سوزان تضعف ، وفى كل مرة أبتعد فيها عنها أشعر وكأن الدنيا قد انهارت فوق رأسى ، والآن حينما أفكر جيداً أضحك على القوانين الهزلية لهؤلاء الناس ؛ فأنا مثلاً والد سوزان ، ولكننى لم أكن أستطيع أن أصطحبها إلى المنزل معى ، وهذا نوع من الإجحاف .

كانت سوزان تبكى ورأى كثيراً ، وكنت أسمع صوت بكائها حتى بعد أن أنتهى من عبور الممر ، وكانت تنادى على دوماً ، وتريد أن أصطحبها معى .

وبعد انقضاء خمسة أيام وصلت كيت أخيراً ، وكنت غاضباً منها لدرجة عقدت لسانى عن الحديث معها ، وكان واضحاً أنها قضت وقتاً ممتعاً ؛ لأنها لم تتضايق حينما رأتنى . كنت أعلم أنها ستذهب للبحث عن سوزان كى تقبلها بعد كل هذه الغيبة ، وانتظرت حتى تفعل هذا ، وبعد أن تعبت من البحث ، عادت إلى قائلة :

– سوزان مش فى البيت ؟

فسألتها فى فتور : عايزة منها إيه ؟

– عايزة أديها العروسة اللى جبتها معايا ، حتماً هى راحت فى نزهة مع كلاريس ! هذه المربية الحمقاء لا تراعى عمر هذه الطفلة !
ومسكت الصحيفة التى بجوارى ، وتظاهرت بالقراءة فيها .

– ماكنش مفروض تسمح لها تخرج بها من البيت فى الجو الملوث ده .

وفار الدم بداخلي، وألقيت بالصحيقة في ناحية ما ، وصحت :

- أنت عايزة تجنينيني تانى ؟ إزاي تتكلمى عن المربية وتنتقديها فى حين إنك مابتهتميش بحال الطفلة ولو ساعتين فى اليوم ؟ حقيقى يهملك إنك تعرفى هي فين دلوقتى ؟ أنا بافكر أحياناً إنك بتتفرى منها ! أو إنك بتشوف فيها مانعاً لسعادتك ؟! مش من المهم بالنسبة لك إنك تعرفى إيه اللي عانتها الطفلة دى فى هذه الأيام ، وإيه اللي حصل لها ! كل اللي ليكى فيها هو إنك أمها فقط .

فقلت كيت فى فتور : أنا ما تأخرتش بالدرجة اللي تخليك تتضايق.

قلت فى هدوء ، ولكن بشيء من العصبية : كم أنت حمقاء يا كيت، بالتاكيد أنا اتعودت على سوء أفعالك وأنايتك .

- تقصد إيه ؟

- إن سوزان لازممت الفراش فى المستشفى طول المدة دى ، وهى هناك دلوقتى.

ضحكت كيت فى عصبية وقامت من مكانها :

- تقصد إنك سيببتها طول المدة دى لوحدها هناك ؟

- أنا مش عايزك تلعبى دور الأم الحنونة ، لأنه مش دورك !

فردت كيت فى عصبية : إنت عييت بنتى ، وعمال توعظنى ؟

فصحت : أنا ؟ أنا كنت السبب فى مرضها ؟ إنت مش عارفة ليه مرضت ؟ ليه هى مش فى البيت دلوقتى ؟

وصممت كيت وجعلت تصغى إلى ، فانتهزت الفرصة وتابعت حديثي:

- هي تعبت بعفونة في البطن وعلشان كده ارتفعت درجة حرارتها،
ونصح الطبيب بملازمتها الفراش ، وكنت ملازمًا لها طول الفترة دي،
ولكن للأسف لم يسمحوا لي باستلام الطفلة .

- ليه ؟

- بيستفسروا عن المشكلة اللي بينا .

فقلت كيت في عصبية : ده . . . ده غباء ، بالتأكيد إنت رحت
وحكيت لهم الحكاية كلها .

- كيت ، هي دي الحقيقة ومفيش مشكلة في فهمها .

- إنت خلتنى عندهم أمًا غير مسؤولة ومتمردة .

- مش بالشكل ده ، مع إن هي ده الحقيقة ؛ فمن وجهة نظرك ،
توصفي بإيه الأم اللي ما تجيش لزيارة بنتها ولو لمرة واحدة طول فترة
مرضها ؟

وأخذت كيت تروح وتأتى في عصبية ويدها اليسرى على وسطها ،
ويدها اليمنى تسحب بها شعرها المشعث للخلف ، وقد أثار سيرها هذا
غضبى :

- إنت بتمشى ليه بالطريقة دي ؟

- إنت مش عارف يا أرسلان ، لو ماكنوش اتكلموا مع جمعية
حماية الأطفال في الموضوع ده ، هيكون من حظنا .

فسألتها في حيرة : جمعية حماية الأطفال ؟ ليه ؟

- اللي أعرفه علشان يقدموا الأدلة عن عدم صلاحيتنا .

- وبعد كده ؟

- مفروض ندعى بس إن إحنا ما ندخلش فى قضايا أمام المحكمة.

0

قلت فى سخرية : دى حماقة ، لقد كنت حنوناً على سوزان دائماً .
- للأطفال حقوق فى مجتمعنا .

صحت : لكن دى طفلتنا ، ما يقدروش يخلوا حد تانى يربيهها . ومن فرط غضبى منسكت بساعديها بشدة ، وقلت وأنا أهزها : أنتِ التى جلبت كل المشاكل دى ! أنتِ بإهمالك وأنانيتك !

وقالت كيت فى رجاء وهى خائفة من غضبى : همُ بينفقدوا القانون ، متفقدش هدوءك .

فقلت بلهجة حادة : لازم تيجى معايا ونرجعها سوا البيت .

فخلصت كيت نفسها من يدي ، وقالت : أنا مش حيوان تصدر إليه الأوامر . أنا قلقانة زيك بالضبط ، ولكن يجب التحلى بالصبر ؛ فمن المؤكد إنهم مش هيسلمونا البنت فى الوقت ده من الليل ، لازم نستحمل لحد الصبح ، وإنْت مش هتقدر تعمل أى حاجة بالعصبية دى .

- اللعنة عليك وعلى بلدك وعلى شعبك !

وقالت كيت وهى تتوقع سماع هذا : أنا كمان مش مبسوفة من حياتى معاك ، وقلت ده قبل كده ، فى الليلة اللى كنت فيها فى حالة غير عادية وتصرفت معى بطريقة بايخة.

قلت وأنا أهزاً : مفيش هناك طريقة بايخة تانى ! لا بد إنك كنت تتوقعين أن أتصرف معك فى هدوء بعد سلوكك المشين المخجل ، لا يا كيت ، مش هاطلقك أبداً ، إنت لازم تكتوى معى بالنار اللى ولعتها

إنّ تستحقّوها ، بالإضافة لكل ده فانت وللأسف أم بنتى ! وأنا مش عايزها تكبر بدون أم .

- إنت حتى ما بتعتبرنيش أستحق أكون أمها !

- ولكنك للأسف أمها ! أنت اللي جبتنيها للعنيا دى ، وأنا بأقول لك أنا مش عايز من دلوقتى أشوف هنا وتحت السقف ده أى واحد من أصدقائك السفلة ، وأول واحد مشوفه هاستقبله بصورة وحشة ، وده هيطبق على أى واحد من الضيوف !

وتملك كيت الغضب غير أنها لم تتفوه بكلمة ، وتركتنى بينما كنت واقفا لأسمع ردها أو رد فعلها على ما قلت ، وتوجهت إلى حجرتها فى حين كنت أعلم أنني قد وجدت عدواً لدوداً من الآن فصاعداً بدلاً من زوجتى.

وسلمونا سوزان ، ولكن كما كانت تتوقع كيت بعد عبورنا سبعة موائد ! فقد استجوبونا كثيراً بأسئلة إن تذكرتها الآن تدور رأسى ، وكانت كيت تعلم جيداً إلى أى مدى أحب سوزان وإلا لما كانت قد تعاونت معى وتصرفت بأسلوب آخر للرد على ، وعلى أية حال فقد اعتبرت تهديدى أمراً جاداً ، ولم تحضر أصدقاءها ثانية إلى منزلنا ، لكن كان يُشعر بعدم وجودها أكثر من ذى قبل ، إلا أن هذا لم يعد مهماً بالنسبة لى ، ولا أى شىء آخر . كنت أشعر وكأننى سقطت فى دوامة كثيرة التلاطم ، وكانت كيت تحثنى يوماً بهذا التصرف على قبول فكرة الطلاق ، وعلى الرغم من أنني لم أعد أحبها لكننى كنت معترضاً على الطلاق بنسبة مائة فى المائة . لا أعلم ، ربما كنت أرغب فى أن أعذبها مثلما عذبتنى طوال هذه المدة . من ناحية أخرى لم أكن أرغب أن أتناوق مرارة الهزيمة للمرة الثانية فى حياتى الزوجية ، يوماً كنت أفكر فى أن

أسرتى سوف تلومنى إذا ما علمت هذا الأمر ، وسوف تتهمنى بأننى
المتسبب الأساسى فى هذه المشكلة .

أتريدون الصدق ؟ كنت أفكر كثيراً فى سبب العداء بينى وبين كيت ،
وكنت مؤمناً بأننى المقصر فى ظهور هذا العداء ، ولكن كلما فكرت لم
أستطع أن أدرك ذنبى ، لقد كنت صادقاً دوماً مع كيت ، كنت أحبها ،
كنت أتجاهل أخطاءها ، لم أتعامل معها قط مثلما كنت أتعامل مع
زوجتى الأولى ، تلك الفتاة الطيبة النجيبة ، ولم أكن قاسياً معها ولو مرة
واحدة خلال فترة حياتنا الزوجية القصيرة .

لقد مر الماضى ، وتذكره لم يجلب سوى الألم لقلبى ، كان هدفى
أكثر من أى شىء آخر هو الحفاظ على سمعة أسرتى . وإذا ما علم
أبى وأمى بحقيقة حياتى سيجن جنونهما ولن يصدقوا ، لأننى خلال
الأربعة أعوام التى قضيتها مع كيت كنت أتحدث معهما عن محاسنها
فقط ، محاسن لم تكن فى الأصل لديها .

وصيف هذا العام لن ينمى قط من ذاكرتى ، صيف تجمد فيه
قلبى الدافئ ، وتسبب فى أن أغادر تلك الأرض الأجنبية ، فقد توجهت
إلى أيرلندا لعقد إحدى الصفقات ، وأنهيت عملى بأسرع مما يجب ،
وحيثما هبطت من الطائرة فى مطار لندن ، دفعنى شوق داخلى للتوجه
مباشرة إلى سوزان فى المنزل قبل توجهى إلى الشركة ، فقد مضى
أسبوع دون أن أعلم عنها شيئاً .

وفكرت فى نفسى : مما لا شك فيه أنها شعرت خلال تلك الفترة
بوحدة شديدة ، وأن كيت لم تمكث بجوارها مرة واحدة بسبب انشغالها
مع ضيوفها الحمقى ، ووضعت المفتاح فى الباب ، ودخلت المنزل ،
وذهبت مباشرة إلى غرفة سوزان ، وكانت مستغرقة فى النوم . وأثار

فضولى صوت نجوى وهمس ، فتوجهت إلى غرفة كيت ، وكنت أمل ألا تكون كل أحاسيسى سوى أوهام ، وكانت ضربات قلبى تخفق لدرجة جعلتنى أتخيل أنتى سأسقط على الأرض ، ومسكت بمقبض الباب وضغطت عليه لأسفل ببطء ، ثم فتحت الباب فجأة !

أه ، يا إلهى ، ليتنى كنت مت ، ليتنى كنت قتلتها ، وسرعان ما منعت عينى من الرؤية ، ثم صحت لمشاهدتى هذا المنظر : يا إلهى ، لا ! وتملك جسدى كله أمواج من الغضب ، وشعرت أنتى لو لم أخرج سأنفجر ، لا أستطيع أن أصدق ، كيت وفرانك معاً ؟

ونهضت كالقط البرى ، وقبل أن أسمح لفرانك بالحديث ، سددت إليه لكمة فى كتفه ، وصحت : قم ، ودافع عن نفسك ! يجب أن يخرج أحدهما فقط من هذا المنزل حياً ، إما أنا أو أنت !

وكانت كيت تصيح بلا توقف ، وهى تقف فى أحد أركان الغرفة ، ثم نالنى فرانك بضربة ، وبينما نحن منهماكان فى العراك سمعت صوت سوزان ، فتراجعت للخلف ، وذهبت إليها وأنا جريح واهن ، واحتضنتها فى صدرى بقوة ، وحينما رأت أمها قالت : ماما !

فتقدمت كيت خطوة ، فصحت فيهما : اخرجا كلاكما من بيتى ! وكان الدم ينزف من رأسى ووجهى .

وتقدمت كيت ، وقالت : أرسلان . . .

وقبل أن أسمح لها بأن تكمل جملتها ، وجهت إليها ضربة قوية من يدى ، فتراجعت للخلف ، وسقطت على الأرض بعد اصطدامها بشدة بالحائط ، وتقدم فرانك ثانية ، فأخذت سوزان إلى ركن فى الحجرة :

- ليه ضربت كيت ؟
- كان لازم أقتلكما ، إنت خدعتنى طول المدة دى ؟
- أيوه ! أنا على علاقة بها ، لكنك كنت دايماً بيننا .
- فقلت فى غضب : طب ليه دخلتوني فى اللعبة دى ؟ كنت تقدر تتجوز الوقحة دى قبلى .
- وكانت سوزان تبكى وترتعد فى ركن الحجرة من رؤيتها لذلك الشجار :
- كيت طلبت منك الطلاق .
- أظن أنتى أحمق لدرجة تخلىنى أعيش معاها بعد اللى حصل ؟ أقسم بالله لو لم تكن سوزان موجودة بينا لكنت اشتريت عقابها بروحى ، وقتلتكما ، وأفنيتهما من الوجود .
- وساعد فرانك كيت كي تنهض من مكانها ، ثم غادرا المنزل سوياً ، ولم أر فى عين أى منهما أثراً للخجل أو الندم .
- فى حين أنتى كنت أتخيل أن كل ما حدث مجرد رؤيا أو منام ، ولو لم أر شكلى وجروحي فى المرأة لكنت قد تشككت فى صحة ما حدث .

الفصل التاسع عشر

كان يبدو أن كيت كانت أكثر عجلة منى ، فبعد هذا الحادث الأليم بأسبوع واحد وصلتني ورقة من المحكمة كانت عبارة عن دعوى من قبل كيت تطلب فيها الطلاق .

واحتضنت سوزان ، وقبّلت شعرها ، وقلت لها وأنا أبتسم ابتسامة مرة :

-أمك حمقاء لا حياء لها ! ولكن اطمئني مش هاتخلي عنك تحت أى ظرف، حتى وإن اضطررت إلى إخراجك سراً من هذا البلد .

وحضرت فى المحكمة ، وابتسمت كيت عند رؤيتها لسوزان ، لكنها كانت بلا مشاعر ، ومضت سوزان إليها وهى تجرى ، ورأيت كيت تأخذها فى حضنها ، وأدّرت ظهرى لهما ، حتى لا أصبح العوبة لمشاعرى. وقالت كيت :

- مازعلتيش علشان أمك ؟

- ليه يا أمى ! ليه ما بتجيش البيت ؟

- إنت لسه صغيرة ، جايز تفهمى بعد كده .

- بابا بيقول إن إنت اللى غلطانة !

- مش بالشكل ده يا حبيبتي ، دلوقتى لازم ترجعى إلى أبيك.

وجاءت سوزان إلى ، وأخذتها فى حضنى ، ودخلت الحجرة مع كيت ومحاميتها .

وبعد أن قامت المحكمة باستجوابنا وتفحص الأوراق أصدرت حكمها ، وكنت مضطراً وفقاً لقوانين هذه الدولة أن أقدم لكيت نصف ثروتى، فصحت معترضاً .

ولم تتفوه كيت بكلمة ، وكان محامياها يتحدث بدلاً منها طول الوقت. وقلت بصوت عال : ده شىء مضحك . لقد أزهدت روحى لأعوام طوال علشان أقدر أجمع الثروة دى، وتحملت علشانها برودة سيبيريا وحرارة أستراليا .

فقال القاضى : أرجو أن تلزم الهدوء يا سيد وفائى . إنت أجنبى، واضح إنك تجهل قوانين بلادنا . إن زوجتك اللى شاركتك فى حياتك لها حقوق . ومش قانونى إن إحنا نغير الكلام ده علشانك ، واعتراضك لا محل له ! من فضلك راع نظام المحكمة .

وشعرت ببريق النصر فى عينى كيت ، فقد كانت تستغل جهلى، ورغبت فى أن تسقطنى من الحياة ؛ فجلست فى هدوء وفكرت : إننى على أية حال لن أعيش معها ولو للحظة بعد واقعة الخيانة ؛ فأنا أفقد كل شىء ، وسوف أراعى سوزان ، فهى ملكى . واحتضنت سوزان أكثر من أى مرة أخرى ، ووافقت المحكمة على طلاقنا ، وانفصلنا عن بعضنا بمنتهى السهولة .

وأحضرت كيت خاتم الزواج الثمين الذى كنت قد اشتريته لها ووضعته أمامى ، وأعدت إليها أنا أيضاً خاتمى ، وقالت قبل أن أتحدث بشأن سوزان : الطفلة لك ، فسوف أتزوج فرانك .

وعجز لسانى عن الحديث بسبب فتورها وهبوطها . لقد كانت أمماً سيئة . لم أكن أستطيع أن أصدق أن تتنازل بهذه السهولة عن حقها، فسألتها:

- هو مات جواك كمان إحساس الأمومة ؟

فقلت ببرود : أنا لما أرفضك ، أقبل بنتك أعمل بيها إيه ؟

وفكرت : معها حق ، إلى هذا الحد وصلت علاقتها معي ، وأسفاه على أحوال هذه الطفلة !

قلت : إذن أنا مش عايزك تشوفيها تاني ، لأنى بافكر أقول لها إنك مت !

ورفعت كيت كتفيها بما يفيد بعدم مبالاتها ، فتابعته حديثي : وفيه حاجة تانية ، أنا هاعود إلى إيران لأنى مستاء منك ومن كل أهل بلدك ، جميعكم تعيشون فى ترف وخداع ، تضعون الطاقية على رؤوس بعضكم ، إنتم حتى ما بتواسوش بعضكم فى المأسى ، ودلوقتى لما أفكر كويس باشوف إنك ما كنتيش عايزانى من الأول ، إنت كنت عايزة فلوسى ، وبعد ما تزودى فلوسك تقولى لى مع السلامة ، فى ستين داهية ، وماكنش غير طبعى علاقتك مع السافل ده ، فبالرغم من إن شعبنا ما وصلش للفضا لغاية دلوقتى ، ومفيش مقارنة بينهم وبينكم ، إلا أنهم يملكو شيئاً متقدروش تمتلكوه رغم كل اللى عندكم من علم واسع ، وهو القلب والعواطف والحب ، حب لا يتسلل إليه أى خلل تحت تأثير المال ، مش زيكم ، تحطوه فى إطار معين ، جايز من الأفضل إنى أسيب لك كل اللى جمعته من ثروة فى البلد دى ؛ فعندنا مثل بيقول : اللى تجيبه الريح تاخذه الريح ، وأنا هاحتفظ بس بالمبلغ اللى جيت به هنا ، والباقى هسيبوا ليكى ، وهرجع بلدى ، ومش هرجع للمكان اللى بيحرك الألم بداخلى !

ونفذت كلامى ، وحملت بعض الملابس الخاصة بى وبسوزان فى أول فرصة ، وتركت ذلك المنزل إلى الأبد .

كان كياني كله يرتعد من نار الحقد والانتقام ، لكنني كنت أحاول
ألا أبالي بذلك . لم أكن أرغب في التألم أكثر من ذلك . في الحقيقة كان
قلبي يحترق من أجل سوزان ، لم أكن أرغب في أن تقع ابنتي من بعدى
في يد هؤلاء المتمدنين بلا مدنية ، وكان عشقي لها أسمى وأقوى من
إحساس الانتقام ، وتحولت عن رغبتى في هذا الانتقام من أجلها .
ولم يعد ثمانية لتلك المدينة الدنيئة أية جاذبية لدى ، بل كانت تخنقنى
وكأنها قفص .

كنت أرغب في أن أطيرو وأدعها وراء ظهري ، وهذا ما كان يهدئني
ويطمئنني بأن كل شيء سوف ينتهي .

وفي أول فرصة اشترت تذكرة ، وتوجهت إلى إيران دون أن أقوم
حتى بتوديع أصدقائي ، وحينما سلكت طريقى كان الجو في الصباح
الباكر ، وكانت سوزان نائمة خلال الرحلة ، واستيقظت من نومها حينما
هبطنا في دولة ما خلال الطريق للتزود بالوقود ، وثانية لم يسعني
جلدى ، فلم يتبق إلا القليل حتى أصل إلى وطني ، وقد هبطنا أرض
إيران تقريباً وقت السحر ، وقلت لسوزان : أهلاً وسهلاً بك في مسقط
رأس أبيك .

لا شك أنها لم تفهم شيئاً من كلامي ، وكنت أعلم أنه سيكون شاقاً
عليها أن تتعلم اللغة . واستقليت سيارة ، وذكرت للسائق عنوان منزل
أبي . حقيقة كنت أشعر بالخجل من مواجهة الأسرة والإفصاح لهم عن
حقيقة ما حدث ؛ فالحق دوماً كان مع أبي ، فكنت أكثر أولاده تعباً له .
وفي النهاية وصلنا إلى منزل أبي ، وكنت أعلم أنهم سيندهشون عند
رؤيتهم لي ، لأنني لم أخبرهم بعودتي . وبقيت متردداً ، ماذا أفعل ؟
وفجأة فتح باب الفناء ، ولم أكن قادراً على الحركة ، وخرج أبي من
المنزل ، لكنه لم يرني خلفه .

وحيثما عاد ناحيتي وشاهدني ، تملكته الحيرة وثبت مكانه ،
وابتلعت ريقى و أمسكت بيد سوزان ، وتقدم أبى عدة خطوات بصعوبة ،
وكأنه لم يصدق أن أكون أنا :

- أرسد أرسلان !

فقلت فى صوت مخنوق : أنا يا أبى !

وكان ضياء الشمس الأصفر يقع على وجهه ، وكنت أرى كم
أصابته الشيخوخة أبى ! ومد يده إلى ساعدى وسألنى للمرة الثانية وهو
غير مصدق : أنت أرسلان ؟ ليه ما أخبرتناش عن مجيك ؟

وكنت أتمالك نفسى ولكن بصعوبة ، وكأنتى صرت طفلاً مرة
أخرى ، وأخذت أبى إلى حضنى واحتضنته بشدة ، وشعرت وكأنتى قد
وضعت رأسى على مأوى آمن ، مأوى لم يكن فيه أى شىء قتل ، لا شىء
من الخيانة أو الخداع أو التزوير ، لا شىء سوى رائحة الحب الجميلة :

- هواء الصباح بارد ، تعال ، أمك هتندهش لما تشوفك .

ثم انتبه إلى الطفلة ، وسأل : دى بنتك ؟

فحركت رأسى وقلت : سوزان !

جلس أبى أمامها على قدميه ، وقبّل رأسها وجبهتها ، ورأيته بعد
ذلك يحتضنها بشدة . أى ابن كنت أنا ؟! فبرحيلى سلبتهما حتى
إحساس الجد والجدة ، وكانا يعلمان فقط من خلال الهاتف أن لدى
ابنة!! ووقف أبى وهو يحتضنها ، وفتح باب المنزل بالمفتاح ، ودعانى
للدخول ، ثم نظر وراءه ، وسأل : وزوجتك ؟!

ولم أكن أرغب فى أن أخبره بما حدث دون مقدمات ، فقلت : هى...
هى مقدرتش تيجى معانا !

فقال أبى وهو يضحك معاتباً : إنت سيبتها لوحدها وجيت مع
الطفلة دى ؟ بقى بعد السنين دى رجعت إيران كالجيش المنهزم . إنت
زى ما إنت ! أنا اتعودت على سلوكك .

وضحكت ضحكة مريرة ، ودخلت المنزل ، وصاح أبى بصوت عال
وهو وسط الفناء :

- زينت ... زينت هانم ، جالك ضيف !

- واه ، مين اللى جه الصبح كده ؟ ربنا ياخدنى ، اصبر لغاية
ما لم هدومى يا سيدى .

وجاءت زينت خلف النافذة ، واندeshشت عند رؤيتى .

-السلام عليك يا أمى !

- أرسلان ؟!

وأظهر والدى سوزان لها وقال : امسكى نفسك كويس ، إن لضيقتنا
طفلة صغيرة كمان !

ونظرت أمى إلى سوزان ، وصاحت قائلة : إلهى ، أنا فداها ، ثم
خرجت مسرعة ، وأخذتها من أبى :

- شوقت ؟ شوقت يا أيوب أفندى ؟ أنا قلت لك إنى هشوفها .
إلهى ، أنا فداها ، شعرها كالذهب ، عيناها مثل أمها . أمها ! فين أمها ؟
فين زوجتك يا حبيبى ؟

فقال أبى بدلاً منى : البيه اشتاق لأمه ، فشال بنته تحت باطه وجه
لوحده .

فقالت أمى وهى تقبلنى : روح أمك ، ليه سيبتها لوحدها ؟ ليه
جيت الطفلة بدون أمها ؟

وهكذا حاصرتنى سلسلة من الأسئلة ، وتمنيت أن تنتهى ! وأخذت
سوزان من أمى ، وقلت : الطفلة جعانة يا أمى ، شايك جاهز ؟ عايزها
كمان تذوق أكلنا !

قالت أمى وهى تتذكر الفطار : نعم .. نعم يا بنى الفطور جاهز ،
سأحضره لك !

كان أبى ينظر لى فى دهشة ، وكنت أعتقد أنه قد شك فى كلامى ،
لذا قلت: أبى ، يالابينا، لسه الوقت طويل للسؤال والجواب ! إن كيت
تشعر بينا بإحساس الغربة . وأنا أحضرت الطفلة علشان تشوفوا
حفيدتكم ، وجاء أبى فى أعقابى ، لكننى سمعته يهمهم : إلهى ، إننى
أرتضى كل ما يرضيك .

كنت مشغولاً به ، لأنه كان يعرفنى جيداً .

وقدمت أمى الفطور إلى سوزان بنفسها ، وكانت تمنحها قبلة على
وجنتها كلما قدمت إليها لقمة خبز ، ولا شك أن سوزان كانت مستمتعة
بذلك . إنها للأسف لم تكن تعرف طعم محبة الأمومة الحلوة ، لذا لم
تهب أمى ، وتمكنت منذ اللحظة الأولى لقدمها أن تمتلك قلب كل من فى
المنزل ، رغم أنها لم تكن تفهم لغتهم !

كنت أعلم أننى لن أستطيع أن أكذب عليهما فترة طويلة ، ويجب أن
أفصح لهما عن الحقيقة ، ولكننى فى الواقع لم أجد فى نفسى القدرة
على مصارحتهما ، وفى تلك الفترة تمكنت فقط من أن أنال قسطاً من
الراحة فى منزلى وبجوار أمى وأبى ، فى المكان الذى لا يعوضنى عنه
أى مكان آخر فى العالم .

الفصل العشرون

فى الليلة الأولى لإقامتنا فى طهران أنامت أمى سوزان ، ثم جاءت إلى حجرتى ومعها إبريق من الماء ، وكنت جالسا فى التراس على الكرسي ، أستعيد ذكريات الأعوام السابقة وأنا أعد النجوم وأفكر فى طفولتى ، فى الفترة التى لم يزد عمرى فيها عن الثامنة، فقد كنت أعتقد أنني أستطيع أن أمسك النجوم إذا ما صعدت فوق السطح ، وتصعدت منى أهة وابتسمت ، وتنفست بعمق هواء وطنى ، ولم أنتبه أصلاً لتواجد أمى، والتفت إلى الخلف بعد سماع صوتها ورأى :

- بتضحك على إيه ؟

قلت : لا شىء ! على الوقت الذى كنت فيه طفلاً ، وعلى أحلام الطفولة البسيطة البريئة .

وجلست أمى على حافة السرير، وقالت وجلدها لم يكن يسعها من شدة سعادتها بسبب حضورى :

- أيوة يا بنى ، أنا لسه فاكرة طفولتك ، أفكر مرة كنت عايز تقطف فيها النجوم ، ولو ما كنتش وصلت بسرعة كنت وقعت .

- وأنا فاكرا يا أمى إنك ما حسببتيش أبداً على أى خطأ عملته .

- دلوقتى إنت أب ، تقدر تضرب بنتك حتى بطرف صباغك ؟ من الأفضل إنك تدخل ! الجو بارد ، هتاخذ برد .

وشعرت بالبرد من الاسم وتملكت القشعريرة جسدى، فعدت إلى حجرتى، وأغلقت باب التراس ، فقالت الأم : أحضرت لك الماء .

- إنت لسه فاكرة إنى باشرب الماء فى نص الليل ؟
- هى الأم تنسى اللي اتعود عليه ابنها ؟ حقاً كيف حال كيت ؟
- وتملك جسدى كله موجة من الغضب عند سماع اسم كيت ،
وصككت أسناني حتى لا أتفوه بكلمة .
- أى فتاة جميلة لديك ! إنها جميلة زى أمها بالضبط . البنات
دوماً يشبهن أمهاتهن .
- واتجهت ناحية طبق الماء ، وملأت كوباً ، وارتشفت قليلاً منه .
- بالتأكيد هترجع بسرعة، حسناً إحنا قانعين بكده ، كفاية إنك
فاكرتا لحد دلوقتي . إنت عارف ، أحياناً كنت أفكر بأنك سعيد جداً
لدرجة خليتك تنسانا .
- قهمست فى سخرية : سعيد !
- سألتنى الأم : قلت حاجة ؟
- ووضعت كوب الماء فوق المنضدة ، وجلست بجوار أمى ، ونظرت
إلى وجهها :
- أمى ، أنا لازم أقول لك الحقيقة .
- وكانت أمى تصغى باهتمام .
- أنا ... أنا مش هرجع إنجلترا تانى .
- ولم تفهم شيئاً من حديثى وظلت تنتظر إلى فى دهشة .
- أنا ... يعنى إنت مش مبسوسة لإنى جيت علشان أكون
بجانبيكم إلى الأبد .

قالت أمى وكأنها تذكرت شيئاً : ولكن ماذا عن زوجتك ؟

ووضعت يدي على وجهي ، وقلت بهدوء :

-إنت ما سألتيش عن حقيقة حياتي يا أمى !

- لكنك كنت بتقول دائماً إنها سعيدة .

- وكنت باقول لنفسى يا أمى ، ولكتنى بالضبط كنت زى اللى وقع

فى قعر جهنم ويقوم الله بتعذيبى .

- زوجتك ...

- لقد انفصلت عنها .

ورفعت أمى يدي عن وجهي ، ورأيت الدموع تحتبس فى عينيها .

- انفصلت عنها ! ليه ؟ إنت كنت بتحبتها .

- وحركت رأسى يمينا ويساراً ، وقلت بلهجة حادة : ما فهمتش ليه

أبدأ ، أنا مش عارف أنا حبيبتها من قلبى فى الأصل أم لا ؟ أمى ، أنا

عملت كل اللى كان مفروض أعمله ، إحنا ما حبناش بعض ، وأنا

ماحبتش الناس دى .

قالت أمى وهى تبكى : بتقول كده دلوقتى ؟ دلوقتى وإنت لك طفلة

منها ؟ إنت ما فكرتش أبداً إن بنتك تحتاج إلى أمها ؟ ما فكرتش إن

مفيش أى حد يقدر يحل محل أمها فى قلبها ؟ حتى أنا ؟

ومسكت بكتفى أمى ، فإن كان لدى الطاقة على تكديرها ، إلا أنه

لم تكن لدى الطاقة على عذابها وبكائها .

- أمى ... أمى ، قبل أن تدينينى امنحينى المجال للكلام .

- عندك إيه تقوله ؟ إنت عندك أصلاً كلام تقوله ؟ إنت عمرك
ما خدت حياتك جد أبداً ، أنا تحملت آلام الأم علشانك ، لكنى ما لقتش
نتيجة لتعبى أبداً زى كل الأمهات .

رأيت أننى لا أستطيع أن أواسيها ، فجلست فى هدوء ، وأصغيت
إليها :

- أه يا أرسلان ، لو عرف أبوك بالموضوع ده هيصاب بالسكتة
قوراً ، ياريت كان همنا هو بعدنا عنك ، أنا ما عنديش القدرة على إنى
أشوف انهيار حياتك ، وهو نفس الوضع !

- أماه ، مش من العدل إنك تحكمى على بسبب أخطائى فى
الماضى ، أقسم بحياتك إننى لم أكن سبباً فى إيجاد هذه الظروف .

- إذن ليه ما تتكلمش علشان تهدينى شوية ؟ ليه ما فتحتش بقلبك ؟
وبدأت أشرح لها ، وتحدثت عن بداية معرفتى بكيت ومدى عشقى
لها ، وعشقها المريض للحفلات واللهو حتى وصلت إلى مرحلة إنجاب
سوزان ، وتحدثت عن عدم مبالاة كيت ، وعدم ارتباطها بسوزان ،
ورويداً رويداً تغير لون وجه أمى ، لون ساعتى ، لون يشفق على ،
وأذرفت دموعها ثانية ، ولكن لا أعلم ، أمن أجلى ! أم من أجل
تعاساتى ؟ أم لأننى لعبت طوال هذه المدة دور الرجل السعيد ؟

- ليه ما قولتش حاجة فى أى وقت قبل كده ؟

- لأننى كنت أعتقد أنكم هتخلونى أنا المقصر ، وبالتأكيد أنا
ما خمنتش خطأ .

- إنت ما عرفتنش حاجة عنك ، وكنت بأتحمل لوحدك عذاب الأيام
العصيبة دى طول الوقت ، هو قلبك إيه ؟

وضمت رأسى إلى حضنها ، والآن يجب أن أترك نفسى ،وقلت وأنا أبكى :

- أه يا أمى ، ليه أنا تعيس إلى هذا الحد ؟ ليه بيخوننى أحب الناس فى حياتى ؟

- لا تكفريا ولدى ، فالدنيا لا تسير دوماً وفق مراد البشر ، فحيناً تقع الفرصة فى يدى وحيناً آخر فى يدك !
- أنا هاموت من شدة الخجل والانكسار .

- إنت راجل ، وهتفضل راجل ، والشىء اللى يتحملة الراجل هو الألم ، انظر لوالدك ، فكل تجعيدة فوق جبينه شارع طويل لقصة مملوءة بالألم، لو افكرتها تتعب ، لكنه اتحملها .

- عيبى فين يا أمى ؟

رفعت أمى رأسى ، وقالت وهى تجفف دموعى :

- مش فى الصداقة ، بل فى ثقتك العمياء .

- لكنها كانت زوجتى .

- إنت اتجوزتها لحبك لها ، وأنا متأكدة إنك ما فكرتش فى هذه اللحظة فى ضرورة إنك تتعرف عليها أكثر ، وكمان عاداتك تختلف عن عاداتها، ودلوقتى لما أبص عليكويكس بشوف آثار الألم واضحة على وشك .

- أعتقد إنى بتجرع ألم الموت .

- فكر فى بنتك ، فهى معاك ، واحنا ، والله سبحانه وتعالى !

الله ! الله ! أى كلام عذب هذا ! أى حديث مهدئ هذا ! كم كنت

بعيداً عنه ! كان الحق مع أمى ، إن الله لا يترك مخلوقه وحيداً ، والله لا يدعنى وحدى .

- اطلب من الله يا ولدى ، اطلب منه أن يلهمك الصبر ، أنت لسه شاب، فى ريعان الشباب ! تقدر تغمر تانى هذا البناء الخرب، ولو ما كنتش عايز تقدر تبنيه تانى من جديد ، بالشكل اللى إنت عايزه .

فى تلك الليلة ، شعرت بالراحة بعد البكاء الذى بكيته ، لكننى لم أستطع أن أخلد إلى النوم، فكان ذلك المنظر أمام عيني دوماً، وكنت أشعر دوماً أن العذاب دائم لا محال .

وفى أول فرصة علم أبى أيضاً بما حدث ، ولعله علم لأول مرة أن لدىّ غيرة ، لأنه ذكر هذا الأمر علانية. وعلى الرغم من أننى كنت أعلم أن أمى تغتم بسببى ، إلا أن ظاهرها كان يوحى بأنها سعيدة ، وكانت تحاول أن تهين لى أسباب الراحة .

إنهما كانا يعبدان سوزان ، وأنا كذلك ، لقد أصبحت أملى فى الحياة ، وكنت أقضى الساعات الطويلة معها ، كنت أذهب إلى أبى طوال النهار وحتى الغروب ثم أعود معه إلى المنزل فى المغرب وأقضى الساعات الباقية مع سوزان ، وكنت أحاول أن أعلمها اللغة الفارسية ، وكانت طفلة ذكية ذات استعداد ، تمكنت من استيعاب الأشياء بصورة سريعة .

ولا شك أنها كانت تقضى معظم وقتها بصورة أفضل مع أمى ، فكانت أمى تحملها إلى الحمام وتمشط شعرها ، وتذهب معها إلى الحدائق . فضلاً عن ذلك ، كانت تنام طوال الليل إلى جوارها ، وكان والدى يحبها أيضاً ، ولم أر والدى شغوفاً قط بطفل على هذا النحو ، وكان يغنى لها الأشعار ، ويلعب معها .

وقد لاقت سوزان محبة خاصة أيضا لدى المعارف والأقارب ، فكل من يراها مرة واحدة يتعلق قلبه بها ، وكان والدي وأمي يتعلقان بها إلى حد أنهما حينما سمعاني أتحدث عن رغبتى فى إعداد منزل خاص بى عارضاني ، وقالت أمى : هو عايز يربى حفيدته بنفسه ، لقد اعتاد الأب أن يراها بمجرد دخوله المنزل ، ودوماً كان يأتى إلى المنزل وجيبه مملوء بالحلوى لها .

أثناء ذلك - وبينما كنت أحاول التملص من الحديث عن حقيقة حياتى - كان أبى يتحدث عن حقيقة ما حدث ولا شك أنني قد طلبت من أمى ألا تقص عليه حكاية خيانة كيت كاملة، وإلا أصبحت يشار إلى بالبنان من قبل القريب والبعيد .

لا أعلم ، لعل أمى كانت قد خجلت هى أيضا من أن تقص عليه الحقيقة ، ولكن لآى سبب كان ظل هذا السر بينى وبين أمى فقط .

أريد شراباً مرّاً ، فهو قوة الرجل الشجاع
حتى أستريح لحظة واحدة من الدنيا والشر والفتن
بساط الدهر الدون لا يمنح شهيد الراحة
أيها القلب، تذوق طعم الحرص والطمع من المرارة والفتن
وأحضر الخمر فلا يمكن أن نأمن مكر السماء
بـعـزف كـوكـب الزهرة أو المريخ المسلح(*)

(*) من أشعار حافظ الشيرازى المعروفة بلسان الغيب .

الفصل الحادى والعشرون

جميع ما تبقى لدى من حب وعاطفة كنت قد وجهته إلى سوزان. أحياناً كنت أفكر : علام سيكون الحال إن لم تكن موجودة ؟ لم يمض حتى الآن على عودتى من إنجلترا سوى ثلاثة أشهر ، وقد ظهر أصدقائى القدامى ، وقد جاء كل منهم لزيارتى ومعهم باقات من الورد ، هؤلاء هم أنفسهم الذين كنت أذهب إليهم فى يوم من الأيام لطلب العون فيتهربون منى ، الآن يتعاملون معى بلون آخر.

مساكين ، إنهم كانوا يتخيلون أن السفر إلى أوروبا يجعل الإنسان ذا مكانة مرموقة ، ولا شك أننى كنت أستقبلهم ، لكننى كنت أضحك من قلبى عليهم جميعاً ، كانوا يقولون :

- يا ولد ، احترم السيد أرسلان ، بقى دلوقتى صاحب مكانة .

وكان يقول آخر :

- لا ، هوده أقل من المهندسين ؟ ده بيجى بلبس إيه ، وشياكة إيه ، وبيتكلم بطريقة إيه ، وعنده معلومات كثيرة .

ويقول آخر : دلوقتى مفيش حرج إنى أتكلم عن مراتك ، دى حاجة ممكن تحصل لأى واحد فى أى مكان ، فعدد كبير من الفتيات على استعداد لأن يتزوجن من أى راجل يسافر للخارج علشان يتفاخرن أمام معارفهن وأقاربهن .

وكان يقول آخر :

يا أخى ، إيه اللي هيعوزه من الست ؟ واحدة كفاية! لازم يقضى عمره فى راحة ، شوقنا إحنا منقدرش نسافر لوحدنا ، خشية من زوجاتنا ، وكويس إن لك ابنة واحدة ، أما أنا سئ الحظ لازم أجرى علشان أملأ بطون العيلين الشقاي دول.

كم كان يستاء قلبى عند ما كنت أسمع هذا الكلام ، ففى النهاية أنا إنسان، كان لى صديق، وكان لى زوجة مثل كل هؤلاء ،تنظم حياتى ، تتشاجر معى ، تتصالح ، تظلم ، تواسينى ، تتحدث معى ، أو حتى تصدر أوامرها لى .

وانقضت الآن سنة على عودتى إلى إيران ، وأعد والدى احتفالاً بمناسبة عيد ميلاد سوزان الثالث ، ودعا جميع الأهل والمعارف ، وكانت سوزان قمر المجلس ، وكانت تشع نوراً بسبب اهتمام أبى وأمى بها ، وكانت على عكس أمها طفلة طيبة ، تتعامل مع الجميع بشكل لائق بون أن تشعر معها بالغربة ، وكانت تأتى بجوارى وتبدى محبتها لى ، وكان يكفيها فقط أن تنظر لى لعدة دقائق . فى الوقت الذى كانت تقترب فيه منى كانت تلف ذراعيها الصغيرين حول رقبتى وتلصق وجهها فى وجهى .

وكان هذا دليلاً على قمة حبها لى . وتدرجياً أخذت تتحدث بالفارسية، وتركت لغة أمها حتى نسيتهما، ولا شك أن الفضل فى هذا يرجع لأمى ، فكانت تتحدث مع سوزان دوماً ، وكنت أعتقد أن وجودها كان سبباً فى أن ينسى أبى وأمى كهولتيهما ووجدتيهما ، حتى إننى أذكر أن أمى كانت تقول دوماً إنها تحلم بآمال كبيرة لها ، وكنت أنا كذلك حينما أنظر إلى سوزان ، كنت أتخيل مستقبلها ، أتخيلها فتاة ناضجة تقف أمامى فى زى العرس الأبيض فى أبهى زينتها ، كانت ترسم ابتسامة على شفתי حينما أتخيل تلك الأمانى . وقد تفاضيت عن

أحلامي ، وكنت أشعر أنه يجب أن أنسى نفسي ، وأفكر فقط في سوزان ومستقبلها ، وأقسم بالله أن هذا الإحساس فقط هو الذي كان يمنح قلبي القوة ، وكان يساعدني كي أنسى الماضي للحظات . لقد كنت أعشقها ، ولم أكن على استعداد أن يشاركني فيها أى شخص . أه ، أى إحساس جميل ، ذلك الإحساس بغيرة العشق ، كان هذا هو الشيء الوحيد الذى يسعدني . والشيء الذى كان يكدرنى أكثر من أى شيء آخر هو وجه سوزان ، فتشابهها الزائد عن الحد بكيت كان يضطرني إلى التفكير فيها أحياناً وأحيى تلك المذكرات المريرة .

الحقيقة هى أنني كنت أتعجب من نفسي حينما أتذكر تلك المذكرات المريرة ، فكيف كنت أتحملها؟ فبالنسبة للرجل الإيراني فإن تنحى هذه الأحداث يتلزم مع العذاب ، والحق فقد ألقيت بهذا العذاب المرير خلف ظهري .

أحياناً أقف أمام المرأة ، وأنظر إلى مرور العمر ، وأصبح : أهذا أنا أم المرأة ؟ ثم أمسح بيدي غير مصدق فوق شعري الأبيض ، وحينئذ أدرك أنه يجب أن أتقبل فكرة أن قافلة الشيخوخة فى الطريق ، وفى ذلك الوقت أصبح : قدر الله ألا أكون مع الأحياء .

أه ... أريد ألا أتذكر خواطري ثانية ، لأننى أعلم أنها أكثر مرارة من أيام الغربة العصبية .

لا أعلم ، ربما أفقد الشجاعة ، ربما أرغب فى الهروب منها ، لكن لا أستطيع . إنها تمر أمام عيني كلقطات متتالية لأحد الأفلام ، وتتداعى أمامي رغماً عني .

على أية حال ، فأنا الذى كنت قد اخترت العزلة ، ولم أكن أسمح لشخص أن يخرقها ، كنت أبتعد عن سوزان كثيراً ، لكننى أدركت

تدريجياً أنها إنسان ، ولا يجب أن تضحي من أجل نفسيتى المحبطة ،
وأن تقضى أحلى أيامها فى وحدة معى أو مع أفراد أسرتى . وحينما
وصلت إلى هذه النتيجة عازمت على التشاور مع أمى ، وكان ذلك اليوم
هو اليوم الأول الذى أنظر فيه إلى وجهها بدقة بعد عودتى إلى الوطن ،
كم كانت متعبة ؛ فمئذ أن جئت وهى تتحمل عبء مشاكل على كاهلها ،
وكنت مشغولاً منذ فترة بقراءة أشعار حافظ ، وبينما كنت أقرأ بعض
الأشعار له ، جلست بجانبى ، وبدون أن أنظر إلى وجهها قلت لها :
حصل حاجة يا أمى ؟ فقالت فى صوت يرتعد : لا يا بنى .

فسألتها : سوزان فين ؟

- نايمة . .

فنظرت إلى وجهها ، وقلت : منذ عدت إلى المنزل وكل مشاكل
حياتى فوق أكتافك . أنا مش عارف إزاي أعوضك ؟

فمسكت أمى بيدي ، وقالت : أصلاً مفيش أى مشكلة بالنسبة لى ،
فأنا باحب طفلك لدرجة العشق ؛ فكم من السنين مرت ولم يصدر صوت
طفل فى الدار دى ، إنت جلبت السعادة تانى فى البيت ، وأبوك كمان
بيحبها من أعماق قلبه .

- أنا سعيد لأنى قدرت فى النهاية أسعدكم ولو لمرة واحدة
على الأقل.

- إحنا قلقانين عليك يا ولدى .

- ليه يا أمى ؟

واحتبست الدموع فى عينيها ، وقالت : إنت عايز تعمل إيه
يا أرسلان ؟

فسألتها مبتسماً : فى أى شىء ؟

- فى حياتك ! إمتى هتخرج من عزلتك دى ؟ إنت عايز تضحى بالمستقبل بسبب ماضيك المر ، أم تضحى بالطفلة دى ؟ إنت بالطريقة دى عايز تنتقم من مين ؟

وأغلقت الكتاب ، ووضعتة فوق المنضدة ، ونظرت إلى أمى بابتسامة مصطنعة ، وفى النهاية بعد الانتظار قليلاً ، قلت لها : أمى ، الماضى انتهى ، أنا مش عايز أفكر فيه تانى أو حتى أفكره ، إنت غلطانة أنا مش عايز أدفع ضريبة شىء أو انتقم من أى شخص ، ولو كنت عايز كده كنت عملته ، فأنا المذنب مش أى شخص آخر.

- إذن ليه ؟ ليه ما تخرجش من الدار ؟ ليه ما بتزورش حد؟ ليه بتهرب من الجميع ؟ إنت حتى ما حضرتش حفل عيد ميلاد بنتك غير ساعة واحدة، وكأنه لا يعنك فى شىء ، إيه اللى هيقولوه الناس عنك؟

- وليه يكون لده أهمية ؟ فالناس بيتكلموا يوماً ، وإنت عارفة كده ، وأنا مقدرش أمنع كلامهم .

- إنت بتتعامل مع الناس دى ، وعليه فإن وجودهم له أهمية لك .

فتراجعت للخلف ، وقلت :

- قلبى مش هيطبطب على حد بعد كده ، تعرفى يا أمى ؟ لقد وقعت فى منخفض عمرى ، وأظن أن الصمت والوحدة هما أفضل شىء بالنسبة لى.

- وماذا عن سوزان؟

فهمست : سوزان ... هى قلبى وكل آمالى .

- ولكنك نسيته إرضاء لنفسك ، وتناسيت أنها إنسانة تحتاج إلى الحياة ، تحتاج تلعب ، تحتاج تحكى لها الحكايات ، هى دى احتياجات

سنها ، أنا فى حيرة من أمرك يا أرسلان ، إنت تركت قلبك ، إنت لسه شاب قادر على تحمل المسئولية والوصول إلى آمالك .

ومرة ثانية كتمت غضبها ، وقالت بصوت يرتعد : إنت ما تعرفش يا بنى إنى أوقات كتيرة باشتاق للمشى جنبك ؟ قلبى بيتألم لما بشوفك مقهور كده ، وأحياناً ألوم نفسى ، كنت أعتقد إنى لو ما سمحتلكش بالسفر لأوروبا ماكنش ده حصل ، أنا اللى غلطانة .

وانتابنى الألم ، لكننى لم أكن أرغب أن أفصح نفسى ، لذا وقفت ، وتوجهت خلف النافذة ، وكم كان قلبى مضطرباً يرغب فى البكاء بحرقة ، وفجأة انطلق الكلام من فمى :

- أماه لقد ضاق قلبى بشدة ، أنا مش طفل ، ولكننى يوماً أبحث عن السبب، ومازالت متردداً ، مش عارف أعمل إيه مع الطفلة ؟ هل تصدقينى يا أمى ؟ أتصدقين أن هذا هو أنا ؟ بكل هذا الصبر ؟

- إن الله يهب الصبر بعد أية مصيبة ، دى قدرته وحكمته ، اخرج من عزلتك وخالط الناس ، إنت اتحملت أصعب الظروف ، وده مش حاجة! مش مفروض إنك تختفى عن الجميع بسبب هزيمتك المرة ، ما تضغطش على نفسك بالشكل ده وتساءل : ليه حصل ؟ وعلشان إيه ؟ فكثير من التساؤلات لو بقيت بدون جواب كان من الأفضل ، أنا ربيتك وشعرت بحب البنوة ، ومقدرش أشوفك حزين. أنا عايزاك تتجوز تانى ، وأنا على استعداد أربى بنتك بنفسى علشان تنهى بحياتك .

- آه ، لا يا أمى ، لا ، مقدرش أعيش التجربة تانى ، أما فيما يتعلق بسوزان فأنا أعتقد إن معاكى حق ، يجب أن ألقى بعيداً بما غزلته من خيوط حولى ، فنهاية زواجى مش نهاية العالم ، على الأقل بالنسبة لسوزان .

- وابتسمت أمى وسط بكائها وأجبتها أنا أيضاً بابتسامة .

الفصل الثانى والعشرون

كانت آراء الناس حولنا تتفاوت فيما بينهم ، فكانت الشفقة تموج فى نظرات البعض ، والدهشة فى نظرات البعض الآخر ، وأدركت أنه يجب أن أعتاد على نظرات الناس.

كنت أتواجد مع سوزان دوماً فى ارتياح تام ، ونشترك فى حضور الاجتماعات . وفى أحد المرات التى كنا فيها ضيوفاً على منزل عمى وبعد فترة رأيت ابن عمى ، وكان يجلس بجوار زوجته ، ويتعجب عند رؤيته لى وسوزان التى كانت تشبه كيت إلى أبعد مدى ، ولم يكن هذا الموضوع خفياً من نظرة زوجته ، وكنت مستاء منه منذ أن رأيتة آخر مرة وتعاركنا سوياً بسبب كيت ، لذلك لم أتوجه إليه ، ولكنه لم يستطع أن يتغلب على فضوله، فتقدم نحونا :

- السلام عليك يا بن عمى الحبيب ، لمن العجب إن إحنا نشوفك تانى.

ورددت عليه التحية بفتور ، وأجلست سوزان على ركبتى، فلمس وجنة سوزان برفق ، وقال : الجمال ده عارفه كويس ، هى بنتك ؟

فقلت فى عصبية : ما تبالغش فى الكلام ، إنت ما تعرفهوش !

- كفاية يا أرسالن ! إنت لسه بتتعامل معايا زى اللى ليه ثأر ؟ إحنا أولاد عمومة ، مش كده ؟ صدقنى أنا زعلت أوى لما سمعت اللى حصل ، ولكن خيرها فى غيرها ... ولا تفكر فيها ثانية ، كان مفروض عليك تتجوز من إيرانية .

- إنت جيت علشان تلومنى ؟

فقال وهو يقوم ببعض الحركات مداعباً سوزان :

- لا أعلم ، لم تتحدث معى على هذا النحو ؟ ولكن من غير الإنصاف تماماً أن تتحدث هكذا ، بينك جميلة ويبدو أنها اتربت كويس بدون أمها ، ولا ينبغي التفاضى عما تحملته زوجة عمى من مشاق ، ولكن يجب أن أقول لك أنها لا تشبهك قط .

- إنت بتقول الكلام ده على سبيل الصداقة أم ...

- من منطلق الصداقة تماماً ، أرسلان ، إنت تبقى غلطان لو بتفكر إن أنا وكيت ..

فقلت فى فتور وبلهجة حادة : أنا مش عايز أسمع حاجة تانى عن الموضوع ده.

- إنتم كنتم بتحبا بعض .

- ده كان كلام بس ، فعلى الأقل ما تحاولش إقناعى بإنك ما تعرفش ..

ثم قلت بعد ذلك لأغير مجرى الكلام : إنت راضى عن حياتك ؟

وأجلس سوزان على قدميه ، وقال وهو يداعب شعرها : أيوة ، مراتى ست متعلمة ومثقة.

فانتهزت الفرصة ، وقلت له لأدغنه : حسناً ، فعلى الأقل جايز ثقافتها تعقلك .

فقرب رأسه منى بسرعة ، وقال بصوت خافت : ما تفكرش تقول موضوع بالتفاهة دى أمام زوجتى ، أتمنى إنك ما تفتكرش إنى بخاف منها ، إنت عارف ؟ دى من أسرة كبيرة أوى .

وقلت وأنا أحاول أن أمنع ضحكاتي: كلما أمكن هاحاول ما فكرش ،
ولكنى هاحاول.

فارتاح بآله وتتفس الصعداء ، ثم قال : أشكرك ، أنا يتخرج منها
جداً ، حقيقى ، ليه ما تجربيش فرصتك تانى ؟ لو عايز فأننا أقدر أعرفك
على نساء فضليات ، إحداهن أخت زوجتى .

فنظرت إلى زوجة ابن عمى التى كانت تجلس أمامى ، وقلت على
الفور : أشكرك ، أفضل أن أنظر إلى سعادة الآخرين.
وأعاد ابن عمى سوزان إلى ، وسأل أخيراً سؤاله الأصى وهو
يقف :

- أرسلان ، أتمنى ألا تتضايق من سؤالى .

- بخصوص إيه ؟

- هى ... هى كيت بتعمل إيه دلوقتى ؟

وأجبتة وأنا أحاول أن أمسك زمام نفسى حتى لا يتملكنى الغضب:

- مش عارف ، لأنه لا يهمنى من الأصل هى بتعمل إيه ، مش فاهم
هو ده مهم بالنسبة لك ليه ؟

فقال ابن عمى فى ارتباك : على سبيل الفضول فقط ! اسمح لى
يا أرسلان ، أنا سيبت مراتى لوحدها ، لو تسمح لى أروح لها .

ومضى ، ولكنى لم أستطع أن أخدع نفسى ، وتداعى سؤاله رغماً
عنى فى ذهنى ، لم أكن أعلم ما الذى تفعله كيت ، وقلت فى نفسى :
لاشك - ومع الأخذ فى الاعتبار علاقتها الحمقاء مع فرانك - أنها قد
تزوجته الآن.

فى ذاك الوقت كان قلبى يحترق على حالى ، كنت أفكر فى أنتى الضحية الوحيدة لأهوائها ، وأنه لا ملاذ لطفلى البريئة سوى ، وتكدت فى تلك الليلة حتى إنتى اضطررت لمغادرة مجلس الضيافة . كنت أشعر بأننى إنسان قد أخذ علقه ، يؤله كل جسده على أثر ضرب مبرح ، حتى إنتى لم أستطع الاهتداء إلى الطريق.

وحيثما وصلت إلى المنزل ، توجهت مباشرة إلى حجرتى ، وتمددت على السرير ، ولا أعلم كم مرة ! ولكنى لعنت كيت كثيراً لأنها كانت سبباً فى انكسارى . فكرت فى أننا كنا نستطيع أن نكون سعداء ، سعداء للغاية ، لكنها لم ترغب ! لا أعلم لم لم أقتلها عند رؤيتى لتلك الواقعة ؟ والآن ينبغى على أن أتحمل مضاعفات هذه الحقيقة .

كانت هذه الأفكار جميعها ناتجة عن حالتى النفسية المتوترة ، فأنا الذى فى مرحلة الشباب ، أبدو أكبر من سنى ، ودوماً يبدو على وجهى آثار الحزن العميق ، حزن لا أستطيع أن أمحوه .

وحيثما عاد أبى وأمى إلى المنزل ، جاءا مباشرة إلى حجرتى ، وقال والدى بصوت عال بعد فترة ودون مقدمات : يا بنى إنت مابتكسفش ؟ لقد أخرجتنى أمام الأسرة ، فعلى الأقل لو كرامتك مش مهمة بالنسبة لك ، فهى مهمة بالنسبة لى ، فأنا أخطى باحترام لى الأسرة . اختفيت فى مرة واحدة ؟ إنت حتى ما سلمتش على عمك ، واضطررت لقول المعاذير كى أخفف من وطأة ما فعلته ، هو إحنا مش أبوك وأمك ولا إحنا متنا ؟ إنت بسلوكك ده هيات المجال لفضول الآخرين ، ليه بتختار دائماً أسوأ الطرق لتريح نفسك !؟

ولم أتفوه بكلمة وانتظرت وأصغيت ، وبعد أن شاهد والدى صمتى ، خرج من حجرتى ، وظلت أمى تنتظر إلى عدة دقائق ثم تركتنى .

وبقيت أنا وسوزان ، وكانت تنظر إلىّ فى براءة ، فرغبت أن أضمها
بشدة ، ففتحت يدي ، وأخذتها إلى حضنى ، فقالت بلغة الطفولة العذبة:
باحبك يا بابا !

فضممتها إلىّ أكثر ، وقلت لها : ما تتخليش عن أبوك ، لقد ظلمتني
أمك كثيراً ، ولكن أنتِ لا ! أنتِ ابنتى ، أنا مش عايز أفقدك بأى ثمن .
وتحدثت معها بلطف لمدة ساعة ، على الرغم من أننى كنت أعلم
أنها لم تكن تفهم شيئاً من حديثى ، فى حين أننى لم أنتبه أصلاً إلى
أنها قد استغرقت فى النوم منذ فترة .

كان الطقس فى أواخر الشتاء ، حينما كنت أعد الترتيبات لسفرى
أنا وسوزان ، حقاً لقد كان قلبى يحترق من أجلها ، لقد كانت طفلة
هادئة صبورة ، لم يكن لها أى مطالب قط . ويوم سفرنا كان الجو
جليداً ، وجعلتنا أُمى نمر من تحت القرآن ، وكانت تحاول أن تثنينى عن
قرارى بسبب الطقس غير الملائم لكنها لم تستطع . والحقيقة أننى كنت
أرغب فى السفر وكانت سوزان مجرد حجة ، وألبستها ملابس ثقيلة ، ثم
استقلينا السيارة ، وكانت سوزان تنظر بفضول إلى المناظر من حولها ،
وتستفسر عن بعضها ، ولم أكن متأكداً من نفسى إلى الآن ، هل
أستطيع مواجهتها أم لا ؟ على كل ، فكنت مضطراً لأن أبى وأُمى لم
يقبلا الذهاب معنا .

وذهبنا سوياً إلى الشمال ، وكان البحر فى ذلك الوقت شديد
الأمواج ، ولكننى كنت مستمتعاً به ، كنت أنظر إلى زمجرته لساعات
طوال من خلف نافذة الفندق ، كانت الأمواج تتحرك فى هدوء على شاطئ
البحر ، وسرعان ما تقسم الرمال ، ودون أن أدري تذكرت كيت ، تذكرت

كم كانت تحب السباحة فى البحر، تذكرت ذات مرة وهى تسبح أن أصيبت قدميها، واضطرت أن أذهب لمساعدتها ، وكنت فى ذلك الوقت أهيم عشقاً بها ، وأستطيع أن أقول بكل جرأة إننى كنت أفكر فيها حتى بعد انفصالنا بفترة ، لقد قضيت شبابى معها ، وللأسف كان حبنى خالصاً لها . كنت خاضعاً لها دون نقاش ، إلى حد أننى كنت أشعر بأنه لم يعد بداخلى حب كى أوزعه على الآخرين . وفى سفرنا القصير إلى الشمال وقع نظرى أكثر من مرة على أزواج فى سن الشباب ، وكنت أنظر إليهم بعين الحسرة . وفى مطعم الفندق كنت أجلس لمشاهدة الأسر وأتذكر الماضى ، وفى نفس الوقت كنت أضع الطعام لقمة لقمة فى فم سوزان ، وكما كان الآخرون وسعادتهم موضع اهتمامى ، كنا كذلك موضع اهتمام الآخرين .

ولما شعرت بالضيق ، عازمت على العودة إلى طهران بعد فترة قصيرة من إقامتنا ، كنت أشعر وكأننى بعدت عن منزلى لأعوام طوال ، وهذا ما كانت تشعر به أمى أيضاً ، فبمجرد أن رأتنا لم تستطع الوقوف على قدميها من فرط شوقها إلينا .

لا شك أنها كانت قد اعتادت على سوزان ، وكنت أفكر أحياناً لو لم يكن لدى هذه الطفلة ماذا كانت تفعل ؟

والأمر الذى اقترحته على لم يكن وفق مرادى ، فهى مثل كل الأمهات ، كانت تتمنى لى الخير والسعادة . لم تكن تستطيع رؤية فنائى التدريجى ، لم تكن تستطيع رؤيتى منزوياً صامتاً ، لذا بدأت تهمس بالزواج للمرة الثالثة ، وكان حديثها فى البداية عن هذا الموضوع بالإشارة فقط ، ثم صار بصورة علنية ، على الرغم من أننى لم أكن أعير رغبتها هذه أدنى اهتمام ؛ فلم أكن أرغب فى أن ألقى بنفسى إلى التهلكة مرة أخرى ، لذا لم أكن أهتم حتى بالصور التى كانت تحضرها لى .

ولم يكن لى رأى ثابت فى شريكة حياتى ، لكننى لم أستطع أن
أكسر قلب أمى ، لذا فضلت الصمت ، ولم أفكر فى المستقبل ، فهى
كانت تفكر فى مستقبل سعيد ، وأنا لا أفكر فى أى مستقبل كانت أمى
تريد أن أعهد بقلبي إلى امرأة جديدة ، وبذلت أقصى ما فى وسعها
للوصول إلى هذا الهدف .

الفصل الثالث والعشرون

لو لم يكن قلب أمى مثل الإسفنج يعتصر مع أقل ألم ، ولو لم يكن اضطراب أمى الذى كان يشتد فى كل آن من أجل ابنها ، لما وقع أى حدث ؛ ففى النهاية استقرت أمى على رأى ، وهيات المجال لتعارفى على إحدى جاراتها . فتاة - على حد قولها - يفيض الأدب من كل إصبع فيها ، ووجهها لا يضاهيه إشراقة الشمس ولا ضياء القمر . فتاة متدينة طاهرة، اخترتها لتكون زوجتى الثالثة. وفى أول مرة رأيته فيها كان عصر أحد أيام الربيع ، وكنت مسترخياً على الكرسي فى حديقة المنزل الصغيرة مستمتعاً بنسمات الربيع فى حال بين النوم واليقظة ، وكنت أنظر إلى سوزان وهى تلعب وتجرى وتنط . كانت الشمس تختفى ، والهواء يظلم حتى يدخل فى أحضان الليل . ورن الجرس ولم أرغب فى النهوض ، كنت أعلم أن أمى فى مكان ما بالمنزل وسوف تقوم بفتح الباب . واستمر جرس الباب فى الرنين ، فوقفت فى هدوء ، وتوجهت إلى الباب ، وفتحته ، وارتبكت حين رأيت أمام الباب فتاة لم أكن أعرفها ، فى الوقت نفسه لم تكن لدى رغبة منذ عودتى فى أن يشاهدنى أحد ؛ فطأطأت برأسى ، وسألتها : أى أوامر؟

قدمت الفتاة صينية ناحيتى وبها طبق من الطعام ، وقالت : تفضل. فأخذت الطبق من الصينية ويداى ترتعدان ، وقلت : أنا ممنون جداً .

قالت : بلِّغ سلامى إلى ست الحاجة.

قلت : أكثر الله من لطفك.

وبهذه البساطة ترك كل منا الآخر ، ودخلت المنزل بطبق الطعام ،
وتوجهت إلى المطبخ .

كانت أمي وكأنها تتحدث في التليفون ، وأنهت مكالمتها عند رؤيتي
وطبق الطعام في يدي ، وجاءت أمامي :

- فيه إيه ياروح أمك ؟

- مين اللي كنت بتتكلمى معاها ؟

- ليه ؟

- لإن المسكينة دي فضلت واقفة على الباب كثير ؟

فسألت الأم : أى مسكينة ؟

- مش عارف ، أنا ما عرفتهاش ، إدتنى الطبق ده ، وطلبت مني
أوصلك السلام ..

وكان أمي قد تذكرت شيئاً عند رؤيتها الطعام ، وقالت : افكرت
النهاردة أسرة السيد روند طبخت علشان ابنهم راح الجندية .

سألتها في حيرة : مين ؟ مجيد ؟ بالتأكيد إنت بتهدري !

قالت أمي وهي مبتسمة ، بينما كانت تفرغ الطعام في طبق آخر :
ليه مش مصدق ؟ إنت من كتر ما بعدت مش واخد بالك من مرور
الزمان ! مجيد دلوقتي بقى راجل ما شاء الله عليه ، وبينما كنت متعجباً
من مرور الزمان السريع ، قمت بحساب سنوات الغربة وأنا غير مصدق ،
وقلت لأمي في حسرة : زى ما يكون كان إمبراح ، كان مجيد يلعب في
الحارة بالكرة البلاستيك ، لا بد إنه إتجوز بعدها بستتين أو ثلاثة ! أد إيه
الأيام مرت بسرعة ، ولكن مين البنت دي يا أمي ؟

فسألت الأم : أى بنت ؟

- اللى جابت طبق الطعام .

- تقصد ثريا ؟

- ثريا ؟ هى دى ثريا ؟ الابنة الصغرى للسيد روند ؟!

- فيه إيه ؟ اتعجبت ليه ؟

- دى كانت طفلة ! واللى شوقتها دلوقتى فتاة ناضجة كاملة .

- لك الأمر ، وعلشان هى فتاة كاملة ، ممكن تتخطب ؟

ثم أضافت بمكر : ما رأيك ؟ ألا تقول نعم ؟

ووقفت ، وقلت لها بلهجة حادة : أرجوك يا أمى ما تبدأيش تانى .

ثم توجهت إلى الباب ، وخرجت أمى من المطبخ ، وقالت :

إيه العيب اللى فيها ؟ وإننت محتاجها جداً .

فعدت إليها وقلت فى عصبية : لم لا تكفى يا أمى ؟ ليه بتعتقدى
أنى أستحقها من بين كل اللى اتقدموا ليها ؟ إزاي تقدرى تضحي
بالطفلة ؟

- أى طفلة يا روح أمك ؟ دى ما شاء الله عندها خمسة وعشرين
عاماً ، إيه اللى بيك ؟

- من وجهة نظرك مفيش حاجة ! لكن الحقيقة إننى مقدرش أنظم
حياة .

فقال أمى وهى غاضبة : ما تتكلمش كده يا أرسلان ، مش
مفروض تلوم نفسك .

فقلت فى هدوء : ليه ما عملش كده يا أمى ؟ فقد ضحيت ببعض الأشخاص ، أولهم أنا . الحقيقة إنى راجل غير جدير ، لا أستطيع تحمل الحياة المشتركة . أرجوك ، دعيني أحترق لألى ، واللعنة على لو سألتك عن شىء مرة ثانية .

وبعد قولى لهذه الجملة تركت أمى مسرعاً وتوجهت إلى حجرتى ، وكان قلبى يخفق بشدة حتى إننى كنت أخشى أن ينخلع عن صدرى ، كنت أريد أن أعارك نفسى ، لم أرغب فى أن أفكر فى حديث أمى ثانية .

قلت فى نفسى : أنا فىن وهى فىن ؟ ينبغى على أن أجلس وأفكر فى تعاساتى ، فى حين أنها لها آمال كبيرة ويجب أن تصل إليها ؛ فهى لاتزال شابة ، إذن لم يجب أن تكون شريكة لرجل تعيس مثلى ؟ فأنا فى هذه السن لا أملك أية طاقة لإنجاز أى شىء ، كيف يتسنى لى بهذه النفسية أن أهمس إليها بهمسات العشق والمحبة ؟ لا أريد أن أدخلها عالمى الصبامت لكى أهرب من الوحدة ، لا هى ولا غيرها ! لكن أمى لا تكف ، فكانت تريد أن تقنعنى بها ، ولكننى لم أرضخ لها ، وكلما تحدثت أكثر وأصرت ، كنت أبتعد عنها أكثر :

- وبعدين يا أمى ، أروح بطفلة نصف إيرانية وأقول إيه ؟

- إنها لى ، أنا هاقوم برعايتها بنفسى .

- يعنى إيه يا أمى ؟ دى بنتى ، لازم تكون أمام عيني ، وهى بتحبنى جداً .

- حسناً جداً ، فلتقل لها !

فقلت مبتسماً : إزاي يا أمى ؟ إزاي أقول لها ؟ فأنا مش طفل إمبارح وأول إمبارح ، أنا دلوقتى راجل اتجوزت مرتين ، والكل يعرف قصتى .

- مفيش داع توضح لها كل شىء .

- يعنى تقصدى أكذب ؟

- لا ، لكن ما تقولش حاجة ، مش عارفة ، فلتفصح عن القليل .

ومسكت يدها بلطف ، وقلت وعيناي فى عينيها : أمى ، أمى الحبيبة، أنا عارف إنك على استعداد لعمل أى شىء علشانى ، على استعداد لأن تضحى ، لأن تبذلى ما فى وسعك ، ولكنى مقدرش أحقق لك رغبتك ، أبداً ، وأنا شاكر لك جداً إنك دائمة التفكير فى !

وانهمرت الدموع من عيني زينت ، فأعطيتها منديلاً ، وأخذت نفساً عميقاً ، وتراجعت إلى الخلف ، فقالت :

- أى فرق بالنسبة لك يا أرسلان ؟ لقد مضت تلك المرأة وراء حياتها .

- نعم يا أمى ، لقد مضت وراء حياتها ، وأنا أيضاً أعيش حياتى .

- كل دقيقة تعيشها فى وحدة هى جرم .

- لاعيب فى هذا يا أمى ، وإن كنت المذنب فى هذا العالم كله ، كيت فى نظرى ميتة ، وده اللى هاقله لا بنتى .

- إذن أنت بتفكر فى موتها ؟ وهتقف منتظراً ما ستسفر عنه الأحداث ؟

- أبداً ! لست منتظراً أى حدث ، اللى ما كنش مفروض يحصل حصل . دلوقتى أنا عايز أكون لوحدى ، لا أطيق أن أرى شخصاً آخر بجوارى، لعل سوزان وما تسببه لك من آلام هو اللى خلاكى تاخدى القرار ده علشان تتخلصى منها .

- ما تقولش الكلام الفارغ ده يا بنى ، دى روحى ، فسواء اتجوزت أو لا ، هى لى ، أنا عايزة أربيها بنفسى ، ومفيش أى واحدة هتاخذ مكانى عندها ، ولكن اعلم إنى خدت قرارى بأن أهين لك حياتك وإنى متقدرش تقف أمامى .

فضحكت أمى وأنا أخرج ، وعادت أمام الباب ناحيتى ، ثم نظرت إلى ، فقلت :

- كم أحبك يا أماه .

فقلت فى حزن : يجب أن ترحم ضعفى .

- أنا مخلص لك يا أماه ، اطمئنى ، سوف أركبك حتى آخر العمر!

وفى غروب أحد الأيام حينما كنت عائداً من العمل إلى المنزل، رأيت بعض النسوة من جارائنا منهنمكات فى تنظيف الخضار فى فناء المنزل ، فألقيت عليهن السلام ، وتوجهت فوراً داخل المنزل ورأسى فى الأرض ، وجاءت أمى خلفى ، وسألتها : فىن سوزان يا أمى ؟

- نائمة يا حبيبى !

- ليه ؟ هى ما بتتأمش أبداً فى الوقت ده من النهار .

فقلت أمى وهى تأخذ منى الجاكت : ثريا نيمتها بعد ما لعبت معاها كثير .

فتعجبت وقلت : قلت إيه يا أمى ؟ ليه سبتتها ؟

فسألت أمى فى تعجب : يعنى إيه ؟ يعنى لما سوزان تحب تلعب معاها ، أمنعها ؟

فسألتها فى غضب : إيه اللى بيعملوه الستات دول أصلاً فى البيت؟

- واه ، جئنى كى يساعدن فى تنظيف الخضار الخاص بطعام النذر، وماكنتش أعرف إنى لازم أخذ الإذن منك .

وحاولت أن أسيطر على نفسى ، ثم قلت: سامحينى يا أمى ، ده ما كنتش قصدى ، قصدى ..

- قصدك أن يكون كل شىء مرتبط بك ، الطفلة دى محتاجة للاهتمام ، وإنى بتخرج من الصبح لحد المساء . وأنا ست عجوزة ، وجاهلة ، مقدرش أقرأ لها الحكايات ، معرفش إيه اللى مفروض أعمله معاها، هى محتاجة أم شابة ، واحدة تفهمها . وثريا شغلها مع الأطفال، دى معاها ليسانس فى علم النفس ، وبتشتغل فى مدرسة البنات .

- توغدينى !

- أى وعد ؟

- إنك ما تدخلهاش فى الموضوع ده تانى .

- إنت لازم بتشك فى نفسك ؟ دى جت علشان تساعد فى تنظيف الخضار.

فجلست على الكرسي فى عصبية ، ووضعت رأسى بين يدى ، وجلست أمى أمامى ، وقالت فى هدوء أكثر من ذى قبل : حبيبى ، تعال وألق نظرة عليها، جازى تعجبك، دى بنت كويسة ، وممكن تكون زوجة وأم فاضلة ، وسوزان بتحبها كمان ، وقد استنتجت على لسان أمها أن شعورها فيما يبدو بالنسبة لك مش وحش ، فلتجلسا سوياً ولتتحدثا ، جازى....

وتضايقت بشدة من حديثها ، وأخذت فى السير يميناً وشمالاً وأنا أجز على أستانى ، وأزاحت أمى جزءاً من الستارة بهدوء وأفسحت المجال لأشاهدها ، وكانت ثريا تطأطئ برأسها ، وكانت فتاة محجبة ذات عيون سوداء وأهداب طويلة .

وطأطأت برأسى ، ثم سألت أمى بهدوء : أنفذ قرارى ؟
فأخذت الجاكت من يدها وتركتها ، وصعدت إلى أعلى ، فقالت :
إنت ما عملتش حاجة وحشة يا بنى .
وقبل خروجى انحنيت ، وقبّلت وجنة سوزان ، وكانت مستغرقة فى النوم .

الفصل الرابع والعشرون

إذا كنت قد أخضعت نفسك للزواج للمرة الثالثة فكان هذا إرضاءً لأمي . كنت أريد أن أقوم بشيء وفق رغبتها ولو مرة واحدة في عمري . وعلى الرغم من أن أبي كان يرى مثلها عدم وجوب بقائي وحيداً ، وأن أتزوج ثانية من أجل سوزان ، كان يرى أنه يجب أن أفكر في سوزان أكثر مما أفكر في نفسي ، وأن أسعى لتربيتها تربية حسنة وتحقيق السعادة لها .

على أية حال ، لم يمض زمان طويل حتى استأذنت أمي للخطبة، وحددت أسرة روند - وكانوا من جيرانتا - ميعاداً لحضورنا . وفي تلك الليلة وصلت المنزل مبكراً عما كان معتاداً ، وكانت أمي قلقة مضطربة وتطلب يوماً أن أعجل أنا وأبي . وكانت قد ألبست سوزان رداءً جميلاً ، كما اعتنت بنفسها جيداً ، حتى إنها أحضرت سلة من الورد ، وبدلت ملابسى، ونزلت وأنا لا أزال متردداً .

ولم أكن أعلم لماذا تملكنى القلق ، فلم أكن طفلاً في المدرسة ، وقد تزوجت قبل ذلك مرتين . وحينما هبطت درجات السلم ، كان الجميع على أهبة الاستعداد ، الأب والأم وسوزان .

قال الأب : والله وبقيت عريس ، أكيد الدنيا مش سيعاك من الفرحة دلوقتي ، إنت مش قلقان وإنت رايح دلوقتي ؟

فقلت في ابتسامة مرة : دى مش التجربة الأولى لى يا والدى !

فقال الأب في سخرية : ربنا يجعلها التجربة الأخيرة !

وقالت أمى وهى تضبط ياقة قميصى : حسناً ، إنتم قطاع طريق !
عمالين تتكلموا زى ما نكون رايعين نسرق !

قال الأب : لا شك أنها لصوصية ، منتهى اللصوصية بمشاركة
الجميع ، ما إحنا رايعين نسرق بنت الناس .

وقالت الأم وهى ترتب عباعتها : يا سلام عليك يا أيوب أفندى ، إيه
اللى بتقوله ده ؟ وأعطتنى أمى سلة الورد ، ومسكت هى يد سوزان
الصغيرة .

وبعد أن فتح لنا السيد روند ، قام باستقبالنا ، وسلم على بحرارة ،
وكذلك فعلت زوجته ، وحضر فى تلك الجلسة أخت ثريا الكبرى وزوجها ،
وبعد مضى ساعة كنت قد تعرفت إلى حد ما على أفراد الأسرة ، وعلمت
أننى بين أسرة متعلمة مثقفة ، وكنت أنا الوحيد من بينهم الحاصل على
الدبلوم . كان السيد روند رجلاً ثرياً واجتماعياً ، وكان يبدو عليه أنه
مرتبط جداً بأسرته ، وخاصة ابنته الصغرى ، وعلى حد قوله كانت أحب
أبنائه لديه ، وكانت ثريا - كما قالت والدتى - قد حصلت على الليسانس
فى علم النفس ، وإحقاقاً للحق ، كانت فتاة جميلة ، امتزج فيها اللطف
والوداعة بالرصانة وقوة الشخصية . وكطبيعة مجالس الخطوبة
عصرونى بالأسئلة ، أسئلة حول العمل ومعدل الإنتاج وسنى ووضعى
المالى ، فضلاً عن الأسئلة المرتبطة بأسباب انفصالى عن زوجتى السابقة
 ووضع الطفلة .

لم أكن أرغب فى الحديث عن الماضى ، وفى نفس الوقت كان هذا
من حقهم الطبيعى ؛ فهم لم يرغبوا فى أن يخطوا خطواتهم وهم مغلقو
الأعين ، خاصة وأن صدى أنباء طلاقى المتكرر كان يملأ الأجواء كلها .
إنهم كانوا يعرفون أفراد أسرتى ويكنون لهم كل احترام ، لكن أنا ، لا !

فشخصيتي كانت مبهمة للكثيرين ، ولا أعلم لم كنت أشعر أن قبول هذه الصلة كان أكثر لدى ثريا من أسرتها ؟ على أية حال لم أكن أستطيع أن أتوقع أكثر من هذا ، قطباً للمقولة الشهيرة " لقد اشترى الزمان دلالى " ، ولكن لم يكن هذا بيدي ، وربما كنت حساساً أكثر من اللازم ، فحينما قالت زوجة السيد روند : دى ثريا تقدم لها خطاب كثير ، وكانوا بيركعوا تحت رجليها ، حاولت أن أتمالك نفسى ، ولم أفهم ، ولا أزال حتى الآن لا أفهم ، أى شىء جذب تلك الفتاة الجميلة ذات العائلة المقتدرة إلى ؟! والآن لا يهم ذلك ، الآن أريد فقط أن ألقى نظرة إجمالية على ما حدث ، بل أريد أن أعرف أسباب سوء حظى . ولو فهمت ، فلن تنحل العقدة ؛ لأننى فى كل الأحوال مقامر خاسر !

وكالعادة ، كانت أمى كالحجر ، تمن بالقول ، لدرجة جعلتني أخجل من ذهابى إلى ذلك المنزل ، ولو لم يكن سلوك ثريا وتصرفها اللائق لكنت قد تركت المجلس من الدقائق الأولى . إنهم لم يبتعدوا وجود ابنتى فى حياتنا ، ووعدتهم أمى بأنها سوف تقوم برعايتها ؛ حتى إننى حينما رغبت أن أرد عليهم فى هذا الموضوع حثتني أمى على السكوت . كانت زوجة السيد روند ترى أن رعاية طفلة أخرى مشكلة كبيرة ، خاصة وأن أمها على قيد الحياة .

ونظرت إلى ثريا بطرف عينى ، وما لمحتة فى عينيها كان التفاهم والرضا ، وكان صمتها لرعاية حرمة الكبار . على أية حال فقد سمحوا لنا أن نتحدث سوياً للحظات ، وقررت أن أفصح لزوجة المستقبل عن كل الحقائق ، لكن لا أعلم ، لم عجزت عن ذلك عندما جلست أمامها ؟ لكن الله وحده يعلم أننى لم أقصد أن أظلمها معى ، فالحياء منعنى من أن أفصح لها عن حقيقة حياتى التعيسة ، وحينما سألتنى عن سبب انفصالى عن زوجتى ، قلت لها إنه كان بناءً على أسباب شخصية وعدم

وجود التفاهم بيننا . على الرغم مما حدث فلم أقل خطأ ، لأنتى لو تغاضيت عن علاقتها مع قرانك ، فثمة أسباب أخرى جعلتني أنفصل عنها . وحينما عرفت منى بعض ما يتعلق بالماضى ، جاء الدور على سوزان والظروف الراهنة ، فقد سألتنى عنها ، قطأطأت برأسى ، وقلت لها :

-على الرغم من أن الكبار فى المجلس لم يمنحونى فرصة الحديث ، ولكن يجب أن أقول إن عندى كلام ليكى ، وأهم ما فى هذا الكلام ما يتعلق بابنتى . مش عايز أفرض عليك بنتى ، ولكن يجب أن تعطينى الحق ، فهى بنتى ، ومقدرش أضحى بها علشان خاطرى ، لازم تعيش معى ، فوجودها بينساعد على تقوية معنوياتى ، تعرفى إن أمها مش عايزاها ! علشان كده لازم أقوم برعايتها بنفسى .

- ولكن ست الحاجة قالت غير ذلك .

- أيوه، تعرفى إن إحنا عايشين فى الدور الثانى فى بيت أبى ، إذن كل اللى قالته أمى كان صح ، وسوزان مرتبطة جداً بأمى وبتحبها! ولكنى أرغب بشدة فى أن تكون معى . ولتطمئنى ، هى مش وحشة ، ومش هتكون سبب لتاعبك ، أنا مش عارف إيه رأيك فى ، ولكن لتعلمى إنى مش الابن الحقيقى لأمى ، هى ربنتى زى ابنها تماماً ، ومحصلش أى مشاكل بينا لغاية دلوقتى ، وأقدر أقول بصراحة إنى على خلاف دائماً مع أبى أكثر منها ، هو شكل تانى خالص .. أعتقد إن أمك لديها قدر قليل من اللطف . أرجوك سامحينى على حديثى كده بدون ستار، ولكن ...

ونظرت ثريا إلى وهى مبتسمة ثم قالت : أنا كمان باحب سوزان ، ولما بافكر كويس بلاقى إنه لازم أديك الحق، لإنك أب.

فقلت لها وأنا سعيد : تأكدي أن تضحيتك دي مش هتكون بلا مقابل ، وإننى هاسعى علشان أوفر لك حياة أفضل .

وكان هذا اليوم نقطة تحول فى حياتى .

لقد تحدثنا مع بعضنا ثانية ، وخرجنا عدة مرات ، حتى تلاقينا فى النهاية . واقترحت ثريا أن نحتفل بالخطوبة فى هدوء ، ثم نبدأ حياتنا الزوجية بمراسم بسيطة ولا يجب أن أخفى الحقيقة لأننى فى هذه الحالة أكون قد كذبت على نفسى ، لقد كنت أحب ثريا ، ولكننى لم أكن عاشقاً لها ؛ فالعشق من وجهة نظرى له مفهوم آخر . وقد أحضرت زوجتى جهازاً باهظ الثمن باعتبارها بنتاً لم تتزوج من قبل ، ولا شك أننى كنت أساعدها قدر استطاعتي ، وحاولت ألا أكون سبباً لندمها . وإنصافاً للحق كانت فتاة مثقفة ذات شخصية ، وجميع سلوكها وتصرفاتها وحركاتها تدل على تربيتها الحسنة ، ومما لا شك فيه أن سلوكها مع سوزان كان متوازناً ، يتسم بالعطف والمحبة ، وأعترف بأنها كانت قنوعة ، أى أن قلبها وعينيها كانا مملوعين بالمال ، لأنها كانت قد تربت فى أسرة كبيرة مرفهة ، وقد بذل والدها كل ما لديه لإسعاد أبنائه ، وكانت أسرتها تتعامل معى ومع سوزان بكل احترام ، على الرغم من أنهم لم يكونوا يعتبرونها حتى الآن فرداً من أفراد الأسرة .

وقد تم حفل زواجنا البسيط على أفضل وجه ، ومضينا نبدأ حياتنا فى رعاية الله . وسافر ثلاثتنا بعد الزواج بعدة أيام . وخلال هذه الأيام أدركت بسهولة أن سوزان تحب ثريا ، وكانت ثريا بدورها تعاملها معاملة حسنة ، وكنت أعتقد أن سوزان سوف تتربى بصورة أفضل فى رعاية ثريا لها واهتمامها بها ، كما كان سلوكها معى جيداً لدرجة شعرت فيها مع هذا السلوك وبعد مرور عدة أعوام أننى إنسان ، أحتاج إلى الاهتمام ، وكانت تتعامل كذلك مع أمى بصورة حسنة ، وبناءً عليه

سرعان ما وجدت مكانها فى منزلنا الهادئ ، فقد جلبت معها إلى منزلى
السعادة والبهجة والهناء . والآن حينما أعود عصراً إلى المنزل ، أشم
رائحة الغذاء الطيبة وأنا فى طريقى على درجات السلم ، وكنت أشعر
بالسعادة لأننى أصبحت شريكاً لشخص ما ، وكم كنت أشعر بالسعادة
حينما تفتى لى سوزان بعض الأشعار التى هفتلتها عن ثريا ، وكان هذا
يدل على اهتمامها بها . والآن حجرتى المغطاة بالتراب دوماً نظيفة ،
ودوماً تبلغ مشامى رائحة السعادة من البيت بدلاً من السأم والملل . كنت
أشعر أننى كنت قد افترقت لها منذ أعوام ، وكنت مستعداً لأن أدفع ثمنها
مهما كان باهظاً .

وعلى الرغم من أن ثريا كانت موظفة ، لكنها لم تكن تتسنى
مسئولياتها تجاه زوجها . فى ذلك الوقت كان كل شىء يتم بصورة
جيدة، وما كان يكدرنى فقط هو أن أتذكر الماضى ، ولم يكن يثيرنى
شىء أحياناً سوى ذلك.

ويوم الخميس كنت أنا وسوزان نسهى حتى منتصف الليل مع ثريا .
و ذات ليلة قلت لثريا : لقد أصبحت سبباً لشعورى بالسعادة مرة أخرى .

* * *

فقلت : إن السعادة حق للجميع ، وللجميع الحق فى أن يكونوا
سعداء ، حتى سوزان .

فقلت : لقد أظهرت لها الكثير من المحبة .

فقلت : لكن إنت عارف إنى مقدرش أملاً مكان أمها .

فقلت بهدوء وأنا أهمس إليها : أمها شيطان أنانى .

وسألتنى ثريا بنفس الهدوء ولأول مرة بعد فترة : كانت جميلة ؟

قلت : أيوه ، جميلة جداً !

وعندئذ ودون أن أدري تغير وجهي ، وتذكرت الماضي وأنا أضيق عيني ، وقلت :

فى الواقع كانت جميلة ، بالضبط مثل الرؤيا .

فقال ثريا : بنتك تشبهها ؟

فاستعدت وعى وقلت : أيوه ، للأسف ، وجهها يشبه أمها ، ربما كانت كيت جميلة ، لكنها عديمة الأخلاق ، والسيرة أفضل من الصورة ، ماكنش عندها سيرة الإنسان ، على أية حال دى كانت أجنبية ، ودلوقتى فإن شعرة واحدة منك لا يضاهيها مائة مثلها ، لقد أخطأت ، وكان هذا الزواج خارج حدود الوطن ، ولكن قسماً بالله أنتى دفعت ثمن ذلك .

وقالت ثريا وهى متأثرة من حديثى : الماضى انتهى ، ما تفكرش فيه ، إنت دلوقتى اتكلمت معايا بمنتهى الصدق ، أنا لازم أقول لك حاجة.

فسألتها : إيه ؟!

فطأطأت برأسها ، وقالت : حقيقى أنا مكسوفة أقول لك ..

فمسكت يدها ، وقلت : إيه الكلام ده ؟ أنا وأنت زوجان ، ولازم نتكلم مع بعض بصراحة .

فابتسمت ثريا ، وقالت : أنا مش عارفة لو عرفت هتفكر فى إيه ، لكن ما تتعجيش لو قلت لك إنى كنت بحبك من زمان أوى .

قلت : بتقولى إيه ؟

فطأطأت برأسها ، وقالت : كنت عارفة إنك مش هتصدقنى .

فسألتها ثانية : إزاي ؟

قالت : أنا كنت باحبك من يوم ماجيت لخطبتى ، بل حتى من يوم
ما انفصلت عن مراتك الأولى .

فقلت مبتسماً : كيف يحلو لك رجل بلا كفاءة ؟ ما فكرتيش ولو مرة
واحدة إن السبب فى انفصالى المتكرر ربما يكون أنا ؟

فقالت ثريا وهى تبتسم ابتسامة مليحة : هو أنت ما سمعتهمش
بيقولوا إن العشاق عمى ومجانين ؟ !

فمسكت يدها ، وقلت : دلوقتى بتفكرى فى إيه ؟ دلوقتى وإننت
عايشة معايا تحت سقف واحد ، إيه اللى حاسة بيه ؟

فنظرت ثريا إلى عيني ، وقالت فى مودة : إنت أفضل راجل فى
العالم !

وفى تلك الليلة خجلت من نفسى ، لأننى لم أكن أعشقها ، ولكننى
كنت أحبها ، هذا فى حين أننى كنت أعلم أن :

" العشق أفضل من الحب "

الفصل الخامس والعشرون

لعل حبي الزائد عن الحد لسوزان أفضى إلى تحريك مشاعر الأنوثة عند ثريا ، فقد سمعتها تتحدث أحياناً عن الأطفال بعد مرور عام على زواجنا ، طفل يكون منها ، وأن تكون هي أمه الحقيقية ، ولم أكن أرغب فى أن تتألم بسببى ، ولكننى لم أكن أرغب كذلك فى إنجاب طفل آخر، وكنت أشعر أن ثريا يجب أن تتفهم مشاعرى ، وأعلم جيداً أن طلبها هذا ورغبتها فى غير محلها . وبناءً عليه كنت أؤجل ذلك، وأقول إن الوقت لا يزال مبكراً ، لكن الحقيقة إنه لم يكن مبكراً بل كان متأخراً، فثريا لديها من العمر ستة وعشرون عاماً ، وأنا بلغت الخامسة والثلاثين. وعلى حد قولها أنها كانت ترغب فى أن تكون أمّاً لطفلها وليس جدة له. لا ريب أنه كانت لدى أسبابى فى عدم انصياعى لرغبتها ؛ فمثلاً كنت أفكر أنه لو جاعنا طفل آخر ، قلن أستطيع أن أعامل الاثنين معاملة واحدة . كنت أتخيل يوماً أننى لن أحب أى طفل مثلاً أحببت سوزان ، وعليه كنت أعتقد أن وجود طفل بيننا سوف يفضى إلى ظهور الخلاف ، وإلى ما كنت أهرب منه ، وهو التوتر وحرب الأعصاب ، ولكن كرهاً أو طوعاً تم ذلك ، ووقفت ثريا أمامى ولأول مرة طوال هذه الفترة ، وقالت إنها ليست على استعداد لرعاية طفلتى ثانية ، وأمى - التى كانت على مسافة منا بعدة درجات من السلم - أخذت سوزان ، وكنت أذهب كل يوم لرؤيتها ، وأنا فى حالة لم أكن أستطيع فيها تحمل بعدها وحزنها .

وفى يوم من الأيام كانت ثريا لم تعد بعد من عملها إلى المنزل ، وكنت قد توجهت إلى سوزان ، وفُتح باب قلبى الحزين لأمى :

- إن الزمان لم يكن موافقاً لى قط يا أمى !

فقلت الأم بصوت حنون :

- إيه الكلام ده يا بنى ، كل البيوت فيها مشاكل ، لازم تخلى قلبك بحر وودتك بوابة .

- ياريتته ما حصل يا أمى ! ياريتتى ما دخلتش نفسى فى الطريق ده ! ليت قدمى قد شلت ومارحتش أخطب .

ونظرت أمى إالى قليلاً ، ثم قالت : يا بنى لازم تديها الحق ، فهى امرأة ، تحب تضم طفلها لحضنها .

قلت : هى سوزان مش طفلة يا أمى !

- لكن مش طفلتها !

- هو فيه فرق ؟

- بالتأكيد فيه ، وكل اللى يقول مفيش بيكذب عليك ، حط نفسك مكان مراتك ، انظر إليها ، شوفها إزاي بتبعد عن طفلك ! لو كنت مكانها وكانت هى مكانك لها طفلة من زوجها السابق ، وكانت بتفرضها عليك، هتكتفى بكده وتقبله ؟

- أنا أختلف عنها ، وأنت نفسك ! ألم تربينى مثل ابنك ؟

- أيوه ، لكنى كنت عاقراً ، وإلا ربما كنت استمريت فى حياتى مع زوجى الأول .

- إنت عندك رد لكل حاجة.

- روح يا بنى ، روح وحقق رغبة زوجتك ، وكن لها كل احترام ، هى ما طلبتش منك حاجة كبيرة ، ده أبسط حق للزوجة ، ولازم تحط فى

اعتبارك إنه قليل لما تلاقى واحدة زيها مستعدة للزواج منك بعد زواجك
الفاشل مرتين ووجود طفلة أجنبية .

- أنا مش عارف ليه مصرة على أن يكون لها طفل ، فالأطفال
جميعاً مزعجون .

- وإزعاجهم ده لذيذ .

وأقنعتنى أمى ، وفى نفس الليلة قلت لثريا أثناء تناول العشاء بأننى
موافق على رغبتها ، ولا شك أنها سعدت كثيراً لذلك ، ولما كان رأيها
فيما يتعلق بسوزان بسبب عنادها معى ، قبلت ثانية أن تعود إلينا .

وعندما دخلت فى العام الثالث على حياتى الزوجية مع ثريا ، كانت
كل مشاعر السعادة قد فُقدت . حقاً كم كانت السعادة نادرة ، فقد
تحدث اليوم ثم تخطفى فى الغد . كنت أشعر وكأننى قد صرت موضع
غضب الله ، لكن المشكلة كانت فى أننى لم أكن أعلم جرمى . كان العام
الثالث لزواجى مفعماً كله بالخلافات والتشاجر والحزن والبكاء ؛ لأننا كنا
لا نزال نفتقد وجود طفل بيننا . كان ذلك فى ظروف تناقض رغبتنا .
ولا شك أن ذلك كان سبباً فى سعادتى ؛ لأننى كنت معارضاً للإنجاب
من البداية ، وعليه فكان رد فعلى هو الصمت ، لكن ثريا لم تتمكن من
الترزام الهدوء ، ولم تكن ترغب أن تكون موضع انتقاد ، وكانت تحاول
نوماً أن تلحق هذا العيب بى بشكل غير مباشر ، وبالتأكيد لم أكن أتقبل ذلك :

- أنت غبية يا ثريا ، أنا عندي طفلة ، لو كان هناك عيب
فهو منك .

وكانت تبكى ، ولم يكن لدى القدرة على رؤيتها حزينة ، لذا كنت
أحاول تهدئتها :

- حبيبتي ، الموضوع ده مش مهم من الأصل ، عندنا سوزان ، وأنا هاربيها بشكل يخليها تحترمك زى أمها الحقيقية ، الأطفال مش بالقدر ده من الأهمية .

لكنها كانت تقول لى وهى تبكى متخيلة أننى أنظر إليها بنظرة شفقة :

- طالما إن العيب مش منك ، مش إنت بتقول كده ؟ فضلاً عن إن لك طفلة ، فلازم أتعذب بسبب الموضوع ده حتى آخر العمر .

- ثريا ، زوجتى ، فلتقولى لى إيه اللى مفروض أعمله علشان تصدق كلامى ؟ حسناً ، روى للطبيب إن كان الأمر ضرورياً ، ولن أمتنع عن أية مساعدة ، وأنا على استعداد لأن أذهب إلى أى مكان فى العالم لعلاجك . عايزة إيه تانى ؟ أنا مش فاهم سبب خوفك !
- إنت عارف إنى امرأة .

- أنت زوجتى ، وتحقيق رغبتك شىء يهمنى .

واستطعت تهدئتها إلى حد ما ، وذهبت إلى الطبيب ، وكان طبيباً ماهراً مشهوراً بين أقرانه ، وبعد شهر أخذت نتيجة التحاليل .

لا أنسى ذلك اليوم قط ، كنت جالساً فى المنزل حينما كانت ثريا تدخل فناء البيت ، وكان أول دليل على حضورها خبطها على الباب ونظرت إلى وجهها من أعلى ، وعلى ما يبدو كانت الأخبار سيئة . فتوجهت إلى باب الهول وفتحته :

- أهلا يا ثريا ، كيف حالك ؟

ولم تجب على ، وذهبت مباشرة تجاه الثلاجة ، وشربت كوباً من الماء مع قرص مهدئ ، ثم جلست خلف المنضدة وهى تضع رأسها فوق

يديها ، فجلست أمامها وانتظرت . أثناء ذلك جاءت سوزان إلينا ، وكانت طفلة جميلة حنونة ، وسألتني : بابا ، أحوال أمي مش كويسة ؟ ولكن قبل أن أرد فإن ثريا - وكنت أستبعد هذا التصرف منها - صاحت وهي غاضبة وقالت : غوري من هنا يا غبية ، لقد بدأت كل تعاستي من يوم ما قابلتك .

ونظرت إليها في دهشة ، وطلبت من سوزان بإشارة من عيني أن تتركنا ، ونفذت ذلك ونزلت ، في حين أنني كنت لا أزال غير مصدق أن ثريا تفعل ذلك . إنها لم تتفوه بكلمة سب حتى في أشد حالاتها عصبية ، خاصة مع سوزان ، وكانت دوماً تذكرني بأسلوب التحدث ، وتقول : هي ما بقتش بنتك لوحدك ، لازم تخلي بالك من كلامك معها ! والآن كانت تتحدث أمام سوزان ذات الستة أعوام بمثل هذا الجفاء والحدية .

- ثريا ، في الواقع أنا بستبعد ده عنك .

لكنها ردت بلهجة حادة : سيبنى لوحدى ، أنا عايزة أكون لوحدى .

فقلت في هدوء : ثريا ، أنا قلتها لك مرة ، وهاقولها تانى ، الموضوع ده مش مهم لدرجة إنه يخليكى تزعل على نفسك ، قولى لى استلمت نتيجة التحاليل بتاعتك ؟

ولما لم أسمع رداً ، داومت الحديث : أقدر أشوفها ؟

فقلت في عصبية : ربما تفهمها ؟

- لا ، ولكنك هتقولى ، وأتمنى إن ما يكونش فيه حاجة .

- لا ، مفيش حاجة ! أنا سليمة .

فقلت سعيداً : إذن لازم تكونى سعيدة ، أنا مش فاهم سبب غضبك .

فقامت فى عصبية ، وقالت : مش فاهم ؟ باقول لك أنا سليمة .

- فهمت ، وأنا سعيد بكده .

فقلت وهى غاضبة : لا ، ما فهمتش ! ما فهمتش معنى كلامى !
أو ربما بتتظاهر بعدم الفهم ؛ فسألتها وأنا فى حيرة : إنت بتقولى إنك
سليمة ، وأنا مش عارف إيه اللى يزعلك فى ده .

فقلت فى استهزاء : ياريت العيب كان منى .

- أجننت ؟

- المجنون هو إنت يا غبى ! إنت شربت المقلب !

وخفق قلبى بشدة ، وسألتها بصوت يرتعد عما كانت تتحدث عنه :
إنت .. إنت عايزة تقولى إيه !

- خمن ، العيب منك !

وألقيت بالكرسى على الأرض ، ونهضت من مكانى ، وصحت
غاضباً : إنت بتكذبى !

- إيه اللى يخلينى أكذب ؟

- لأنك بتغيرى علشان العيب اللى فىك ، بتغيرى منى ، ومن
سوزان !

- أنا سليمة ، ده اللى قاله الطبيب . ده اللى بتقولوا التحاليل !
إنت خُدعت .

فهجمت عليها كالمجنون ، ومسكت برقبته فى يدى ، وقلت : لازم
أكسر رقبتك علشان اللى قلتيه . وخلّصت نفسها من يدى بصعوبة
وصاحت : إنت كذاب وضيع ! إنت لعبت بكرامة أسرتى ، أو جايز ..
جايز كنت تعرف بالعيب ده ؟

واتجهت إليها بخطوات مسرعة ، ووجهت إليها صفعه شديدة على
خدها وصحت :

– أنا ما عنديش عيب أخفيه عليك ، أنا من الأصل مش موافق على
طبيبك .

فقالت ثريا في سخرية : أنا كمان ما صدقتش الموضوع ده ، لكن
الطبيب قال لي في ثقة إنني أقدر أروح لأطباء آخرين ، وأعيد التحاليل .
أه ، كنت مستعدة لأن يكون العيب مني ، لكن لم يكن الأمر كذلك . إنـت
لك طفلة ، لكنك عقيم ! إيه اللي هيقولوه الناس ؟ من الجائز أن تكون قد
ربيت طفلة غير شرعية وخدعتني .

وسندت على الحائط وقلت في هدوء : ابعدي من قدام عيني !

– إنـت لسه بتحب تلك الزوجة اللعوب ! إنـت ..

فصحت فيها : غوري بعيد !

وعلى أثر صوتنا صعدت أمي ، لكن ثريا خرجت من المنزل دون
حتى أن تسلم عليها ، وتقدمت أمي خطوة ، فقلت لها بصوت عال : متى
كان الزمان وفيأ لي ! كل ده كذب ، كذب يريد أن يدمرني !

وبكيت بصوت عال ، ولم أتمكن من السيطرة على نفسي ، ولو حتى
أمام أمي ، وأمي أيضاً لم تستطع تهدئتي . أثناء بكائي رأيت سوزان ،
فكانت تبكي هي الأخرى . بالتأكيد من أجلى ! فحضنتها بشدة .

الفصل السادس والعشرون

وذهبت ثريا إلى بيت أبيها وهي في حالة من القهر ، أعلم أنه كان يجب على ألا أضربها ، لكن الأمر لم يكن بيدي . ومن جهة أخرى لم أكن أستطيع اللحاق بها ؛ لأنني كنت أشعر أنه يجب أن أدافع عن كرامتي . كرامتي التي كانت موضع مساعلة . كنت أشعر أنني لو لم أتمكن من إثبات عكس هذا الموضوع سأفقد ماء وجهي . لا أعلم ، ممن كنت غاضباً ، مني ، من ثريا ، من كيت ، أم من الزمان ؟ ! لكن بلغت عصبيتي إلى حد أنني لم أستطع الذهاب وراء ثريا ، حتى والدي مع ما كان يتمتع به من صبر ، لم يتمكن من منع غضبه بعد سماعه ما حدث وعلمه برأي الطبيب ، وكثيراً ما طلب الحديث مع والد ثريا لكنني كنت أمنعه قائلاً له : دعك من هذا الأمر .

ومضى شهر ، وبعد تفكير في الأمر بوجه عام وصلت إلى نتيجة ، وهي وجوب ذهابي إلى زوجتي ؛ لأنني لم أرغب في أن أهدم أساس أسرتي ، وأفصح أبي وأمي عن رغبتيهما في الذهاب معي ، وعندما عارضت ذلك ، قال والدي : مش مفروض الناس تفكر إنك من غير عزوة . فقلت في ابتسامة مريرة : أنا متأكد يا والدي أن الأطباء يخطئون بشأني .

فسألت أُمي وهي مترددة : يعني العيب من ثريا ؟

قلت : لا يا أُمي ، هي سليمة زي ماجه في التحاليل ، لكنهم يخطئون بشأني أنا .

قال الوالد : على أية حال هنيجي معاك .

ورافقاني ، وتوجهنا إلى منزل السيد روند ، ولا شك أنني لم أكن أنتظر سلاماً حاراً خاصة بعد مضي شهر ، وبالتأكيد لم يكن حاراً ، فلم تخرج ثريا من حجرتها أصلاً حتى لإلقاء السلام ، كما كانت مقابلة أمها قاترة ، لكن والدها كان يبدو منطقياً إلى حد ما .

وتحدث مع والدي بكلام من هنا ومن هناك فيما يتعلق بالتجارة والعمل ، ثم مكث ينتظر تغيير مجرى الحديث ، وأنا الذي كنت منذ شبابي أعارض التطويل ، دخلت في الموضوع الأصلي :

- لو سمحت أقدر أشوف ثريا ؟

فقلت والدة ثريا : هي استأذنت لتوها لألم في رأسها .

قلت : لكن لازم أتكلم معها في موضوع ما .

فسألني السيد روند بعد أن انتظر قليلاً : في أي موضوع ؟

قلت : لازم أقوله لها .

فقال السيد روند : إنت بتفكر في إيه ؟ ما فكرتش أي شيء بقي للحديث عنه بعد مضي شهر؟ وهل يوجد أصلاً شيء للحديث فيه ؟

وطأطأت برأسي وقلت : اعذرني ، أسبابي منطقية .

فقال السيد روند : إن كلام أي شخص وتصرفاته منطقية بالنسبة له .

فقال أبي : تقصد إيه يا سيد روند ؟

فقال السيد روند موجهاً حديثه إلى أبي : أقصد إيه ؟ دول جُم يشوفوا بنتي بعد شهر، وقبل ما يوضحوا موقفهم ، يطلبون طلبات ليست في محلها .

قال أبى : دى مراته يا سيد روند .

فقال السيد روند : الزوج لازم يكون جنب زوجته ، مش بعيد عنها!

فقال أبى : لازم نتكلم فى الموضوع ده .

قالت زوجة السيد روند : كلام إيه ؟ لقد ثقلت علينا هذه الفضيحة .

وقالت أخت ثريا : يا أمى ، إيه الكلام ده ؟ ثريا حبيبتي سليمة من وجهة نظر الطبيب ، والطبيب بيخمن أن المشكلة جايه تكون من السيد أرسلان . وده تخمين فقط ، وبالتأكيد التخمين ده خطأ .

فسألت زوجة السيد روند : وإن كان صحيح ، إيه الحل ؟

وتحدثت أمى لأول مرة بعد سنوات من القلق : ده إتهام يا حاجة . أتمنى إنك تقولى حاجة تفيد .

فقالت زوجة روند على سبيل الكناية : أنا مش عارفة ، جايه أنتم كمان عارقين الموضوع ده وإلا لماذا كل هذا الصخب للذهاب إلى الطبيب؟

قلت : الموضوع مش الذهاب إلى الطبيب أو عدم الذهاب ، الموضوع هو انطباعكم إنتم .

فقالت والدة ثريا لى : دى مش مشكلة ، فلتثبت عكسها ، وليه ماتصلتش بثريا حتى بالتليفون؟

قلت : كنت مضايق جداً .

قالت والدة ثريا : كنت تقدر بدل ما تضايق تروح للطبيب وتمنع كل

الهيصة دى ، أما عتابى عليك فعلشان ثريا ، أنا رببت ولادى تربية
كويسة لدرجة إنى ما خدعتهمش ولو مرة واحدة ، وإنت تيجى دلوقتى
تتعامل معها كالحىوان ؟ دى شريكة حياتك .

قلت فى خجل : أنا عايزها علشان السبب ده ، أنا مديون لها
باعذار .

وتملك الجميع الصمت ، وقالت أخت ثريا :هى فى حجرتها ، روح
شوقها .

وعلى أثر تشجيعها ، قمت من مكانى ، وتوجهت إلى حجرتها ،
وطرقت الباب عدة مرات ، وحينما لم أسمع رداً ، فتحت الباب ، وكانت
جالسة على حافة السرير ، فقلت فى هدوء :

– السلام عليك يا ثريا !

وكانت الدموع تحتبس فى عينيها ، فأغلقت الباب ، وتوجهت إليها ،
وما أن رأتنى حتى انهمرت الدموع من عينيها ، وسقطت على خدها
فجففتها بمنديل ، وقلت :

– استأث من رؤيتى ؟ تقدرى تسامحينى ؟

وكانت تبكى فقط ، فانتهزت الفرصة ، وقلت : أنت بتفكرى زيهم؟
صدقينى ، أنت مهمة بالنسبة لى ! الفترة دى مرت على بصعوبة ،
حسيت كويس بمكانك الخالى . حقيقى ... حقيقى أنتى لا أزال متأكداً
من نفسى، ولكن مش معناه إنتى باعتبرك المذنبه ، أعتقد أنهم شخصوا
حالتى خطأ ، ومش مفروض إنك تسيئى الظن بى ، فى الحقيقة أنا
موافق على وجهة نظر أختك ، وإن ده مجرد خطأ !

قالت ثريا وهى تبكى : لو كنت متأكد من نفسك للدرجة دى ، ليه
ما تروحش للطبيب ؟

- لإن مفيش قايدة فى كده ، فالحقيقة زى النهار الساطع .
وبعد الانتظار قليلاً قلت مضطراً : حسناً .. أنا هعمل كده
علشانك، على الرغم من إنى مش لاقى ضرورة لكده ! هترجعى معايا
البيت ؟

وصمتت ثريا ، فقلت لها : السكوت علامة الرضا ، إذن فلتقومى !
كنت قلقاً خلال الفترة التى كنت أنتظر فيها نتيجة التحاليل
الخاصة بى . على الرغم من أننى كنت قد اعتدت عليه خلال تلك الأعوام،
فقد اعتدت ثانية على أن أكون قلقاً على الغد . قلقاً على الساعة التالية ،
قلقاً على ما يمكن أن يحدث .

كان الجو ممطراً فى ذلك اليوم ، وذهبت إلى المعمل وجاءت ثريا
أيضاً معى وفق رغبتها ، وبعد استلام نتيجة التحاليل ذهبنا إلى الطبيب
وفقاً لاقتراح ثريا ، وانتظرنا ساعة حتى حصلنا على إذن الدخول من
الطبيب . ونظر الطبيب إلى نتيجة التحاليل لدقائق ، ثم رفع النظارة من
عينيه ، وخاطبنى قائلاً :

- آسف يا سيد وفائى .

فسأله فى رعب وحيرة : يعنى ... يعنى إيه يادكتور ؟

فاستند الطبيب إلى الخلف وقال فى تأثر : سيد وفائى ، أنت
متقدرش تكون أباً فى أى وقت أبداً !

فقممت ، وقلت غير مصدق وأنا أنظر إلى ثريا : ده غباء، أنا
أصبحت أباً من قبل .

فقال الطبيب مؤكداً : ده مش ممكن !

فقلت فى غضب : إيه يا دكتور؟ إزاي إنت بتتكلم بكل الثقة دى ؟

قال الطبيب : أرجو أن تتمالك نفسك ، سيدى ، ده مقر علاج ، وأنا قلت ردى بكل ثقة مش تخمين ، لأنك عندك عيب فى القدرة على الإنجاب، ومع وجود هذا العيب متقدرش تنجب ولو حتى بنسبة ١٪ ، وفى الحقيقة النسبة دى عندك هى صفر فى المائة .

فقلت بلهجة حادة : دى دسياسة ! ثم وجهت حديثى إلى ثريا : ماتصدقيش الخرافات دى !

لكنها توجهت بنظرها فى حزن إلى سجادة الحجرة ، وألقيت بجسدى فوق الكرسي ، وجعلت أحدث نفسى كالمجنون ، وكان كل جسدى يرتعد ، ولم أتمكن من السيطرة عليه .

- إذن ، إزاي أكون أباً لسوزان ؟ إزاي أكون أباً لسوزان ؟

- وصارت رأسى كالريشة التى لا ثقل لها لدرجة أننى كنت أشعر أننى سأطير مع أقل إشارة : إزاي أكون عقيماً ؟ إزاي ؟

وسحبت نتيجة التحاليل من يد الطبيب ، وصحت : أنا مش مصدق، هتشوف إنى مغلطش ، لو أثبت إن تشخيصك خطأ هأهد عيادتك فوق رأسك .

هددت بمثل هذا الحديث ، وخرجت من الحجرة ، ولم أكن متوازناً حتى إننى لم أهتم بثريا ، واستقليت السيارة دون أن أنتظرها ، وسلكت طريقى ، ولكن كانت يداى وقدمائى ترتعدان لدرجة أننى اضطررت أن أركن بجانب الرصيف ، وثبت نظرى على أوراق التحاليل ، وفكرت : عدة ورقات تغير حياتى ، لم أكن أعلم أى شخص أتهمه ؟ وورد بتفكيرى أنه

لا يجب أن أفكر أساساً في هذا الموضوع ، ولكننى أدركت أننى على حق ، وهذا ما سوف أثبته ، وقبل هذه الحقيقة المرة حثنى على أن أفكر بعمق فى هذه المسألة ، فإن كيت كانت .. إلهى ، كم كان صعباً أن أفكر فى ذلك ، وهذا الضغط هو ما جعلنى أتتبع الموضوع ، ولكن ما أمل الأعمى ؟ فمن الواضح أن الحق لم يكن معى . لم يكن الحق معى قط ، وكأئننى قد جننت فى هذه الدنيا كى أتعذب ، كنت أشعر أن العدالة لم تنفذ فى حقى ، ولهذا كنت تعيساً .

وفى ذلك اليوم ذهبت إلى أطباء آخرين ، ولكن كان الرد كما سمعته أول مرة ، وعلى هذا كنت أخرج من العيادة غاضباً كل مرة ، فكنت متأكداً من نفسى ، كنت أعتقد أن الأطباء الإيرانيين ليست لديهم القدرة على التشخيص الجيد ، ولا يجب على أن أطمئن إلى كلامهم ، وكان الليل قد اقترب من نصفه حينما عدت إلى المنزل ، كنت أمل أن يكون الجميع نائمين ، ولكننى بمجرد أن فتحت باب الفناء ، أضيىء مصباح الطابق الأول، وجاءت أمى خلف النافذة . كنت أعلم أنها قلقة لأنها كانت تعلم أننى قد أخذت نتيجة التحاليل . وأغلقت الباب ، ومشيت، وخرجت أمى بسرعة حتى جاءت أمامى فى طريقى إلى السلم، وسألتنى فى قلق وهى تمسك ساعدى بيدها : النتيجة كويسة ؟

وطأطأت برأسى ، والتزمت الصمت ، فضغطت على ساعدى أكثر، وقالت : قل لى ، هتجبنى السكتة ، دى ثريا من ساعة ماجت وهى حابسة نفسها فوق، وكل ما أسألها ما تردش على .

فسألتها فى هدوء : فىن سوزان يا أمى ؟

قالت أمى : ما تقلقش عليها ، هى نائمة عندى.

قلت هامساً : مش هقلق تانى .

وتغير وجه أمي ، وقالت بهدوء : ربنا ياخذني ، يعني ...
فقلت بكل ثقة وأنا أنظر إلى السماء : الدكاترة هنا ما يفهموش
حاجة.

وفضلت أمي أن تؤيد حديثي ، فكان قبول الحقيقة بالنسبة لها أمراً
صعباً ، كنت أعلم أنني لو صعدت سأجد ثرياً نائمة ، وعلى حد قول أمي
أنها أغلقت على نفسها الباب ، فجلست فوق الدرجة الأولى من السلم ،
وصرت شريكاً لوحدة الليل ، وكان صوت بكاء أمي يرن في أذني ،
فأوصلتها إلى حجرتها ، واختليت بنفسي أفكر .

الفصل السابع والعشرون

منذ ذلك الحين فصاعداً صارت حياتنا عراقاً وجدالاً وكناية ، كانت ثريا تأتي بالحجج حتى تفتح الجرح القديم ؛ فهي الآن على عكس الماضي، تريد أن تعرف زوجتي السابقة كيت أكثر ، تريد أن تعرف من كانت؟ ومن أية أسرة ؟ وكيفية اختياري لها للزواج ؟

وعلى أية حال ، على الرغم من أنني لم أكن أحب كيت ، إلا أنني كنت أشعر أن أسئلتها بمثابة إهانة مباشرة لي ، لأنني كنت لا أزال متأكداً أن خطأ ما قد وقع في مشكلتي ، كنت أريد بأنانية أن تفهمني زوجتي وتصديق كلامي ، لكن ثريا لم تعد ثريا السابقة ، لم تعد تعشقني كما كان في السابق ، لم تعد تتحكم في غضبها ، كان من الممكن أن تتبدل في أقل وقت إلى أسد غاضب، فأصلاً منذ ذلك اليوم - يوم نتيجة التحاليل - لم تعد كما كانت ، ولا شك أن سلوكي أنا أيضاً لم يكن بلا تأثير ، وكنت كمن يضع كلا قدميه في فردة حذاء واحدة ، فسوزان ابنتي ، وجميعهم يخطئون، وسرعان ما كانت تعقب على كلامي هذا ، وتصيح :

- يعني عايز تقول إن العيب مني ؟

وكنت أرد عليها : أنا أصلاً ما بفكرش بالشكل ده، أنا أعتقد أن كلانا سليم .

وكانت تصيح ثانية ، وتفتح موضوعاً جديداً للجدال ، وصارت حياتنا في الواقع وكأنها جهنم، ولم تعد لي طاقة على العمل ، ودوماً كنت أفكر .

فى ذلك الوقت كانت سوزان فى منزل والدى ، وكنت أذهب أحياناً لرؤيتها ، وكانت هى الأخرى تتألم من الوضع المفروض ، كما كانت أمى مضطربة التفكير أيضاً ، وقلما كنت أراها تبسم . كنت أشعر دوماً بأن عيونها تملؤها الدموع ، ولم يكن حال والدى أفضل منها ، و لا ريب أنه كان يتأذى من هذا الوضع وكان يتوسل إلى الله .

والآن حينما أفكر ملياً ، أرى أن الجميع كانوا يصدقون تلك الحقيقة سوى ، وكان لسوزان مكانة كبيرة فى أعماق قلبى ، وقد سألتنى ذات يوم سؤالاً جعل الشعر يقف فى جسدى :

- بابا ؟

- حبيبة بابا .

- الكلام ده معناه إنى مش بنتك ؟

ونظرت إليها فترة فى دهشة ، ثم أجالستها فوق قدمى وسألتها :

- مين قال لك الكلام ده ؟

- لما جيت أغير هدومى ، سمعتك بتتخانى مع ماما ثريا ، وماما

ثريا قالت إنى مش بنتك ، وإنت كمان ..

فقطعت حديثها ، وقلت وأنا أمسك بيدي طرفى رأسها وعيناي فى

عينها :

- إنتى بنتى ! فهمتى؟ إحنا مش هنبعد عن بعضنا أبداً ، يعنى

مفيش حد يقدر يفرقنا عن بعضنا ، فهمتى ؟

فسألت سوزان وهى تلعب بزرار قميصها : حتى ماما ثريا ؟

تنهدت وقلت بهدوء : أيوة ، حتى هى .

فضمتنى بشدة ، وقالت : كنت عارفة يا بابا الحبيب .
فهمست : أنا باحبك يا حبيبتى ، لكن القدر الحلو ظلمنا .
فنظرت لى فى حيرة ، وقالت : يعنى إيه القدر الحلو ؟
فقلت وأنا فخور بذكائها وإحساسها : يعنى الحظ .
فسألتنى ثانية : يعنى لما يتصالح معانا القدر الحلو هتبقى ماما
ثريا حنونة؟

فقبلتها وقلت : إنت بنت حنونة .

- ولكنها

- كفاية كده يا بنتى ، هى بتحبنا ، بس هى تعبانة ، لازم تفهمى
حالتها، وتحاولى إتك ما تكونيش سبباً لتعبها .

- يعنى أغسل هدومى بنفسى ؟

قابست فى مرارة وقلت لها : لا ، بس متضايقهاش .

وكان حديث سوزان قد أحرق روحى ؛ لذا عزمت على أن أجلس مع
ثريا للحديث بشكل جدى ، ولكن قبل أن أتحدث معها ، جاءت بنفسها
إلى فى الوقت الذى كنت أفكر فى كيفية الحديث معها . كنت مستلقياً
فوق السرير على ضوء الأباجورة الخافت عندما دخلت على الحجرة .

- لازم أتكلم معاك .

- وأنا كمان .

فقلت فى استهزاء : جميل التفاهم ده اللى بيتدقق فى هذه الحياة،
ويدعو إلى ما هو أفضل .

وجالست نصف جلسة فوق السرير وقلت : إنت جيتى تكلمينى
ولأ تجرّحينى بالكلام ؟

وجالست فوق الكرسي المقابل للسرير ، وقالت فى حسرة وهى تنظر
على إحدى صورنا : إنت ضربت على الجرح الأصى .

فانتهزت الفرصة وقلت فى صوت هادئ : بتتكلمى بكل الحسرة دى
وكان حادث فظيع قد حدث.

فنظرت إلى وجهى ، وقالت وهى تبكى : ألم يحدث ؟ إنت عدت
فجأة إلى إيران ، وبعدين جيت لخطبتى ، وقدمت سوزان على أنها بنتك،
لكن بعد كده ...

ومنعها البكاء من الاستمرار فى الحديث ، فقلت : سوزان بنتى !

- ده غباء ، الدكاترة ...

- اللعنة على الدكاترة أنا ما بقبلهمش .

فصاحت : إذن مين اللى تقبله ؟ قل لى ليه رجعت إيران ؟ إنت
ما قولتليش الحقيقة أبداً ، أنا ... أنا حبيتك لدرجة خلتنى أقبل الجواز
منك بالرغم من وجود سوزان .

فذهبت تجاهها ، ورغبت فى أن أضع يدي على كتفها ، فصاحت :

- ما تقربش منى .

- أنت زعلانة منى ؟

- زعلانة منك ! أنا وقفت قدام أسرتى ، وبقيت مراتك ، وكنت
متأكدة من كتر السعادة معاك إنى مش هقلق للحظة واحدة ، ودلوقتى
إزاي أقدر أتحمل نار الانتكسار ده ؟ إزاي أرد على أسئلة الناس ؟

- الناس دائماً بيتكلموا ، وأنا قلت لك إننى مش معيوب وسوزان بنتى .

- منين إنت متأكد كده ؟

فوقفت أمام المرأة وقلت فى هدوء : مش عارف ، قلبى بيقول لى كده. وعدت ناحية ثريا وتابعت الحديث : أنا مستعد أثبت ده .

فقلت : إزاي ؟

- أنا هسافر أوربا ، وأقابل الدكاترة هناك .

فقلت وسط بكائها : آه ، إلهى .

فركت أمامها ، وقلت : أنا هاروح هناك ، حبيبتي سلوكك كان دائماً قدوة ، لكنه مش كويس دلوقتي مع سوزان . قلت إنك بتتقى فى ، فلتتقى بى مرة أخرى ، وتأكدى إنك مش هتندمى على الثقة دى.

- أسفة يا أرسلان ، أنا عايزة أمشى ، وكنت عايزة أتكلم معاك الليلة فى الموضوع ده .

- تمشى ! فين ؟

- لبيت أبى ، وللأبد .

فسألتها غير مصدق : إنت بتهدرى ؟ يعنى مش قادرة تصبرى لغاية ما أرجع ؟

وحركت أكتافها بالرفض ، وكررت عليها سؤالى ، وحينما رأيت صمتها ، قلت : القرار ده مش قرارك !

- كلامك مش هيغير قرارى ، وعلى كل حال أنا خدت قرارى ، وإنت ما تقدرش تحكم على أبى وأمى وأسرتى .

فصحت : دول من الأول ما كانوش عايزنى .

- كلامك غير منطقي بالمرّة .

- إنتِ عارفة إنى باقول الحق ، دول كانوا عايزين يناسبوا طبيب

أو مهندس .

ووقفت كى تخرج من الحجرة ، فسألتها : إنتِ هاتروحي فين ؟

- أنا مش مجبرة على سماع إهاناتك ، فالشخص اللى ما يكونش

صادق معايا ولم يفصح لى عن حقيقة حياته ، مالهوش الحق فى إبداء

الرأى تجاه أسرتى ، ومضت تجاه الباب فقلت مضطراً : معرفة الحقيقة

هترضيك ؟

وعادت إلى وقالت بنفس الهدوء : على الرغم من إنها جت متأخرة

لكن جايز .

- أنا ما كذبتش عليك فيما يتعلق بسوزان ، واسه متأكد من

خطأهم لكن فيما يتعلق بكيت ...

واستقرت فوق الكرسي ، بينما استمررت فى الحديث : إنتِ

سألتينى عن سبب انفصالى عن مراتى ، وقلت لك إنه تم بسبب عدم

التوافق والتفاهم بيننا ، وبالتأكيد ده كان سبب من الأسباب ، والسبب

الثانى لانفصالى عن كيت ... أنها خانتنى ، وأقسم إن الموضوع ده تم

بعد ولادة سوزان .

وبداً ثانية عويل ثريا وصياحها :

- ليه ما قولتش من الأول ؟

- أقول إيه ؟ الموضوع ده كان بعد سوزان ، وبعد علمى به
انفصلت عنها ، آه ، يا إلهى .. ما فائدة قسمى طالما إتك مش مصدقة
كلامى ؟

- ومنين عرفت إن دى كانت المرة الأولى ؟

فصحت : لا !

- أسفة يا أرسالن . أنت شوفت الحقيقة ، لكنك ما صدقتهاش ،
إزاي أقدر أستمر معاك فى حياتنا ، وبعد معرفة اللى حصل أرى أن
الحق مع أبى . كنت أتمنى إن الحقيقة تكون حاجة ثانية، لكن ...

فقلت غاضباً : إنتِ فاكرة إن أنا أراجوز فى إيدك ، غورى ، ولكن
لنتأكدى إن مفيش طلاق ، أنا مقدرش ألعب باسم أبى وكرامته .

فقالت فى سخرية : إنتِ عملت ده مرتين قبل كده ، اعمله تانى ، أنا
هنفصل عنك ، فكرامة أسرتى مهمة بالنسبة لى أنا كمان .

ورحلت وأنا أنظر إليها غير مصدق ، ورأيته من خلف النافذة وقد
استقلت سيارة ، ومعها شخص عرفت أنه أخوها ، وفهمت أنها لن
تعيش معى تحت أى وضع سواء بتأثير من أسرتها أو عدم تأثيرها .

الفصل الثامن والعشرون

ونفذت ثريا رغبتها ، فبعد شهر بالتمام ، جاعني استدعاء المحكمة ، وقد مزقته بعد قراءته لأننى كنت أعارض فكرة الانفصال عنها ، ولم أكن أرغب فى أن أهدم كيان الأسرة للمرة الثالثة ، لكن كأن القدر يرغب فى غير ذلك ، فبعد الاستدعاء الأول بشهر ، وصلنى استدعاء آخر ، وكنت فى ذلك اليوم فى الطابق العلوى من المنزل وأحضرتة أمى لى ، وبينما كنت أقوم بفتحه ، سألتنى : إيه ده يابنى ؟

قلت : استدعاء .

فسألت فى حيرة : من مين ؟

قلت فى استهزاء : من المحكمة ، استدعونى علشان يستفسروا منى عن أسباب معارضتى للطلاق .

- هتروح ؟

- هو لازم أروح ؟ أنا مش موافق على الطلاق .

- طيب هتعمل إيه ؟

فألقيت بالورقة بعيداً ، وقلت : مش عارف ، لكن لازم أعمل حاجة علشان حياتى ما تنهارش .

وجلست أمى أمامى وهى حزينة ، ولم أكن أتوقع الصمت منها ، كنت أريد أن تمنحنى الشجاعة والقوة لمواجهة هذا الموقف ، فقلت بلهجة حادة :

- لم تتظرين إلى هكذا ؟

وانهمرت دموع أمى ، فتابعته كلامى : ليه بتتصعبى على كده زى الحمل العاجز هو أنا تعيس أوى لدرجة تخلى العالم كله يعيط على حالى؟ ليه ما بتتكلميش ؟

وكان جسدى كله يرتعد من شدة الغضب ، وتركتنى أمى فى هدوء ، وفتحت النافذة فى جو الشتاء البارد . كنت أريد أن تحملنى الرياح معها لكن الرياح كانت تأبى ذلك ، ومزقت الاستدعاء ثانية ، وألقيته من النافذة تتلقفه الرياح والأمطار ، لم أكن أفكر قط فى عواقب هذا الأمر أو فيما سيحدث .

وبعد بضعة أيام حدث أمر عجيب ، كان عصر يوم الجمعة حينما رنوا الجرس وطلبونى ، وغيّرت ملابسى ، وتوجهت ناحية الباب ، وكان فى انتظارى رجل مسن قد خط الشيب شعره . كان مهنماً ويحمل فى يده حقيبة سامسونيت ، وما أن رآنى حتى قال وهو يمد يده للسلام : السيد وفائى ؟

فأجبت برأسى " نعم " ؛ فتابع حديثه : أنا إلهام نيا .

ومع مشاهدته لاندعاشى قال : محامى السيدة ثريا روند .

وكانت لا تزال يده ممدودة للسلام ، فسألته فى فتور : أنا ما طلبتش منك تيجى لمقابلتى ، وأردت أن أغلق الباب ، فمنعنى ، ثم قال : - اسمح لى يا سيد وفائى ، لازم أتكلم معاك لبضع دقائق ، فالأمر مهم .

فمكثت عدة لحظات ، فانتهز الفرصة ، وقال : بالتأكيد وصلتك الاستدعاءات ، مش كده ؟

فقلت غاضباً : ليه ؟

فقال فى هدوء : لازم تيجى المحكمة .

فقلت فى حدة : أنا ألتها مرة لزوجتى ، وهاقولها لك تانى : مش هاطلق

فقال إلهام ديا فى شتور : همّ يقدروا يخلوك تطلق استناداً إلى القانون .

قلت : إذن إيه . بسبب عضورك ؟

فقال : عايز تتعارن سوا ، مايصحش إن الموقف يتطور بين الجيران بالشكل ده ، وأنا متأكد إنك غير راض عن أن يأتيك المأمور ويأخذك عنوة إلى المحكمة ، فذنبك لغاية دلوقتى صعب بحد كاف .

— أى ذنب ؟

— عدم دفع النفقة ، عدم احترام مقام المحكمة ، من فضلك خذ هذا ، فهذا هو الاستدعاء الثالث للمحكمة ، همّ عايزين يشوفوك فى المحكمة يوم الإثنين الجاى أو على الأكثر يوم الأربعاء القادم .

وتملكتنى الحيرة لفترة ، ثم أخذت الورقة رغماً عنى من يد المحامى الطاعن فى السن ، وودعنى ، وتركنى لحالى .

وفى الأسبوع التالى ذهبت إلى المحكمة ، وكانت ثريا قد جاءت مع والدها ، وألقيت عليهما السلام لكننى لم أحصل على الرد ، وكانت ثريا تتجنب النظر إلى ، ووصل المحامى الخاص بها بعد مضى نصف الساعة ، وتوجهنا إلى حجرة القاضى ، وكان رجلاً طاعناً فى السن محنكاً ، دعانا للجلوس وأخذ يتفحص الدعوى فى صمت تام ، ثم قال : السيد أرسلان وفائى .

قلت : تحت أمرك .

- إنت ما حضرتش بعد استدعاء المحكمة لك مرتين ، ليه ؟

وطأطأت برأسى ، وقلت : علشان أنا مش موافق على الطلاق .

- زوجتك طلبت الطلاق ، وكان لازم عليك الحضور للاستجواب

بغض النظر عن أى سبب ، ده نوع من عدم احترام القانون ، لعلك تجهل هذه القوانين .

فقال والد ثريا بسخرية : بالعكس يا سيدى ، ده وللمرة الثالثة

بيتعامل مع المحكمة ، وعلى الأقل هو عليم بكل اللى بيحصل فيها أكثر منا .

وقبل أن أرد عليه ، قال القاضى : أيها السيد الفاضل ، لو سمحت

احترم المحكمة ، وانه ما تريد الكناية به .

ثم وجه خطابه إلى : إن زوجتك طلبت الطلاق ، وقلت إنك معارض ،

فلتذكر أسبابك ، إنت عارف أن حق الطلاق مع الرجل ولكن بشروط .

فقلت فى هدوء وأنا أنظر إلى ثريا : لأننى أحب حياتى .

- إذن ليه تركت زوجتك لمدة شهرين بدون نفقة أو رعاية ؟

وطأطأت ثريا برأسها ، فقلت فى ابتسامة مرة : أنا لم أطردها ،

والله شاهد على أننى كنت أضعها على رأسى لما كانت فى البيت ، هى رحلت عنى بنفسها ظلماً .

- ما روجتتش وراها ؟

- رُحت كثير ، لكنها كانت بتكرر نفس الموضوع بعد أسبوع ،

فتعبت ، وقلت لنفسى هى مشيت بنفسها هترجع بنفسها ، وأنا باقول دلوقتى إن كل الكلام ده والدعاوى دى مش منها .

- إذن من مين ؟ أنا عندى دعوى موقعة بإمضاءها تطلب فيها الطلاق ، أليس صحيحاً يا سيدتى ؟

ويدون أن ترفع ثرياً رأسها ، قالت : أيوة.

- إذن ده صحيح !

فقلت : إحنا مفيش مشكلة بينا سيدى القاضى إذا ما تركتنا أسرتها.

وحاول والد ثرياً أن يعترض إلا أن المحامى منعه، وتفحص القاضى أوراق الدعوى ، وقال مرة ثانية : زوجتك طلبت الطلاق أكثر من مرة ، ماسألتهاش عن السبب ؟

فالتزمت الصمت ، فسأل ثرياً : سيدتى ، فلتقولى للمحكمة ثانية أسباب طلبك للطلاق .

فقال محاميها : لو يسمح لى سيدى القاضى أتكم أنا .

- اتفضل .

- إن موكلتى لا تطلب الطلاق بسبب بعض المسائل الأخلاقية ، إنما تطلبه بسبب مشكلة زوجها ، ومرفق بالدعوى شهادة الأطباء الدالة على عدم قدرته على الإنجاب . إنهما لم يتمكنوا من الإنجاب - وهو حق مسلم لكل منهما - خلال الثلاثة أعوام التى قضاها مع موكلتى السيدة ثرياً .

- معنى هذا أن سبب الطلاق هو الأطفال فقط ؟

- ده هو السبب الأساسى فى هذه الدعوى .

وجه القاضى حديثه لى : ده حق مسلم لزوجتك ، ويبدو إنك ما تقدرش تفهم بيه .

وقلت وأنا أحاول أن أتماسك وأمنع نفسي من السقوط : لكن ده كذب .

-إيه هو اللى كذب ؟ فيه ثلاثة من الأطباء يؤكدون إنك عقيم ما تقدرش تتجب ، يعنى كلهم بيكذبوا ؟ لو كنت بتحب زوجتك لازم توضح إخلاصك.

- أيوة ، أنا باحبها ، ومش عايز أهدم حياتي .

وجه القاضى حديثه إلى ثريا ، قائلاً : ابنتي ، إنت عايزة تتفصلى عن زوجك بس علشان خاطر الأطفال ؟

فقال محاميتها : أهم أمنية للمرأة أن يكون لها طفل منها .

- نعم ولكن هل اتخذت قرارها فعلاً ، ولا بتعمل كده بس لمجرد العناد أو الإصغاء لمشاعرها ؟

- سيدى القاضى دى مش رغبة النهاردة أو إمبارح .

وكان واضحاً أن القاضى غير راض عن نتيجة الاستجواب، فوجه حديثه إلى : إنت عايز تضحى بزوجتك ؟ إنها شابة ، جايز تقدر تحقق أمنيتها فى ظل حياة أخرى جديدة ، ولما كانت دى رغبتها ما تقدرش تفرض رأيك ، ولكن لما كنا نفكر فى استقرار الأسرة ، هنمنحكم فرصة كام شهر ، ولو مراتك صرقت نظر عن قرارها ، تبدأوا حياتكم من جديد .

فقال والد ثريا معترضاً : فرصة تانى ليه ياسيادة القاضى ؟

قال القاضى : أنت ما تقدرش تصدر حكماً يا سيد ، تعال واجلس مكانى . وأنا ما قدرش أصدر حكماً غير منطقى إرضاء لك .

وخرجت من المحكمة ، وبينما كنت أفتح باب السيارة أسرع والد ثريا إلى ، وأخذ ينظر إلى وجهي ، وقال في غضب : فضلت تتمسكن يا خويا ، لكن خليك عارف إنى هطلق ثريا منك ولو بعد ستين سنة ، ستة شهور أمر سهل ، إنت من البداية ما كنتش لينا ، اللعنة على أمك لأنها أتعت بنتى .

ومضيت إليه مسرعاً ، ومسكت بجيب قميصه غاضباً ، وقلت : اتكلم عن أمى بس مرة ثانية وإنت هتشوف اللى عمرك ما شوفته ، للأسف إنك فى مقام والدى وإلا ... وسمعت صياح النساء من الخلف ، يقلن : سيبه .

فتركت جيب قميصه ، فانشغل فى ترتيب هندامه ، وعدت إلى الوراء ، فكانت ثريا ، ونظر كل منا إلى الآخر للحظات ، ثم استقلت السيارة بسرعة ، وابتعدت عن هذا المكان .

الفصل التاسع والعشرون

كنت أعلم أنتى لو لم أوافق على الطلاق فى أسرع وقت سيزداد الوضع سوءاً عما كان فيه ، ولكن مع هذا لم أكن أستطيع أن أقنع نفسى . كنت أريد أن أستمّر فى هذه اللعبة الحمقاء ، فكان ثمة شىء مرض لى فى ذلك الحدث . شىء كأنه يرتبط بى فقط ، شىء يدل على أننى كنت رجلاً ، وكان قد مر شهران من المهلة المحددة من قبل المحكمة، حتى جاءت ثريا إلى المنزل ، وسعدت كثيراً من رؤيتها ، وظننت أنها صرفت نظر عن رأيها، ومن فرط سعادتى ذهبت لاستقبالها ، لكن مقابلتها لى كانت رسمية فاترة :

- السلام عليك يا أرسلان .

- السلام عليك .

- إنت مضايق من رؤيتى؟

- ليه ؟ ده بيتك .

- لا ، ده مش بيتى دلوقتى .

فانطلق السؤال من فمى : طيب ليه جيتى هنا ؟

- علشان آخذ حاجاتى .

فسألتها فى حدة : حاجات إيه ؟ إنت خدتى كل حاجة معاكى .

- أرجوك ، خليك منطقى ، فجميع أثاث المنزل وأمتعته ملكى .

- مين قال كده ؟

- إنت عارف .

- ولكننا ما انفصلناش عن بعض ، احنا لسه زوج وزوجة يا ثريا .

- آسفة ، أنا لم أعد أعتبرك منذ فترة زوجاً لى ، وإن كنت عايز تعرف الحقيقة ، فلتنتظر المهلة المحددة من المحكمة .

فقلت فى عصبية : إنت عايزة إيه دلوقتى ؟

- إن أخى أمام الباب ، هوّجه مع اتنين من أصدقائه لحمل متاعى .

- مجنونة ، اخرجى من البيت ده !

- اسمع يا أرسلان ، لقد تعدى الأمر بيننا الخجل ، لو كنت تأمل فى إنى هرجع لك تانى ، تبقى غلطان ، احنا فى جميع الأحوال هننفصل عن بعض ، إذن إيه الفرق لو أخذت أمتعتى دلوقتى أو أخذتها بعدين ؟

فقلت فى فتور وبلهجة حادة : حسناً ، أنا هصبر ، وعايز أشوف إيه اللى هيقوله القانون .

- القانون منحنى الحق ، وإنت عارف كده .

ومن صوت الشجار بيننا والعراك بالألفاظ ، صعد أبى وأمى ، وكف كلانا عن الشجار بمجرد رؤيتهما ، وطأطأت ثريا برأسها ، واستندت أنا كذلك إلى الحائط ، واحتضنت أمى سوزان ، وأخذ أبى ينظر إلى مرة وإلى ثريا مرة أخرى ، حتى تحدث فى النهاية وهو يتوكأ على عصاه ، وكان صوته مثل ضربات العصا المحرقة : إيه اللى حصلكم؟ إيه بتتعاركوا دايماً زى الديوك؟ لو كنتم مضايقين من بعض للدرجة دى إيه ما تسيبوش بعض؟ وما يرحش كل واحد منكم لحاله؟ ثم وجه حديثه إلى ثريا :

- بارك الله فيك يا بنتى ، إنت اتعلمت كويس أصول الحياة
والزواج ، إيه التصرفات اللى بتعملها دى ؟ أنتِ امرأة ، ومش مفروض
صوتك يخرج من الشباك ده.

فقال ثريا بأسلوب منفر : إنت تقولى ارجعى وبعدين تهينى ؟

- مين اللى هانك ؟ إنتِ دلوقتى عايزة إيه ؟

- أنا جيت أخذ حاجاتى.

- والأكبر منك فين ؟

- أخى أمام الباب .

- أنا هنا يا حاج .

عدنا جميعاً للوراء ، وكان مجيد أخو ثريا ، ونظر أبى إليه برهة ،
ثم قال :

- قُل لوالدك إنك راعيت حق الجيرة كويس ، هى دى المروءة ؟ ليه
ماجاش علشان يحل مشكلة بنته؟

فقال مجيد دون اكتراث : مفيش مشكلة ، يا حاج لو الحكاية
محتاجة الفتونة فأنا أعرفها كويس.

وهز أبى رأسه وقال وهو يبتسم فى مرارة : فتونة إيه يا بنى ؟ ليه
تتدخلوا بين الشابين نول وتفسدوا عليهما حياتهما ؟

وتحدث مجيد بغلظة قائلاً : حياة مين ؟ فلتلق نظرة على أختى ،
فحياتها بقت بكاء .

فقال والدى لثرىا بهدوء : ليه بتبكى يا بنتى ؟ إنتِ لسه شابة،
والحياة مليانة بالتعاسة والسعادة ، لازم تكونى زى الفولاذ الصلب ...

فقال مجيد متبرماً : لا توعظ يا حاج .

وغضبت من الطريقة غير اللائقة التي يتحدث بها ، فاعتدت عليه
ووقع العراك بيننا ، وكنت أشعر وقتها أنني أملك في ساعدي قوة الجبل ،
ولم أكن أفهم أى شىء آخر ، ولم يكن سوى صوت بكاء ثريا وصياح
أبى وعويل أمى . ومضى مجيد تجاه الفناء ، وتبعته ، واندفع الجيران إلى
الفناء على أثر صوت الشجار بيننا ، وجاء والد ثريا أيضاً ، وحاول أن
يفك العراك بيننا ، وبدلاً من أن يبدأ الوالدان النقاش معاً ، التفت والد
ثرىا إلى أبى وقال : إنت مش خجلان من شيبتك ؟

فقال أبى فى ثقة وهو يستند على عصاه : مفروض إنت اللي تخجل
لأنك رفعت نقاب الأدب عن وجهك ووجه أسرتك ، وربيت ابنك وبنتك
بالشكل ده .

- أنا اللي مفروض أخجل؟ سمعت بتقول إيه ياسيد ؟ روح ، روح
وشوف فضائح ابنك اللي بتلف على كل لسان فى المدينة ، مش عيب لو
كنت أخطأت ، دلوقتي عايز أصحح الخطأ ده ، أنا مش عايز بنتى
تعيش مع راجل جاب معاه طفلة من بلاد الغرب ومش عارف هى بنت
مين ، ويجبر ابنتى على أن تعيش معه وتأتمر بأمره ثم يأتى بعد ذلك
ويقول إنها بنته .

فقال أبى ، وهو كالبنجر الأحمر : دى بنته .

وجه والد ثرىا الحديث إلى الحضور ، قائلاً : أنا ماكنتش عايز
أجرحهم ، لكنهم هم اللي عايزين كده ، فابن السيد عقيم ، دلوقتي ممكن
تقولوا إزاي يبقى أب ؟

وعلا همس الجميع ، ودارت الدنيا حول رأسى ، كنت أرى الأعين
جميعها حول سوزان فقط ، كنت أريد أن تنشق الأرض وتبتلعنى ، لأننى

كنت أشعر تماماً بثقل هذه النظرات ، ودخلت أُمى المنزل من قرط
خجلها ، وبدا الانكسار على أبى ، وكان الموقف صعباً لدرجة أن الجميع
غادروا المكان الواحد تلو الآخر ، وجلس أبى ساكناً على الدرجة الأولى
من السلم ، وذهبت أنا فى وادٍ آخر .

لا أعلم بدقة كم من الوقت مضى وأنا بمفردى ، حتى فتح بهدوء
باب حجرتى غير المطلقى ، وظهر على عتبه جسد أبى المنهك ، فجلست
على السرير ، وجلس أبى أمامى ، وحينما بدأ الحديث كان صوته يرتعد
من الحزن :

- ليه بقيت زى المصعوقين ؟ هى دى نهاية الدنيا يا بنى ؟ لا
تخجل ، فأنت ابنى . هل ترتضى هذه المهانة ؟ كان لازم تتحرى عنها
الأول ، فلو كانت وضیعة فدعها ، هل البنت دى مهمة بالنسبة لك للدرجة
دى ؟ أنا مش مستعد تانى أتقبلها على أنها عروس البيت ده ، وأعيش
معه تحت هذا السقف .

وكنت أحاول كبج جماح دموعى فى الظلام ، وأنتظر فى قلق رحيل
أبى عنى على وجه السرعة .

- كل ده حصل بسبب عدم معرفتى بأمورك ، بسبب تطلعاتك ،
وفى المقام الثانى بسبب تجرؤ أمك ، لأنها كانت بتشوفك دائماً أكبر من
اللى إنت فيه .

فسأله بصوت حزين : لو كنت مكانى كنت عملت إيه ؟

- لله الشكر إنى مش مكانك ، ولكن لو كنت كذلك ما كنتش
سمحت لهم يقولوا الأباطيل دى فى حقى : اسمع وافهم اللى هقوله
يابنى ، أنا بشوف عينيك فى وش بنتك ، دى بنتك ، حفيدتى ، حفيدتى

الوحيدة من ابني . أنا كمان زيك أظن أنهم قد أخطأوا ، وأنا مستعد لدفع كل نفقات السفر لإثبات صحة ظننا ، روح أوريا ، ولكن قبل كده ، طلق هذه الفتاة سليطة اللسان غير اللائقة ، ودعها تأخذ ما تريده من متاع . لو حبست نفسك ، إنت الخسران ، إنت راجل ، والراجل ما يسلمش أبداً .

وتركني أبى ، وكان الحق معه ، لقد كنت خائفاً ، خائفاً من أن يكون - لا قدر الله - هذا الكلام صحيحاً . والآن وأنا أفكر بطريقة أفضل ، أضحك على نفسي . من أى شيء كنت أهرب ؟ من شيء من المحتمل أن يكون لدى ؟ من عيب طبيعى ؟ من القدر ؟

- لا أعلم كم من الوقت ؟ ولكن كثيراً ما كنت ألوم نفسي بسبب جهلى بكل أمورى . والموضوع أنتى كنت أشك فى داخلى فى كيت ، فلم تكن تمثل لدى صورة المرأة المخلصة لذلك كنت متردداً فى قبول هذه المسألة .

- كنت أخاف إذا ما اتضح الحقيقة ، ما الذى يجب على أن أفعله ؟ أجب أن أقدم الفرصة للآخرين كي يضحكوا على حماقتى حتى آخر العمر ؟ وكان تذكر هذا الموضوع يعذبني ، ومن ناحية أخرى كنت أشعر بكيانى كله أن سوزان ابنتى . وعلى الرغم من أنها كانت تشبه كيت ، إلا أنها ابنتى ، مالكة قلبى ، فهى أمانى التى لم تثمر بعد ، كنت أريد أن أسعى لإثمارها .

واختليت بنفسى ثمان وأربعين ساعة ، ولم أتناول شيئاً خلالها سوى الماء ، وفكرت كثيراً حتى اتخذت قرارى بصعوبة ، واتصلت بمحامى ثرياً ، وأخبرته بموافقتى السريعة على الطلاق .

وذهبنا إلى المكتب ، وانفصلنا عن بعض في هدوء وبساطة ،
واسترد كل منا خاتم الزواج الخاص به ، وكان ذلك قرب نهاية العام،
وكان بداية عام جديد من القلق والضيق .

وتحركت سيارة والد ثريا ، وكانت ثريا تنتظر إلى بنظرات خاطفة
وأنا كذلك ، وأقسم أن السبب الرئيسي لقبولها الطلاق هو الحفاظ على
حرمة أسرتها وليس الأطفال.

الفصل الثلاثون

كانت الأوقات التي أخرج أو أدخل فيها المنزل هي الأوقات التي لا أقابل فيها أحداً من الجيران ، ومع ذلك لم يمكنني تجنب ذلك يوماً ، وذات يوم قابلت ثريا وجهاً لوجه ، فأحمر وجهها ، كما اضطرب قلبي بخفقات سريعة ، وقد زادت من سرعة خطواتها ، بينما وقفت حتى تبعد ثم سلكت طريقى . كان الجميع يتعاملون معى مثل طاعون ويتهربون منى ، حتى الجيران الآخرين ، فكانوا قد صدقوا شيئاً فى كنت لا أزال متردداً فى قبوله .

ولكن على أية حال فقد سافرت إلى أوربا ، وقد صحبنى أبى وأمى وسوزان إلى المطار ، وقبلت سوزان ، وتركتها مع أمى التي وضعت فى جيبى مصحفاً صغيراً ، وطلبت منى أن أهتم بنفسى وأتوكل على الله ، كما قال لى أبى أن أثق فى نفسى وأطمئن . وتوجهت بدعاء الخير منهما وبتشجيعهما الكافى إلى إنجلترا ، إلى الدولة التي قضيت فيها أيام شبابى .

حينما هبطنا مطار لندن كان الجو ليلاً ، وكالعادة كان جو لندن بارداً ملبداً بالغيوم ، وتوجهت على الفور إلى الفندق ، وحجزت غرفة ، ونزلت فيها ، وتناولت العشاء ليلاً دون نفس ، وخلدت إلى النوم يساورنى العديد من الأفكار . وحينما استيقظت من النوم كانت الساعة قد تعدت العاشرة ، وذهبت إلى عيادة الطبيب ، وانتظرت فترة حتى دخلت إلى حجرته ، واستمع إلى حالتي ثم كتب التحاليل اللازمة وقمت بدورى بإتمامها ، وانتظرت النتيجة وأنا فى شدة القلق عشرين يوماً ، حتى

جاء الموعد المحدد ، وذهبت بالتحاليل إلى عيادة الطبيب ، ونظر الطبيب أكثر من مرة على نتيجة التحاليل ، ثم نظر إلى ، وكان الماء قد جف في فمي :

- سيد وقائي ، للأسف ، لقد شخّص أطباؤكم الحالة بصورة جيدة، لديك عيب في القدرة على الإنجاب ، أتوجد مثل هذه الحالة في أسرتك؟

قلت وأنا لا أصدق ما أسمع: لا يا دكتور، لا أبى ولا عمى ولا أى شخص.

- إذن فأنت سيئ الحظ ، لأنك مش هتقدر تنجب أبداً .

- لكن أنا عندي طفلة ، بنت ا

- ده مستحيل .

- إزاي .. إزاي ده ممكن ؟

- اسأل مراتك ، أنا بقول إنك عقيم .

وكانت قدماى ترتعد ، وكأن الدنيا كلها تعرف هذا السر، ونهضت من مكانى.

وتأثر الطبيب من حالتي ، وقال :

- اسمع أيها الشاب ، أنا أقدر أقدمك إلى أحد الأصدقاء المتخصصين ، فهو أستاذ ، ورده في الحالة دى هو الرد الحاسم .

وأخذت عنوان الأستاذ المذكور، وخرجت من العيادة وأنا أشعر وكأنتى سأصاب بالسكتة ، حيث ألم بى جزع ودار شديدين .

وذهبت إلى البروفيسور برنارد ، لكنه رد على بنفـس الرد ، كنت أود أن أموت ، وأخذت تتردد جملة فى ذهنى دون توقف : سوزان مش بنتى ، سوزان مش بنتى .

وشعرت حقاً بأننى قد خدعت ، ولم أكتف برود هذين الطبيبين ، وسافرت إلى فرنسا وألمانيا ، واستشرت أطباء آخرين ماهرين ، وبالتأكيد كان ردهم نفس الرد السابق ، وعدت إلى إيران بعد مضى ثلاثة شهور ، وتوجهت إلى منزلى دون أن أحيطهم علماً بوصولى ، وحبست نفسى ثانية فى الحجرة ، وكأن قلبى قد تحجر حتى إننى لم أستطع البكاء مرة أخرى ، ولم يؤثر فى بكاء أُمى خلف الباب ، ولا حتى صياح أبى وطرقه على الباب بعصاه حتى أفتح له . كنت أشعر أن الدنيا انتهت بالنسبة لى ، ويجب أن أنهى حياتى ، وأمسكت بسكين وكدت أن أطعن به قلبى ، لكننى تنبعت لنفسى وقلت : يجب أن يطعن هذا السكين قلب كيت ، أو على الأقل يجب أن أرى موتها قبل أن أموت ، يجب أن أخذها معى إلى جهنم ، فقد كانت سبباً لتعاستى وانكسارى .

وكانت نار الانتقام تشتعل بداخلى وتحرقنى ، فألقيت بالسكين على الأرض ، وفكرت : ليه ما فكرتش هناك فى الفكرة دى ؟ وهمست : لازم أسافر ، لازم أسافر ، وفى نفس الوقت تداعى أمام عينى كل من كان يتردد علينا فى إنجلترا ، الواحد تلو الآخر ، كنت أشك فيهم جميعاً ، وعلى رأسهم فرانك ، كنت أريد أن أعرف سوزان ابنة من ؟ وأى شخص هذا الذى جلب لحياتى العار؟ وفى نهاية اليوم الثانى من عودتى إلى إيران ، خرجت من حجرتى ، وعينائى غائرتان إلى الداخل وأشعر بضعف شديد ، وكان أبى وأُمى وسوزان يجلسون على المائدة حينما دخلت عليهم ، وما أن رأتنى أُمى حتى قامت :

- يا إلهى ، أنا فداك يا بنى ، بالتاكيد إنت جعان، هروح أجيب لك طبق.

وجلست على أقرب كرسي والتزمت الصمت حتى أحضرت أمى الطبق، ووضعت فيه الطعام لى ، وكانت نظراتى إلى سوزان حائرة ، فاقتربت منى ، وقالت : إنت مريض يا بابا ؟

فحركت رأسى وصمتُ ثانية.

- انت جعان ؟

فأجبت برأسى مصدقاً على كلامها ، وبيدها الصغيرة مسكت سوزان يدى وحملتها على المائدة ، فهى الوحيدة التى تجهل الحقيقة . وكان أبى يطأطئ برأسه ، ولم أكن قد رأيتَه قط بمثل هذا الانكسار ، ولم تكن لى شهية للطعام ، ولكن يجب أن أكل ، وقلت فى نفسى : أنت فى حاجة إلى القوة لتنفيذ ما اتخذته من قرار ، لذا تناولت الطعام عنوة. وبعد تناول سوزان لعشائها ، قبلت ثلاثتنا وألقت علينا تحية المساء ، وتوجهت إلى حجرتها . وحينما استغرقت فى النوم ، جاءت أمى إلينا وكنت أنا ووالدى حتى ذلك الحين فى حالة من الصمت ، وسألتنا وهى تدخل علينا : تفكر إنها فاهمة حاجة يا أرسالن ؟

فقلت دون مبالاة : ما تفرقش معايا .

سأل والدى : ليه ؟

- لأننى فهمت مؤخراً إنها مش بنتى ، ورعايتها من الأصل بعيدة عن المنطق .

- إنت عايز تعمل إيه ؟

فتراجعت للخلف ، وقلت : هرجعها لنفس المكان اللى جت منه .

فقالَت الأم في حيرة ودهشة : هترجعها ؟ بنتك ؟

فصحت : هي مش بنتى يا أمى .

قالت الأم : لو مش بنتك ، تبقى بنت مين ؟ وإنت عايز تسيبها لمن ؟
قلت في هدوء بينما كنت أرتعد من الداخل : هسيبها في أحد
الملاجئ .

- وإنت ؟ هتقعد هناك ؟

- لا يا أمى ، هرجع .

وبدأ بكاء أمى وقالت : إنت عايز تسيبها لوحدها ؟ هو مفيش في
صدرك قلب ؟ أنا بحبها زى روى .

- لكنها مش حفيدتك يا أمى ، إنت فاهمة ده ؟

وتدخل أبى ، وقال : دلوقتى إنت هتخط غلك على الطفلة دى ؟

- أنا مش زعلان يا أبى ، الموضوع هو إنها مش بنتى .

- إنت قبلت الحقيقة دى وتقدر تشيلها من قلبك ؟

قلت : أيوه، وبسرعة هرجعها إنجلترا ، ومش هبخل عليها
بالمساعدة المالية .

- ليه ما تسيبهاش في أحد الملاجئ هنا ؟

فصحت : لأن ده هو ذنبى ، وهنا هيكون دائماً أمام عيني .

- ده ذنبك ، ففي اليوم اللى اتجوزت فيه من أجنبية كان لازم تفكر
كويس .

- بتلومنى يا أبى ؟

- إنت جبان أحمق ، عايز بس تجذب شفقة الآخرين ، الطفلة دى ذات الثلاثة أعوام ، أكلت طعامها معنا ، وتريت على إيد والدتك وهى مرتبطة بنا ، وتعتبر أمك جدة لها .

- معنى حديثك أنكم مش هتقدروا تتخلوا عنها ؟

- عايز تعرف ؟ كويس أوى ، أنا رافض الكلام ده ، أنا بحبها ، ومقدرش أصدق الحقيقة دى .

واحتبست الدموع فى عين والدى ، وتابع حديثه : خليها هنا ، خلينى أسعد قلبى العجوز بحفيدتى ، دى بنت جميلة وذكية .

وكانت أمى تبكى هى أيضاً ، فأجبتة بقسوة قائلاً : لا ، هى مش بنتى ، وإصراركما ما لوش فائدة ، وقد رتبت أمورى .

ومضى أبى إلى حجرته يائساً ، وملأت كوباً بالماء ، وشربت ، وقبل أن تنطق أمى بكلمة ، قلت لها : ربما يطول سفرى يا أمى ، فلا تقلقا .

فقالت أمى فى حزن : ولدى ، أنا عارفة إنك خدت قرارك ، لكن فكر تانى ، مش مفروض تاخد قرارك فى عجالة ، فكل شىء مرهون بقرارك . فكر فى الغد ، البنت دى ممكن تكون سند ليك هى بتحبك جداً ... فكر فى إنك تربيتها إرضاءً لله سبحانه وتعالى .

- أنا مش هعمل كده ، وإيه اللى هقوله للناس وللعائلة ؟

- الناس بيتكلموا دايماً يا حبيب أمك ؟

كانت أمى تبكى فقط ، ونظراتها على إحدى صور سوزان ، لم أكن أرغب فى الخنوع لرغبة أمى ؛ لذا صعدت إلى حجرتى لودن كلام .

الفصل الحادى والثلاثون

لم يستطع أى منا أن يقول لسوزان إنه يجب أن تتركنا إلى الأبد .
وكل ما قلناه لها إنه يجب أن تبعد عن البيت لفترة . وفى يوم الوداع
كان أبى وأمى يبكيان :

- ليه بتبكى يا جدتى ؟

- علشانك يا بنتى ، قلبى بيتألم لفراقك .

- وأنا كمان ، لكنى أوعدك إنى هرجع فى أسرع وقت مع بابا .
واحتضنتها أمى بشدة ، ولم ينقطع الدمع من عينيها للحظة ، ثم
مضت سوزان إلى حضن أبى :

- جدى ؟ إنت مش قلت إن الراجل لا يبكى ؟

- نعم يا بنتى !

-إذن ليه بتبكى ؟

- لأننى .. لأننى شيخ هرم ، ولو كنت شاباً مثل أبىك لما بكيت .

وكان كلام أبى مثل جرح السيف ، فهو يقصد أننى بدون قلب فى
صدرى ، وتمايلت نفسى بصعوبة ، وسلكت الطريق مع سوزان بعد
وداع أبى وأمى، وفى الطائرة قالت سوزان :

- بابا ؟

- أيوه !

- الوضع هناك شكله إيه ؟

- جميل جداً ، إنتِ اتولدت هناك ، إنتِ إنجليزية ، وأنا متأكد من
إتك هاتكونى سعيدة هناك .

- يعنى أجمل من منزل جدى ؟

وقلت بعد انتظار لفترة قليلة : أيوة ، أجمل ، أى مكان يعيش فيه
الإنسان يكون جميل ، إنتِ هتتعودى عليه .

- ولكننا هنرجع .

ولم أرد عليها ، لم أكن أرغب فى أن تسمع الحقيقة من لسانى ؛
فبعد فترة سوف تتفهم الحقيقة بعد ما تياس من قدومى .

وبعد فترة ، وصلنا إلى إنجلترا ، وأخذت أخطو خطواتى بشكل
سريع بينما كنت أمسك يد سوزان فى يدى ، وكانت تلهث ورائى تقريباً ،
حتى وصلنا فى النهاية إلى الملجأ ، وكان الأطفال منهمكين باللعب فى
الفناء ، فأشرفت إليهم ، وقلت لسوزان : كل دول من نفس سنك لازم
تكونى معاهم .

واضطربت سوزان من رؤيتها لكل هؤلاء الأطفال ، وقالت : لازم
أفضل هنا لغاية ما ترجع ؟

- أيوة .

فقبلتنى وقالت : أكيد جيتتى هنا علشان ماحسش بالملل ؟

وتركتها فى يد المدرسة ، فقالت لى : إنتِ عارف القوانين ؟

- أيوة .

- كويس ، لو كنت هتسينبها لنا للأبد لازم تقلل من زيارتك ليها .

فالأطفال حساسون جداً ، وطبعهم متقلب .

وتنظرت إلى سوزان التى سرعان ما اندمجت مع الأطفال، وتوجهت إليها وقبلتها فى شعرها ، وكان جميع هؤلاء الأطفال إما من المتشردين أو ممن فقدوا من يرعاهم ، واحترق قلبى من أجل سوزان، وخرجت المربية معى ، فقلت لها : سيدتى ، سوف أحول نفقات سوزان على رقم حسابكم ، أرجوكى ، خلى بالك منها .

- اطمئن .

- من فضلك وفرى لها كل طلباتها ، ما تقلقيش من ناحية المصاريف .

- اطمئن .

وخرجت من الملجأ مستاءً ، وأقسمت أن أنتقم لسوزان .

هناك كنت فى إحدى الدول الأوربية ، لذا لم يكن من الصعوبة بمكان شراء السلاح ، وتمكنت فى أسرع وقت من شراء مسدس كاتم للصوت ، وكذلك بضع رصاصات ، وحاولت اقتناء أثر كيت ، فذهبت إلى عنوانها الذى أعرفه ، لكنها كانت قد انتقلت من هذا المكان ، وباعت المنزل الذى كنا نعيش فيه معاً . ولم يعلم صاحب المنزل الجديد أى شىء عنها ، وذات ليلة أخذت أفكر حتى الصباح حتى عزمتم على إمكانية معرفة طريقها عن طريق فرانك ، وعلى الرغم من أننى كنت متعطشاً لدماء فرانك، ولكن ليس لدى حيلة للعثور عليه . وتوجهت إلى شركته ، لكنه لم يكن موجوداً أيضاً ، وقال أصدقائه إنه سافر لقضاء العطلة ، ولم أكن أعرف أى مكان يجب أن أتعقبهما فيه .

من ناحية أخرى كنت فى عجلة من أمرى بحيث إننى لم أستطع أن أصبر حتى عودة فرانك، وذات ليلة تقابلت مع شخص فى أحد المطاعم

بوسط المدينة ، وهو الذى قد لفت نظرى فى البداية إلى فرائك ، وكانت
آليس زوجة فرائك السابقة ، وفى الواقع هى التى عثرت على :

- أرسلان ؟ ! بتعمل إيه هنا ؟ سمعت إنك غادرت إنجلترا مع
بنتك !

- آليس !

ولم أسعد من قبل قط برؤية أى شخص مثلاً سعدت هذه المرة ،
وهذا ما ذكرته :

- أنا مندهشة جداً يا أرسلان .

- وكم أنا مندهش أيضاً ! أنتِ هنا ؟

- لا تتعجب ، المكان ده قريب جداً من بيتى ، وغالباً ما أتناول
عشائى هنا .

- إذن فلتتناوليه معى .

- على الرحب والسعة .

وسحبتُ مقعداً لها ، وجلستُ أمامى ، ثم نظرت إلى وقالت :

- تعرف ؟ إننى ما تغيرتش أبداً . لسة جذاب زى ما كنت ! أنا مش
عارفة إزاي كيت فضيلته عليك .

- فضيلته ؟

- إننى مش عارف ؟ أوه ، نسيت إنك ما كنتش موجود هنا وإنك
ما تعرفش حاجة .

- ما عرفش إيه ؟

- إنها أتجوزت فرانك .
- مين ... فرانك ؟
- أيوه ، ما تتعجبش ، ده كان متوقع بعد طلاقها السريع منك ، ماتزعلش ، هم مش هيستحملوا بعض كثير ، وده اللي هيثبتوه ليك .
- واستقر العرق بارداً على جبهتي ، ومرة أخرى تحول شكى إلى يقين ، بأن سوزان ابنتهما ، وتنبهت أليس لتغيري ، فسألت : إنت كويس ؟
- أيوه .. أيوه شكراً .
- حسناً ، فلتقل لي ، كيف حال بنتك ؟ لازم بقت أنسة جميلة دلوقتي ، اسمها إيه ؟
- سوزان .
- أيوه ، صحيح ، فين هي دلوقتي ؟
- في مكان كويس .
- أنا متأكدة من كده ، وإنك بتعمل إيه ؟
- وأشعلت سيجارة ، وعزمت على ، وأخذت أنا أيضاً سيجارة ، وأشعلت الولاعة ، ثم أشعلت سيجارتي ، وكانت تنتظر ردي ، فقلت : أنا بشتغل في إيران .
- في إيه ؟
- في التجارة .
- كويس ، إنت راضي عن عملك ؟
- أيوه .

- حقيقى أنا سعيدة .

وانتهى العشاء بيننا ونحن فى صمت، واصطحبتها إلى منزلها،
وجعلت محور الحديث بيننا فى الطريق حول قرانك وكيت :

- إنتِ .. ما تعرفيش عنهم حاجة ؟!

فضحكت ، وقالت : أنا فاهمة مشاعرك كويس ، فهى شبيهة
بمشاعرى فى الأيام الأولى لانفصالى عن قرانك ، وعلى أية حال فقد
كانت زوجتك فى يوم ما .

- أشكرك لأنك تفهميتنى .

- حسناً ، همّ اتجوزوا حديثاً .

- ودلوقتى همّ فين ؟

- أنا ما عرفش بالضبط ... أعتقد أن إحدى صديقاتها قالت لى
إنهما ذهبا إلى فيلا قرانك على ساحل البحر لقضاء العطلة .

وقلت وأنا حزين لتذكرى بعض الذكريات السابقة : هى نفس الفيلا
اللى أخذت كيت مفتاحها لقضاء شهر العسل معى ، وقالت لى وقتها
إنها ملك زوج إحدى صديقاتها .

وأمام المنزل قالت أليس : سامحنى ، أنا ما كنتش عايزة أضايقك،
إنتِ اللى حببت تعرف .

فسلمت عليها وقلت : إنتِ ساعدتني أكثر مما تعتقدين .

وودعنا بعضنا ، ولم أبعد عدة خطوات حتى نادتنى :

- أرسالن ؟

- ليه طلبت عنوانها ؟

كنت أعلم أن آليس ليست غبية ، فهي شرطية ، وتشك فيّ ، لذلك قلت :

- فقط على سبيل الفضول ، فهمتي إيه ؟

فابتسمت وقالت : تصبح على خير .

الفصل الثانى والثلاثون

وفى طريقى إلى فيلا فرانك ، قتلتهما مائة مرة فى خيالى ، وأحييتهما ثانية ، فمن وجهة نظرى أن قتلها مرة واحدة لا يكفى ، يجب أن أعذبهما ، وأن يكون عذابهما بذلك القدر الذى يطفى نار قلبى ، النار التى كانت تشتعل حتى أحرقانى بها ، لقد حرقا فى هذه اللعبة الأبله والظالم ، البرىء والمذنب !

وعلى أية حال فقد وصلت إلى هناك ، وكانت الفيلا هادئة صامته ، كان يسمع فقط أصوات أمواج البحر ، ودخلت فناء الفيلا بهدوء ، ونظرت إلى الداخل عبر النافذة فما من خبر ، وكأن المكان قد خلا من الأشخاص ، وفتحت الباب بهدوء ، ودخلت البيت ، ومع دخولى الفيلا تداعت الذكريات فى خاطرى ، وفكرت كم كانت كيت من الدناءة التى جعلتها تأتى لقضاء شهر العسل إلى نفس المكان الذى قضت فيه معى شهر العسل ، وهذا ما زاد استيائى منها ، وجلست منتظراً عودتهما وأنا فى غاية القلق حتى وصلا ، ونظرت من خلف النافذة ، فرأيت فرانك يضع يده حول كتفى كيت ، بينما كانت كيت تضحك كعادتها ، وأعددت مسدسى ، ووقفت منتظراً حتى يدخل البيت . قال فرانك لكيت : هاغسل رجلى لغاية ما تخلصى القهوة ، إنتِ ما تحببش أدخل البيت برجلى الوسخة دى ؟!

ودخلت كيت البيت ، ودون أن تنتظر حولها توجهت إلى المطبخ ، وبعدها بلحظات دخل فرانك :

– كيت ، القهوة جاهزة ؟

- أيوه ، هاجيها حالاً .

لم تتغير كيت تماماً مثل فرانك ، وخرجت من المطبخ، وأثناء مرورها بجوار فرانك قبلها ، وكنت مختبئاً في أحد الأركان ، أنظر إليهما، كان المسدس يرتعش في يدي ، وفي الواقع لم أر في نفسي الشجاعة لإطلاق الرصاص ، وجلس كلاهما في وضع متقابل ، وخرجت من ركن الحجرة المظلم ، وحاولت أن أكون هادئاً :

- السلام عليكما أيها الرفقاء .

وأدار كل منهما رأسه ناحيتي ، وتملكتهما الدهشة برؤيتي .

- زواج سعيد ، أنا شوفت إنى لو ما جتش أهني مش هتكتمل الصلبة .

فقام فرانك غاضباً وتوجه ناحيتي ، فسحبت المسدس وصوبته نحوه :

- ما تقربش ، إنت عارف إن ده مش لعبة ، ده مليان ، يكفي خطوة واحدة بس .

ووقف فرانك مكانه ، ووضع يده في جيب البنطلون ، وتظاهر بالتماسك قائلاً :

- بتعمل إيه هنا ؟

- الواحد ما يتكلمش مع أصدقائه القدامى بالشكل ده ، مش من الأفضل لو قدمت لي فنجان قهوة بدلاً من الاستقبال الحار ده ؟

وكانت كيت ترتعد كالدجاجة ، فوجهت المسدس ناحيتها ، وقلت :
كما تقول أليس ، الدنيا يا ما فيها عجائب يا كيت ، لعلك لا تعرفيني ؟

وتوسط فرانك بيتنا ، وقال : شوف يا أرسلان ، هي ما كنتش تقدر
تجلس تحت رجلك لغاية آخر لحظة في عمرها .

فقلت في عصبية : اخرس يا فرانك ، كان واضح من البداية
بتخططوا لإيه، وعلى أية حال تحملا ذنبيكما .

- طيب إنت زعلان من إيه ؟ كنت تقدر تخط على الباب وتدخل
بدل ما تدخل البيت بدون استئذان أو مقدمات .

- إنت غبي يا فرانك ، وبتتخيل إن أنا كمان غبي ، أخبط على
الباب وأستأذن علشان أقتلكم ؟

فقال فرانك وهو يبتسم من شدة الخوف : إنت ما تعملش كده،
أنا متأكد .

- إنت فاكر إيه ، إني ما عنديش الشجاعة لكده ؟

- الموضوع مش كده ، تعرف ...

- خليك واقف مكانك وإلا أطلقت عليك الرصاص .

وصاحت كيت : إنت عايز إيه منا ؟

قلت مبتسماً : أخيراً تملكك الغضب ! أنا مستعجل أكثر منكم في
إنهاء الأمر .

ثم أبديت غلظة، وتابعت حديثي : أنا النهاردة هاقتلكم الأول وبعدين
أقتل نفسي .

قال فرانك : إنت اتجننت !

قلت : أيوة ، اتجننت ، وأنتم اللي جنتوني ، إذن إنتم كمان
مجانين ، ومن الأفضل نموت إحنا الثلاثة .

- اصبر دقيقة ، إنت بتتكلم عن إيه ؟ أنا حببت كيت ، واقترح
عليها الجواز بعدك ، ودلوقتي إحنا زوج وزوجة ، مش كده يا حبيبتى ؟
وابتسمت كيت له ، وقالت : أيوة ! لكن أنا مش فاهمة ، إيه علاقة
الموضوع ده بيك ؟

فقلت فى استهزاء : لقد خدعتنى بنظرتك دى ، ولكن كان ده لمرة
واحدة ومش لمرات عديدة . إنتم عارفين أنا بتتكلم عن إيه ، وإن كنت
ما قتلتكوش من اللحظة الأولى فده علشان تعرفونى ليه عملتم
كده معايا ؟

فسأل فرانك : أى عمل ؟

- جميل ! كنت أعتقد أن الإنكار صفة النساء بس ، فعلى الأقل
أثبت إنك راجل ولو مرة .

فسأل فرانك وهو يضيق عينيه : بتتكلم عن إيه ؟

فصحت غاضباً : عن سوزان .

فتعجب فرانك وقال : سوزان ؟ سوزان مين ؟ من فضلك ، اتكلم
علشان أعرف إيه الموضوع .

- إنت عارف ، عارف كويس إنها بنتك بالتأكيد كنتم بتضحكوا
على طول المدة دى ، مش كده ؟ ومافاتش وقت طويل وشاركتكم معرفة
أهم سر فى حياتكم .

فقال فرانك فى غضب : ده غباء . سوزان بنتى ؟ إنت مجنون ،
صحيح إنى حببت كيت لكن ماكنش لى علاقة بها أبداً من النوع ده ،
قولى له يا كيت .

- إنتم عارفين كويس إنكم بتتمسكنوا ، لا شك أنكم بتعتقدوا إنى جاهل بأصل الموضوع ، وعلى أية حال " القمر لا يبقى خلف السحاب " ، وكنت هافهم إن أجلاً أم عاجلاً ، ولكن ألى مش قادر أفهمه ليه عملتم كده معايا ، هل ماتت العاطفة فيكما حتى تتخليان بالشكل ده عن بنتكما؟

قالت كيت فى لهجة قاطعة : الطفلة بنتك يا أرسلان .

- بتتكلّمى زى الكلب الكاذب ، إنت فاكرة إنى طفل ؟ لقد تزوجت ثانية خلال الثلاثة أعوام الماضية وعرفت إنى مش هقدر أكون أباً فى أى وقت أبداً.

وتحول نظر فرانك إلى كيت وأمعن النظر إليها ، وكأنه يجهل هذا الموضوع بالفعل ، فقالت : هى لبستك الطاقية إنت كمان ؟

ودون أن يهتم بما قلت ، وجه حديثه إلى كيت : اتكلّمى ، قولى إنه بيكذب.

قلت : إذن واضح إن الست اللعوب دى ماكنتش وفيه لك إنت كمان، جميل.

وجاء فرانك ناحيتى وصاح : كلب قدر ، إنت بتكذب .

فوجهت مسدسى إليه ، فوقف فى مكانه ، ثم أخرجت أحد تقاريرى الطبية من جيبى ، وألقيتها أمامه :

- خذ ، اقرأ ، ده رأى واحد من الدكاترة هنا .

وأشعلت كيت سيجارة ، وجلست فى فتور ، وجلس فرانك فوق المقعد بهدوء بعد إطلاعه على النتيجة، فانتهزت الفرصة ، وقلت :

- جميل جداً ، اعذروني لو كنت أفسدت عليكم سعادتكم القليلة ،
والآن أتوجه إلى أحدكما ، وأخذت كيت نفساً عميقاً من السجارة ،
وقالت : وبعد ما فهمت ! هتعمل إيه معايا ؟

وغضبت من فتورها ، وهجمت عليها ، ووضعت المسدس فوق
رأسها ، وسحبت شعرها للخلف ، وقلت :

- قذرة بلا حياء ، إنت لعبت بشرقي ، ودلوقتي ما عندكيش حاجة
تقوليها؟ قولي لي ، الطفلة دي بنت مين ؟

- إيه الفرق ؟ ففي كل الأحوال هتقتلني !

- نعم هاقتلك ، لكن معاه .

- طالما إنك عرفت كل ده ، فاعرف بقي الباقي .

فسحبت شعرها بقوة ، وقلت : اتكلمى يا عديمة الإحساس ، يكفي
فقط أن أضغط على الزناد .

فقال قرانك متوسلاً : اتكلمى يا كيت .

وكانت كيت ترتعد تحت يدي ، لكنها لم تتفوه بكلمة ، فقررت أن
أقتلها . وفي تلك اللحظة بالضبط بدأ المنزل يهتز ، وسقط المسدس من
يدي ، ولم أتمكن من السيطرة على نفسي ، وصاح قرانك: زلزال ، لقد
وقع زلزال ، يجب أن ننقذ أنفسنا يا كيت .

وجاء ناحية كيت ، ولكن فجأة سقطت الانقاض فوق رأسيهما ،
وكنت أرى سقوط الانقاض حيث وقع بعضها على رأسي ، ولم أفهم
شيئاً بعد ذلك ، وفقدت الوعي .

بالفعل لا أعلم كم من الوقت مضى وأنا فاقد الوعي ، ولكن حينما فتحت عيني ، كان الجو ليلاً ، وكان كل جسدي يؤلنى ، وكان فرائك وكيت ملقيين على الأرض أمامى بجوار بعضهما ، ووضعت رأسى على صدر كل منهما ، فوجدتهما قد فارقا الحياة . كلاهما مات ، دون أن أعلم اسم والد سوزان ، وحينما خرجت من بين الأنقاض بصعوبة ، رأيت الأوضاع على نحو آخر ، فكانت قوات الإغاثة تقدم العون ، وما أن رأونى حتى اندفعوا إلى مستفسرين : أ يوجد شخص آخر بالببيت ؟ وأجبتهم : نعم ، اثنان ، ولكنهما فارقا الحياة .

لم أرغب فى أن أفصح عن شخصيتى ، لذلك تركت الميدان بعد ما ذهبوا لانتشال الجثث . وأوصلت نفسى إلى المدينة يائساً تعيساً وكان نبأ الزلزال قد وصل هناك ، فتوجهت إلى الفندق ، وبمجرد دخولى الحجرة ذهبت إلى الحمام فوراً ، وكنت أحاول النوم . ربما أقول إن الفرصة سانحتنى ، وأن كلا منهما قد نال جزاءه . لقد انتقم الله لى منهما فى اللحظة الأخيرة ، ولم يدع يدي تتلوث بدمائهما ، ولكن بعض مما حدث كان يؤلنى وهو أننى لم أعرف فى النهاية الحقيقة . لا أعلم ، ربما كانت المصلحة فى ذلك ، ولم يعد لى عمل آخر هناك ، لذا ذهبت ثانية لرؤية سوزان من بعيد ، وكانت تجلس فى أحد الأركان ، وتتنظر إلى لعب الأطفال ، كنت أعلم أنها تجلس فى انتظارى ، ولكن ما من فائدة ، فأننا لست أباهما ، وسوف تفهم هذه الحقيقة أجلاً أم عاجلاً ، وبعدت عن المكان وعيناي مفعمة بالدموع وقلبي مملوء بأمنيات السعادة لها ، وكان هذا هو العمل الوحيد الذى أنجزته ، وعدت إلى إيران ، وبعد ذلك بعدة أيام وقع حادث غريب.

الفصل الثالث والثلاثون

بالتأكيد أنتى فعلت الصواب حينما أعدت سوزان إلى بلدها ، فهى مرتبطة بهذا المكان ، فجلدها ولحمها وعروقها وعظامها ملك هذا البلد . وإذا ما ظلت فى إيران فكانت ستعرف الحقيقة فى وقت ما وتنهار ، ولكن هناك يختلف الأمر ! فمثل هذه الأشياء ليست مهمة هناك ، حيث إنها تحدث هناك عدة مرات كل يوم . بالتأكيد أنتى حينما عدت إلى إيران بدونها ، كنت قد تركت نصف وجودى ، وكأنتى لم أجد نفسى ، ولكن لم يكن هناك من حل سوى أن أبعد عن هذه الحقيقة .

ومرة أخرى عدت إلى إيران جاهلاً ، وفى مطار طهران ، استقلت سيارة ، وتوجهت إلى المنزل ، وحينما وصلت إلى هناك ، وضعت المفتاح بحذر فى الباب ، وكان البيت مظلماً ، لم أكن أرغب فى أن أفسد صمت المكان ، لذا توجهت فى هدوء دون صوت إلى السلم ، ولكن قبل أن أضع قدمى على الدرجة الأولى ، فُتح باب منزل أبى ، وظهرت أُمى :

- إنت جيت يا أرسلان ؟

- حاولت إنى ما صحكيش .

- إنت مش أم علشان تعرف إن الأم بتصحى على ريحة ابنها ، وأنا اتعودت أناام كل ليلة بعد ما تيجى .

- إذن أنا تعبتك كثير الأيام دى .

- أنا أصلاً ما كنتش بنام ، إنت كويس ؟

- كالعادة .

ورغبت فى صعود السلم فنادتني ، وكنت أعلم ماذا تريد أن تقول :

- أيوة يا أمى ؟

- إنت ... إنت عملت إيه معاها ؟

- بالتأكيد هى مش معايا ، ما تقلقيش يا أمى ، هى مرتاحة !

فقالت أمى بصوت حزين : أنا شوفتها امبارح فى منامى بتنادى على ، لما صحيت من النوم فضلت لعدة ساعات أشعر وكأنه حقيقة .

وفجأة تذكرت آخر مرة رأيت فيها سوزان ، عندما كانت تجلس فى أحد الأركان منتظرة ، فقلت لأمى فى لطف : إنت كنت مضايقة يا أمى ! دلوقتى اطمنى ، أنا رجعت ، فلتذهبي إذن ولتستريحى .

- مكانها مناسب ؟

- نعم مناسب لها .

- ألم تبك ورايك ؟

- لا ، دى بنت عاقلة ، دى تربية إيدك يا أمى . إنت تعبت كثير علشانها وأنا ممنون ليكى ، أنا تعبان ، بعد إنك هروح أنام .

- وتركت أمى بهذه الحجة ، وصعدت ، لكننى كنت يقظاً طوال الليل .

ومقابلة أبى لم تكن أفضل من أمى ، فقد كان يحب سوزان للغاية. حقاً لقد خلا مكانها فى البيت ، فقد كان يشع صخباً ومرحاً بوجودها ، وكنت أعمل بحبها ، وجميع آمالى كانت تتلخص فى إسعادها ، لكن لم يعد لها وجود ثانية ، لم يعد هناك شخص أسعى لرفاهيته ، والحياة بدون أمل حقاً بلا معنى . كنت أذهب إلى عملى ، لكن مشاعرى كلها كانت فى مكان آخر . أصبحت بلا هدف ، كنت غير قادر على التركيز ،

حتى فى قيادة السيارة ! كنت أجلس خلف عجلة القيادة دون أن أتمكن من السيطرة على حواسى ، لذا فقدت توازنى ذات يوم واصطدمت بسيارة أخرى ، ومن شدة التصادم اصطدم رأسى بشدة فى الزجاج الأمامى ، وانسال الدم منه ، وما كان من السائق إلا أن استهزأ بى قائلاً :

- إنت غرقان فى العشق ولا فى الديون ؟

فقلت له بصوت غاضب ويملائى الحزن من يد الزمان : تقصد إيه ؟

- قصدى واضح .

- احترم نفسك .

فمسك بياقتى ، وأخرجنى من السيارة ، وضربنى ضربة شديدة ، فأردت أن أتعارك معه ، لكن الآخرين منعونى ، فقال السائق المتأذى :

- أنا ضربتك علشان لو كنت نايم تصحى .

فصحت : إنت عايز كام ؟

- وفر فلوسك لنفسك ، واستجمع حواسك ، يا متطفل يا جعان .

قال لى هذا الكلام وغادر المكان ، وتوجهت إلى المنزل بعد أن ضربنى واستخف بى ، واستناعت أمى لرؤيتى، ولطمت على وجهها ، وقالت:

- ربنا يا خدنى ، اتعاركت ؟ .

فقلت وأنا أغسل وجهى : لا ، عملت حادثة .

- اشرح لى ؟ راسك مفتوحة ليه ؟

فقلت متضايقاً : أنا كويس يا أمى ، من فضلك سيبينى لوحدى .
وذهبت أمى إلى حجرتها وهى مترددة ، وصعدت أنا إلى الطابق العلوى .

والآن تؤلنى الذكريات ، فى الحقيقة أحياناً أشعر أن هذا قصاص تلك البنت البريئة الطاهرة ، قصاص جيتى ، لقد ظلمتها ، وأنا أعلم ذلك جيداً .

كنت أخشى من الوحدة ، لا أريد أن أختلى بنفسى وأفكر فى الماضى ، أشعر فى وحدتى وكأن شخصاً ما يقوم بتأنيبى دون توقف ، ويذكرنى بأن السبب فى كل هذه التعاسات هو أنا .

من حماقة أن يدمر شخص أساس حياته بنفسه ، ولكنى كنت من حماقة بذلك القدر الذى جعلنى أدمر حياتى عن جهالة ، ووقفت أنظر إلى انهيارها ، وأصبح كل عملى الآن التأمل فى أبواب المنزل وجدرانه القديمة ، والتفكر فى الماضى .

كانت كل هذه الأحداث تتداعى أمامى كشريط سينما أثناء عرضه ، ودمماً كان يتداعى فى ذهنى سؤال كالديالوج :

لم ؟ لم هكذا ؟ لقد انتهى عمرى الآن ، فى خريف هذا العام أكمل السابعة والثلاثين من عمرى ، لم ترتعد يداى ؟ لم أفقد السيطرة على أعصابى من أقل صوت ؟

أحياناً أخشى أن أصاب بالجنون ، فلم يعد هناك فاصل بينى وبينه ، لكننى أضحك بعد ذلك على أفكارى . أتعلمون ما هى مشكلتى ؟ مشكلتى هى أنتى لا أستطيع أن أختلى بنفسى ، وأصدق الماضى ، رغم أننى كنت المؤدى للدور الأول فيه .

كنت أستاذ من الليل ، ولكننى كنت مضطراً لأن أمكث فى المنزل حتى الغروب هروباً من كلام الناس ، وبعد أن يحل الظلام أخرج من المنزل، وأبى ، على الرغم من شيخوخته ، إلا أنه كان يحتفظ بحميته القديمة، فهو يتوكأ فى قوة على عصاه ويقول فى لهجة حادة : ولدى ، خليك راجل ، ابتلع الغم والحزن ، وانتظر اللى جاي، من العار علينا إذا ما لزم رجالنا الدار بسبب المشاكل .

كنت أشك فى الجميع ، وأعتقد أن الجميع يخونوننى ، لا أستطيع أن أثق فى شخص مرة أخرى ، وبلغ الأمر مداه حتى صار مشكلة لدى.

أشعر أننى كائن بلا هوية ، وهذا ما جعلنى أشعر بالكهولة. لقد مررت بتجارب مريرة ، كان لابد وأن تجعلنى كالقولاذ المصقول ، لكن على الرغم من خوفى ، أريد أن أبقى بمفردى ، لا أرغب فى أن أفسح الطريق ثانية لأى شخص إلى خلوة قلبى، لقد دفنت قلبى فى هذه الأرض الغريبة وعدت. تريدون الحق أحب أن يمنحنى الجميع الحق ، ولكن ما الفائدة ؟ فالماضى قد ولى ، ولا يثير تذكرك سوى الحزن والأسى، لقد ذهب شبابى أدراج الرياح ، لقد ضحيت بسعادتي وفرصتي وبكل شىء من أجل غرورى ، والآن أقف أمام النصر مغلوباً مهزوماً خالى الوفاض ، وهو يضحك على ما أسعد ذلك القلب الذى يخفق بالعشق . تقول أُمى: إن العشق ينظم حياة الرجل، فحينما يعلم أن ثمة شخصاً قلقاً من أجله فى المنزل ، يترقب مجيئة ، يتسم سلوكه وحياته بالاستقامة .

ولكن ما من شخص ينتظرنى فى المنزل ، ما من شخص يترقب من النافذة مجيئى بعين قلقة . حينما يمضى من الليل نصفه، أضع المفتاح

فى الباب وأدخل الفناء ، أواجه مبنى صامتاً مظلماً ، ويظهر بناؤه القديم
بتلك النوافذ الزجاجية كأنه غول مرعب . إلهى لى تمنحنى الصبر العظيم
حتى أتمكن من تحمل نظرات الناس الثقيلة ، ولا أسمع حديثهم ، أنت
تعلم أنه لا ذنب لى فى كل هذه الأحداث ، أنت تعلم ، أنت فقط !

الفصل الرابع والثلاثون

كان أرسلان يعمل على سيارته ، لأنه لم يعد يستطيع أن يعمل عند والده في حضور بعض الفضوليين ، فدوماً كانوا يتسائلون بأسئلة لا ردود لها ، وكانوا أحياناً يطرحونها بأعينهم دون الاهتمام بمشاعر الطرف الآخر. كان دوماً يتأذى من فضول من حوله ، ولكن الآخرين لم يكفوا ، حتى أصدقائه القدامى . وبناءً عليه كان يعمل بمفرده ولنفسه ، وكان هذا الأمر يحلوا له ؛ لأنه يتعامل مع أناس غرباء لا يعرفهم ولا يعرفونه .

كان يخرج من المنزل قبل شروق الشمس ، ويعود إليه والليل قد قارب على الانتهاء ؛ لأنه لم تكن لديه القدرة أو الطاقة للجلوس مع الآخرين للثرثرة والحديث معهم ، حتى إنه كان يمتنع عن الذهاب إلى الحفلات أو الضيافات التي توجه إليه ، وهكذا كان يبدو أن ما من شيء أهم من عمله لديه.

وفي أحد أيام الربيع وقع أهم حدث في حياته ، فكالعادة ، وقف أمام الركاب ، وطوى مسافة حتى وصل إلى مفترق طرق وتوقف لأن الإشارة كانت حمراء ، فترجع إلى الخلف برأسه على المقعد ونظر في المرأة على من خلفه ، وتسمر مكانه ، ولم يثق فيما رأيته عيناه ، وأخذ يمعن النظر ، حتى أيقن بنظره أنها جيتى ، زوجته الأولى ! لم تكن لديه الشجاعة ليلتفت إلى الخلف ، وكانت جيتى تنظر إلى الخارج، فقال لنفسه : كم ألم بها الحزن . ثمة تجعيدة تحت عينيها، لا بد وأنها بلغت من العمر خمساً وثلاثين سنة أو أقل ، كم بهتت لمعة عينيها، لا بد وأن

لديها الآن طفلاً أو طفلين متقاربين في السن ، وجهها لا يعبر عن شيء ،
ولكن أياً ما كان لابد وأنها أسعد حالاً من ذلك الزمان .

وأضاعت الإشارة الخضراء ، وأخذت السيارات في الخلف تطلق
آلات التنبيه ، وقال له أحد العابرين المجاورين : ما تمشى يا سيد ، فين
حواسك ؟

وانتبه أرسلان ، وسلك طريقه ، لكن مشاعره توجهت إلى الماضي ،
إلى تلك الفترة التي كان يبلغ فيها الحادية والعشرين أو الثانية
والعشرين من عمره ، إلى فترة حياته مع جيتى ، وتماسك وقال لنفسه :
إلهى ، أنا قداء عظمتك ، ألا تخلصنا؟ أيجب على أن أتعذب حتى آخر
العمر؟ وكان منهمكاً في التفكير حينما قالت له جيتى : من فضلك
يا سيد ، عايزة أنزل هنا .

فقال أرسلان في نفسه : الحمد لله أنها لم تعرفنى ، لذلك توقف
دون أن يلتفت إليها ، ونزلت جيتى ، وقدمت إليه الأجرة من النافذة
الأمامية ، وأعاد إليها الباقي بيد مرتعدة دون أن ينظر إلى وجهها ، ثم
سلك طريقه وهو ينظر إلى الخلف من المرأة ، ورأها تدخل أحد المحال ،
وقال أحد الركاب بجواره : ياسيد ، ليه ماشى بالراحة كده ؟ هو احنا
ماشيين على رجلىنا ؟

فقال أرسلان معاتباً : لا ، لا يا سيدى ، عفواً .

- احنا مستعجلين يا سيدى .

- على عينى .

وثانية أخذ سرعته ، ولكن كان فكره مشغولاً : إذن هى موظفة ،
تعمل فى هذا المحل ، لقد كانت تحب العمل من البداية ، لا شك أن

زوجها لا يعارض عملها ، ولكن كم من الوقت مضى ؟ وكم من خصلة
شعر فى رأسها قد أصابها الشيب ؟ كنا نستطيع أن نعيش سوياً لو لم
أتصرف بحماقة ، لقد ظلمتها ، وتعاملت معها بقسوة ، وأسأت
الاستفادة من حبها لى ، ربما أننى أدفع ثمن ما فعلت ، لا شك أنها
تأذت جداً بسببى ، لقد مضى على ذلك أربعة عشر عاماً .

فى ذلك اليوم عاد أرسلان إلى المنزل قبل الغروب ، وما أن رآته
زينت حتى قالت فى دهشة :

– إنت جيت البيت النهاردة بدرى عن أى يوم تانى !

فقال أرسلان وهو يبدى رغبته فى تناول الطعام : أنت مضايقة ؟
فقالت زينت وهى سعيدة لسعادة ابنها : لا يا حبيب أمك ، أنا
كويسة ، أقول فقط إنك رجعت بدرى الليلة ، أنتتاول العشاء معى ؟
قال أرسلان فى سعادة : ليه ما كلش يا أمى ؟ عايزانى أعمل
حاجة معاكى؟

فقالت زينت وهى سعيدة : الشكر لله .

فقال أرسلان : ليه ؟

قالت زينت : لأنك بتضحك تانى بعد كام شهر ، وصرت سعيداً مرة
أخرى .

وأبدى أرسلان رغبته فى الطعام ثانية ، وخرج من المطبخ ليبدل
ملابسه، ثم عاد إلى المطبخ، وسأل زينت : فيه حاجة ممكن أساعدك
فيها؟

فوضعت زينت صينية الأرز أمامه ، وقالت فى لطف : لو تقدر
نظف ده.

فسحب أرسلان الصينية أمامه ، وانشغل فى تنقية الأرز وهو
يصفر، ولم يكن يدري هو نفسه لم كان سعيداً إلى هذا الحد ؟
وما كان يعلمه فقط هو أنه يجب أن يكون سعيداً . كان يرغب
بشدة فى السؤال عن جيتى ، لذا بدأ الحديث على النحو التالى :

- أمى ، إيه أخبار الست شكوه ؟

سألت زينت فى دهشة : الست شكوه ؟!

- أيوه ، هى ..

- آه ، تقصد أسرة جارنا السيد صداقت ؟

فقال أرسلان وهو يحاول التظاهر بالفتور : أيوه.

- ليه جت على بالك دلوقتى ؟

فقال أرسلان فى ارتباك : أصل .. أصل النهاردة شوفتها فى
الشارع .

- بالتأكد إنت غلطان .

- ليه ؟

- لأن المسكينة دى ماتت من زمان .

فتحرك أرسلان من مكانه ، وسألها : إزاي ؟

- تعرضت للسكتة القلبية .

- الله يرحمها ، وما حال بيتها ؟

- لا شىء ، أطفالها يستفيدون من مال الوقف للدراسة .

- ولسه السيد صداقت عايش فى المنزل ؟

- أيوه يا حبيب أمك .
- ليه ما قولتيش لى الكلام ده ؟
- من غير سبب يا حبيبي .
- أمى ، حبيبتى ، ليه زعلتى ؟
- وإيه فائدة الكلام ؟ لقد مرت عدة أعوام .
- إيه اللى حصل ؟ هو لسه قاطع علاقته بأبى لغاية دلوقتى ؟
- مفيش غير مشكلتك معاهم ، فالنتين أصدقاء من زمان ،
وحصلت بينهما جفوة ، وحاول البعض الصلح بينهما لكن صداقت
موافقش ، وحزن أرسالن مرة أخرى ، وعلى الرغم من ذلك فقد سأل
أمه: وماذا عن جيتى ؟ لازم اتجوزت؟
- ما عرفش بالضبط ، لكن من كام سنة .. حوالى سنتين ، شوفت
واحدة من جاراتها وأخبرتني إنها لسه ما تجوزتش .
- طيب وبتعمل إيه دلوقتى ؟
- أعتقد إنها بتشتغل ، بالتأكد تقدم لها خطاب كتير ، لكنى
ما عرفش ليه ما تجوزتش ؟
- على حد قواك : كل واحد بياخد نصيبه .
- لكن يا حبيبي كثير من الأحداث تتعلق بالبشر .
- وقسام أرسالن من مكانه ، وعزم على الخروج ، فسألته زينت :
رايح فين ؟
- فقال أرسالن : أنا راجع يا أمى .

- والعشا ؟

- أنا راجع ، هلف شوية .

- إنت بتلف من الصبح لحد المساء ، خليك يوم واحد على الأقل
علشان أشبع منك .

فقال أرسالن وهو يبتسم : بعدين يا أمى ، مع السلامة .

ونظرت زينت فى حيرة إلى خروجه وقالت : الولد اتجنن ، يضحك ،
يرتبك ، يصفر ، يصمت ، احفظه يا إلهى .

وسار أرسالن مترجلاً ، ولم يكن يعلم مقصده ، كان يريد فقط أن
يتنفس هواءً تظليفاً ، ولم تذهب عن عينه صورة جيتى ولو للحظة ، فقال
فى نفسه : أقسم أنها لم تضحك ضحكة واحدة منذ ذلك الحين وحتى
الآن ، والسبب فى ذلك كله هو أنا ، فقد ظلمتها أكثر من أى شخص
آخر . لقد ضحيت بها حتى أصل إلى ماربى . حقاً ماذا يكون حالى إذا
ما تصرف شخص معى بمثل هذا التصرف ؟ ليتنى أراها مرة أخرى ،
وأتوسل إليها كى تسامحنى . أقول لها إننى لا أزال أدفع ثمن ذنبى
حتى الآن . أقول لها أن تدعو الله من أجلى .

وجلس أرسالن فوق أحد المقاعد الباردة فى الحديقة ، وأخذ ينظر
إلى لعب الأطفال ، ويفكر :

ليتنى لم أكن أكثر من طفل بلا مسئولية ولا مشاغل ، ماذا يعلم
هؤلاء عن مصائب الزمان ؟ ماذا يعلمون عن الحزن والأسى ؟ يمكنهم
إسعاد أنفسهم بكرة بلاستيكية ، لا ينتظرون شيئاً من أى شخص

ولا أى شخص ينتظر منهم شيئاً ، تصرفاتهم وأفعالهم ليست تحت
المنظار، الجميع يعلم أن تصرفاتهم تتم دون هدف أو غرض ؛ لذا
لا ينتقدونهم .

وفجأة تذكر أرسلان سوزان ، وماذا تفعله الآن ؟ ولكنه صرف فكره
عنها ؛ لأنه لم يرد قط أن يفكر فيها بشكل جدى ، وقال لنفسه : لقد
كانت بالنسبة لى مجرد أسطورة ، حلم .

الفصل الخامس والثلاثون

منذ ذلك الحين صار شغل أرسلان الشاغل هو الوقوف أمام المحل وتفحص باب الدخول إليه، وقد جاء عدة مرات وراقب ذهاب وإياب جيتى، لكن لم تكن لديه الجرأة على الحديث معها ، لم يكن يستطيع أن يتصور رد فعلها ، على الرغم من أنه كان يرى فى نفسه القدرة على تحمل مواجهتها، إلا أنه كان يعطيها الحق فى أى رد فعل !

كثيراً ما صرخ ضميره فيه : امشى ، ليه واقف هنا ؟ ليه ما تسيبهاش فى حالها ؟

ولكن فى كل مرة لم يستطع أن يتحرك ، وكأنه عديم السيطرة على يديه وقدميه . كان يسير وراءها حتى أول حيها ، ثم يبعد ويعود إلى البيت، وفى النهاية فاض به الكيل ذات يوم ، ووقف بسيارته أمامها ، وركبت جيتى ، وطوى مسافة قصيرة ، ثم رفع النظارة الغامقة من على عينيه ، وقال بهدوء : جيتى ؟

فنظرت جيتى إلى مرآته ، ولكن كأنها لم تتعرف عليه ، وسألته فى دهشة : إنت مين ؟ فابتسم أرسلان ابتسامة حزينة وقال : ليكى الحق فى إنك متعرفنيش، فقد نسانى العالم كله ، فلم لا تنسينى أنت ؟!

وتعرفت جيتى على أرسلان من نبرة صوته، فارتعد جسدها كله، ووضعت يدها على قممها حتى لا يصدر عنها صوت يدل على شدة حيرتها ، وحاولت أن تتمالك نفسها ، وحينما تمكنت من التغلب على خوفها، قالت بلهجة حادة :

- قف هنا .

- جيتى ..

- قلت لك قف هنا وإلا هصرخ.

- أرجوك ، اسمعنى .

- قف ، مفيش بينا كلام . أنت فى الأصل ميت بالنسبة لى .

وتوقف أرسلان فى جانب الشارع ، ونزلت جيتى بسرعة ، ومشيت ، لكن قدميها كانت لا تزال ترتعد من الغضب وعدم الأمان ، وهذا ما كان يبدو فى خطواتها أثناء سيرها . وبعد عدة خطوات لم تتمكن من السير ، لذا جلست فوق الرصيف ، وتقدم أرسلان بسيارته ، ثم نزل ، واقترب منها ، وكانت جيتى تضع رأسها بين يديها :

- جيتى .

فقالت جيتى فى بغض ونفور : لو سمحت ، ابعد وما تتكلمش معايا بحرف واحد ، ومن الأصل إزاي تتجراً وتكلمنى ؟

وطأطأ أرسلان برأسه وقال فى هدوء : خلىنى أوصلك ، وأوعدك إنى مش هكلمك .

فقالت جيتى فى غضب : مفيش داعى ، سيبنى لوحدى ، أنا كويسة ، كنت قد أسعدت قلبى ؛ لأننى دفنت نفسى بالحيا فى هذا المحل بعيداً عن عيون معارفى ، ياريتنى كنت أعرف مين اللى قال لك على مكانى .

فقال أرسلان فى هدوء : أنا عثرت عليك بالصدفة .

قالت جيتى : ودلوقتى سيبنى بالصدفة ، أنا ما حبش الناس ياخدوا بالهم منا .

وتركها أرسلان حزيناً مهموماً ، وتوجه إلى سيارته ، وأخذ يتأملها لدقائق ، ثم سلك طريقه وكانت جملة بعينها تتكرر في ذهنه دون توقف :
إنت ميت بالنسبة لى ! إنت ميت بالنسبة لى !

فكر أرسلان : لازم أديها الحق : فقد أصيبت بصدمة شديدة منى ، مش لازم أياأس ، هروح لها وأقول لها تسامحنى ، فقد خسرت دنياى : فعلى الأقل أحافظ على آخرتى .

وداوم أرسلان الوقوف أمام المحل لعدة أيام ، ولا شك أن جيتى كانت تعلم بوجوده ، ثم كان يتبعها بعد ذلك حتى تقترب من منزلها . وهذا ما كان يقلق جيتى ، فكانت تفكر فى كرامتها وكرامة أسرتها ، وتخشى أن يتعرف أحد على أرسلان ، والأهم من هذا كله لو شاهدته أبوها أو أخوها سينشب بينهما شجار .

وظلت لعدة أيام لا تبالى به ، ولكن من فرط قلقها ذهبت إليه فى نهاية الأسبوع . وفى ذلك اليوم كان أرسلان يقف أمام المحل بسيارته ، فطرقت زجاج السيارة بعملة النقود بهدوء ، ففتح أرسلان الزجاج بمجرد رؤيته لها ، وقال وهو يحاول إخفاء سعادته : السلام عليك .

فقالت جيتى متبرمة : بتعمل إيه هنا ؟

فقال أرسلان فى فتور : أنا مضايقتك ؟

قالت جيتى فى ضيق : إنت عارف .

- ولكنى ما تخيلتش كده ، فالشارع مكان عام .

- طيب ليه بتمشى ورايا ؟ أنت خلتهم يشاوروا على ، لازم تعرف إن سمعتى كويسة فى المحل ده ، فأنا أعمل هنا من اتناشر سنة ، ومش عايزاهم يتكلموا على من ورا ظهري بسببك .

- حسناً ، إذن ليـه مش موافقة على إنك تسمعى كلامى ؟
فبالطريقة دى هتخلصى من شرى بسرعة.

- إنت عايز ثمن علشان تخفف من ظلك فى حياتى ؟
فرفع أرسلان كتفه ، وقال فى فتور : نعم فى الظروف اللى أنا فيها
أعمل كده .

- إنت مش عارف لو أبى وأخى عرفوا إنك بتضايقنى هيعملوا إيه؟
- أنا الذى أقوم بهذا العمل وفكرت فى جميع جوانبه ، أنا مش
خايف منهم ، وخليكى عارفة ، طول ما أنتِ مش موافقة تسمعى كلامى
أنا هعمل كده كل يوم .

وتابعت حديثى بنبرة توسل : أرجوك .
وعضت جيتى شفتيها بأسنانها ، وبعد انتظار لفترة قصيرة ،
قالت : روح الحارة اللى ورا المحل ، وأنا جاية هناك ، قال أرسلان فى
سعادة : سأفعل، وبعدما قالت جيتى هذه الجملة دخلت المحل ، ثم توجه
أرسلان إلى المكان المحدد .

فتح أرسلان الباب الأمامى ، لكن جيتى ركبت فى الخلف، وبعدما
سلكا الطريق ، سألها أرسلان : نروح فين ؟

قالت جيتى فى فتور وهى تنتظر إلى الخارج : أنا ما جتش علشان
أتفصح، علشان كده المكان مش مهم بالنسبة لى ، أنا عايزة بس تتكلم
بسرعة وتخلصنى .

ولم يستأ أرسلان من فتور كلامها ، على الرغم من أن جيتى كانت
تقصد ذلك ، وأثناء الطريق ظل كليهما صامتا ، وكسر هذا الصمت
صوت الموسيقى ، فكان المغنى يترنم بهذا الشعر:

- يا من عينيك البراقة
- سلبت ظلال الغم
- إن قلبك أقام مثل هذا المأتم
- بسبب رحلى .
- وبعدي تمضى يا ملاكى
- مضطرباً ، حتى
- تصنع من صمتك
- قصتى وأسطورتى .
- إن ذكرى أيام الوصال والفراق
- تجعل عينيك تبكى بغزارة أكثر من المطر .
- انثرى دمع الحسرة
- اكسرى باب العهد
- ما جدوى البكاء ثانية
- وبيننا استقر البحر ؟!

كان أرسلان ينظر إلى جيتى عبر المرآة أثناء القيادة ، وكانت عيناها تدمع برفق متأثرة بهذا الشعر ، فأغلق الشريط بهدوء ، فلم تكن لديه المقدرة على رؤية بكائها ، ووقف أمام إحدى الكافيتريات فى الطريق العمومى، والتفت إلى الخلف ، وسألها : تقبلى نتكلم مع بعض هنا ؟

ونزلت جيئى من السيارة دون أن تتحدث بكلمة ، ودخل كلاهما الكافيتريا ، وبعدما جلسا فى وضع متقابل ، تقدم شاب لمعرفة طلباتهما ، فسألها أرسلان : تحبى تاخذى إيه ؟

قالت جيئى وهى تخرج قرصاً من حقيبتها : من فضلك كوب ماء .

قال أرسلان : احضر فنجانى قهوة باللبن والماء .

وبعد عدة دقائق أحضر القهوة باللبن والماء ، ووضع أرسلان فنجاناً أمام جيئى ، ونظر إليها ، ودون أن تنتظر إليه أخرجت جيئى القرص من الورقة ، وتناولته مع جرعة ماء ؛ فسألها أرسلان : ليه خدتى القرص ده؟

قالت جيئى فى فتور : علشان الصدا ع .

- جالك الصدا ع ده قبل كده ؟

- أنا بأعانى من صدا ع نصفى من اتناشر سنة .

- أنا أسف .

- لا عليك ، أنا اتعودت عليه ، إنت مش عايز تتكلم ؟

ووضع أرسلان قليلاً من السكر فى فنجانه ، وأخذ يقلبه ، وتراجعت جيئى للخلف فى قلق ، فكر أرسلان : كنت أعتقد أن الحديث سهل مع جيئى ، لكننى تسمرت فى مكانى من صلابتها وتماسكها ، ولكن على أية حال لازم أتكلم ، وجمع كل ما لديه من قوة وبدأ الحديث :

- أشكرك لقبولك الإصغاء إلى حديثى .

فقلت جيتي في فتور : مفيش داعي للشكر ، أنا عملت كده
علشانى أنا ، هناك في المحل بيعتبروني فتاة مطلقة مقدرش أعرفك
عليهم .

- يعنى هذا أن حضوري اليومى كان بيضايقك ؟!

صمتت جيتي ، واعتبر أرسالن صمتها بمثابة تصديق على كلامه ،
فداوم الحديث :

- نعم ، إنتِ معاكى حق ، أنا أسأت إليك .

- بس أسأت إلی !

- أيوة ، أنا عارف إنى ظلمتك .

- لقد سلبتني كرامتى ، وأذيت نفسيتى كثيراً ، وكنت سبباً فى أن
أنظر لكل رجال العالم على أنهم مخادعون ، أنا جيت بيتك تحدونى
الآمال والأمانى لكك ..

وهنا قطعت حديثها ، فقال أرسالن بلطف : كملی ، أنا سامعك ، أنا
هنا علشان كده.

- لا أتخيل إنك تعبت نفسك فى الأيام دى علشان تسمع
شكواى بس.

- بالفعل هو كده ! أنا مذنب ، وأنا عارف كده .

قالت جيتي فى ابتسامة تملؤها الغصة : بتقول الكلام ده دلوقتى؟
فايدته إيه؟ لو كنت قلت الكلام ده من عشرة أعوام لاسترحت ، لكن
دلوقتى ..

- أنا مش عايز أطول عليك ، لكنى تركت جهنم ورأى ، ووصلت إلى النتيجة دى وهى الندم على نفسى .

- تعتقد إنى كنت فى جنة النعيم طول الأعوام دى ؟ كان كل يوم فى حياتى نار جهنم بسبب أسئلة الناس المبهمة . من كان يصدق أن طلاقى تم بعد عامين بدون سبب ؟ أى دليل كان يمكن أن أقدمه ؟

- كنت تقولى إن زوجى كان مجنوناً .

فقلت جيتى فى سخرية : كم تقدم من تنازلات ، أنا مقدرش ما صرحكش ، إنت اتبدلت ، بقيت راجل ، اتغيرت ، أنا اتعجبت لما شوفتك ؛ لأنى سمعت إنك سافرت أوربا بعد انفصالنا بكام سنة .

- عندك الأخبار ناقصة ولأ كاملة ؟

- اللى عندى عرفته من أبى ، إنت عارف إن المسافة بينه وبين أبىك كام محل فقط .

- وكيف حال قيصر الكبير ؟

- أبى ؟ ده عجز من حزنه على . تعرف إنه كان بيتحسر وزعلان عليك؟

وتنهذ أرسلان ، وقال وهو يتذكر ذكريات الماضى المرة : أيوه أصدق .

- أنا جادة فى كلامى .

- وأنا كمان ، لو كنت شوفت فى حياتى سعادة فهى مرتبطة بس بالسنتين اللى عشتها معاكى .

- بتقول إيه ؟ إنت انفصلت غنى علشان حياة أفضل ، أمل ألا تفهم كلامى على أنه نوع من التطفل على حياتك الخاصة .

نكس أرسلان رأسه، وقال : لا ، ميفكرش كده إطلاقاً ، بالعكس ، أنا سعيد لأنك سألتني . لقد كنت قنوعة جداً ، لكنني كنت متطلعاً للغاية، ونهاية الأنانية والتطلع كان سوء الحظ : أنا اتعذبت كثير لغاية ما وصلت في النهاية للنتيجة دي وهي إني ملعون، أنا مش مستنى تسامحيني ، لكني عايز بس تعبري أخطائي رعونة شباب وجهل مني .

- يعني إنت اتصرفت في الأعوام دي بحكمة وعقل ؟

فانتظر أرسلان قليلاً ، ثم قال : لا بالقطع .

- إذن إزاي تنتظر مني إني أتغاضى عن أخطائك تحت مسمى صغر السن ؟ في رأيي إنك ماخدتش حياتك بشكل جدى أبداً ، ولم تتحمل مثلما تحملت أنا من الآلام .

قال أرسلان معترضاً : منين عرفتي ؟ ده مش إنصاف إنك تتكلمى عنى كده، أوافق على أنني قسوت عليك ، لكنني قسوت أكثر على نفسي، لقد تحملت من العذاب ما يخضع أقوى رجال العالم .

- ودلوقتي عايز مني إيه ؟

ونظر أرسلان بكل إخلاص إلى عيني جييتى وقال بصديق : سامحيني ، فأنا مسكين، تحملت كثيراً من العذاب ، لو تسمعى قصة حياتي ، لاحترق قلبك من أجلى .

- ولو تسمع أنت قصتي ، هتعمل إيه ؟ قصة فتاة تيسة تحملت العذاب والآلام في مجتمع فضولى . إنت متعرفش إني قضيت العامين التاليين على انفصالي عنك في بكاء دائم ؟ أنا يكييت لدرجة إني ما تخيلش إن أفضع حادث في الدنيا دي يجبرني على البكاء مرة ثانية.

- ليه ما تجوزتيش ؟

- ما حدث قال لك إن الحب الأول له تأثير كبير فى نفسية الإنسان ؟

- لكنك قلت إنك لم تحبينى .

- إنت كنت جوزى ، وكنت ممكن تخلىنى أتنوق طعم الحب ، ولكن كل اللى اتعلمته منك كان الكراهية والعداء.

- أنا حبيتك ، وماكتش فيه فرصة أقول لك كده .

- أه ، أرجوك ما ترجعنيش للماضى .

وانهمرت الدموع من عين جيتى ، وأعطاهما أرسالن منديلاً ، وقال بهلوة :

- أرجوك ، لا تبك ، أنا مش عايز أضايقك.

وجففت جيتى دموعها ، وقالت فى حزن وهى تنظر إلى يديها :

- أنا كبرت ، فى حين كنت أقدر أكون أما وزوجة .

وطأطأ أرسالن رأسه ، وقال : اشكرى الله على إنك ما استمرتيش فى العيشة معايا .

ونظرت جيتى إليه فى حيرة ، وانتظرت ، وأشعل أرسالن سيجارة، وعاد برأسه إلى الخلف، واستمر فى حديثه :

- لإنك لو استمرت معايا لما تمكنت من تحقيق أمنيتك ، كنت متخيل إنك اتجوزت ، فالوقت مش متأخر ، فلك من العمر خمسة وثلاثون عاماً فقط.

- تقصد إيه لما قلت : لما تمكنت من تحقيق أمنيتك ؟

- أنا مقدرش أكون أباً .

فسألت جيتى فى دهشة : بتقول إيه ؟

- أيوه ، هى دى الحقيقة ، أنا روحت بلاد كثيرة ، أنا مصاب بعدم القدرة على الإنجاب .

وكان أرسلان يحاول أن يسيطر على دموعه ، فقالت جيتى فى تأثر:

- أسفة ، أنا ماكنتش أعرف .

- فلتسعدى الآن لأنك لم تعيشى معى .

- على أية حال المسألة دى ما تفرقش معايا ، لانى ما اتجوزتش بعدك .

- ظلمت نفسك .

- إنت بتفكر بشكل طفولى ، إنت تتصور لو إنى كنت عايشة معاك ولم أنجب ، سأطلب الطلاق علشان الأطفال ؟

- زوجتى السابقة عملت كده .

وصممت جيتى ، وعلمت أن مواساة أرسلان لا طائل منها ، ثم وقفت بهدوء ، وكذلك فعل أرسلان ، وسار كلاهما تجاه السيارة ، ولم يتحدثا أثناء الطريق . كان الجواليلأ ، وأوصلها أرسلان حتى أول الشارع الذى تقطن فيه ، وقال أثناء نزولها : أنا تعببك ، أرجوك سامحينى .

- أعتقد إنك إنت اللى اتأملت بتذكرك للماضى ، كل اللى أقدر أقوله توكل على الله فهو لن ينساك .

- لى رجاء عندك.
- إيه هو؟
- حديثك معى أراحنى كثيراً ، فلو تسمحي أجى أشوقك من حين لآخر ، واتكلم معاكى بس .
- نظرت جيئى إليه ، وكان يبدو فى عين أرسلان حاجته إلى الاهتمام، فقالت بصيغة رسمية : من حين لآخر بس !
- فقال أرسلان وهو سعيد : أشكرك .
- ومضت جيئى إلى المنزل ، وظل أرسلان واقفاً حتى دخلت المنزل .

الفصل السادس والثلاثون

ومن بين كل من يعرفهم أرسلان كان يشعر بالراحة فقط مع جيتى، فكان يتحدث معها ساعات وساعات ، وكانت جيتى تصغى فقط ، وكانت مستمعة جيدة لأرسلان ، تنتظر إليه فى هدوء، ولم تتسبب فى أن يشعر بالانكسار قط ، وأقصح أرسلان لها عن حقائق الماضى القبيح منها والجميل ، مع أنه قلما كان يوجد فيها شىء جميل .

تحدث عن علاقته المريضة بكيت ، وثقته الكبيرة فيها ، عن سوزان وحب الجميع لها، عن خوفه من المستقبل ! عن إحساسه بالضيق، عن ندمه بسبب كل ما قام به من أعمال ، وكانت جيتى تمنحه الإحساس بالأمان وتبث فيه الأمل ، وكانت تؤكد له أن عيبه ليس كبيراً لدرجة تجعله يبتعد عن الناس . كانت تقول له إنه لا ينبغى التحسر على ما حدث ويجب التفكير فيما هوأت .

وكان أرسلان يشعر بالدفء ، وكان الوقت الذى يتحدث فيه مع جيتى يمضى بسرعة ، كان أرسلان يحكى لها ذكريات حياته ساعة بساعة، أحياناً كان يلوم نفسه على أنه ضيعها من يده ، لكنه لم يكن يفهم إحساس جيتى ، لم يكن يستطيع أن يراها إنساناً قد لزم نفسه بمساعدته.

وفى الحقيقة كانت جيتى متأثرة بأرسلان ، وكانت تراه طقلاً لا ملاذ له يحتاج إلى الاهتمام والحب . كانت جيتى تعلم أن أرسلان رجل، لكنه وهن ، والآن لم تعد تستاء منه - كما كانت فى السابق - عند تذكرها للماضى . كانت تشعر أن أرسلان يحتاج للمساعدة أكثر منها !

لم تكن ترغب أن تعتاد عليه، لكنها تعودت . كانت تعلم جيداً أن الظروف الراهنة لن تسمح لهما أن يعيشا سوياً مرة أخرى . لقد عازمت أكثر من مرة على الابتعاد عنه، لكنها لم تستطع . كانت تشعر بالمسئولية تجاهه ، لم تكن تستطيع أن تكذب على نفسها ، أنها لا تزال تحب أرسلان .

على أية حال لقد كان زوجها فى يوم ما ، لكن حبها له كان فى وجدانها ، فى أعماق قلبها ، ولم تشعره بذلك ، ولم تكن لديها الجرأة على القيام بذلك ، حتى إنها كانت تهرب هى نفسها من هذه الحقيقة .

من ناحية أخرى لم يستطع أرسلان أن يوضح هذه الحقيقة، لأنه كان يشعر بأنه سيضحي بجيتى فى هذه الحالة ، وسبب آخر كان يجعله جاهلاً بشعور جيتى ، وهو أنها كانت تعامله دوماً بشكل رسمى وبصورة جدية ، ولكن جاء ذلك اليوم بأسرع مما كان يتخيله الاثنان ، ذلك اليوم الذى كانا يجلسان فيه جنباً إلى جنب فى الحديقة ، وينظران إلى الأطفال وهم يلعبون :

- جيتى ، أنا تعبتك كثير لكنك ما اشتكيتش أبداً .

- بتكلم بالضبط زى واحد عايز يقول الوداع .

قال أرسلان : بالضبط ، أعتقد أنتى أسلبك راحتك .

- مفيش مجاملة بينى وبينك ، لو كان الكلام صحيح كنت قلت لك، إلا لو كنت خدت قراراً جديداً .

- أيوه ، هو كده بالضبط !

وكاد قلب جيتى يقف من شدة الخفق ، لكنها لم تفضح نفسها ، وأغلقت عينيها ، وقالت بصوت يرتعد : مبروك .

- ولكنها ما ردتش على لغاية دلوقتى ، مش عايزة تعرفى مين هي؟

- ليه أسأل ؟ دى حاجة تخصك !

ووقفت جيتى وعزمت على الرحيل ، فسحب أرسلان طرف رداؤها ، وأوقفها ، وأخذا ينظران إلى بعضهما ، ثم قال : تتجوزينى ؟

واندهشت جيتى من هذا العرض المفاجئ ، فتابع أرسلان حديثه :

- أرجوك لو كان ردك بالرفض ، ما تتردديش فى إنك تقوليه .

وارتبكت جيتى ، فكرر أرسلان : جيتى ؟ !

فسأله : ده هذار ؟ ولا بتتكلم من قلبك ؟

- قلبى دلوقتى رهن لك ، إنت ما فهمتيش ده ؟ ولكن خلى بالك بقبولك الاقتراح ده هتضحى بنفسك .

- لو كنت مكانى تعمل إيه ؟

فهمس أرسلان : لم أكن مكانك قط .

فانتظرت جيتى قليلاً ، ثم قالت : أنا مش موافقة.

واغتم قلب أرسلان ، واستقر العرق البارد على جبهته ، فضحكت جيتى ، وعادت إليه ، ويبدو على وجهها ملامح التفاهم والقبول ، وقالت لأرسلان فى دهشة :

- إنت أحمق يا أرسلان لأنك اعتقدت إنى هرفض بسبب مشكلتك ، احنا عجزنا ، وليست لدينا فرصة لأن نكون أباً أو أمّاً ، من الأفضل أن نقف بجوار بعضنا ، كل الأطفال دى اللى بتعلب أمامنا ممكن أن يكونوا أطفالاً لنا . احنا دلوقتى فى سن يخلينا مضطرين نعيش معاً ونقتسم وحدتنا .

ونظر أرسلان إلى اتجاه نظرها ، وأذرف آخر قطرات من دمع
الحسرة ، وقال :

- ألقى ببرودة وجودك وخريف غمي بعيداً ، واتكني على كتفي ،
ودعيني أهمس بنغمات الربيع الخضراء في أذنك .

أعلم ، أعلم أنك تنفرين من الخريف ، ولكنني لست خريفاً ،
ولتفصحي لي عن ألامك ، أريد أن أفهمك ، أريد أن أكون أنتِ حتى
لا تنسيني مرة أخرى.

النهاية

القسم الثانى

الدراسة التحليلية
النقدية للرواية

تقديم

تعد الرواية من أصعب الفنون الأدبية على الإطلاق ؛ فالكاتب يسرد الأحداث خلالها دون أن يقيد الزمان ولا المكان ، ودون أن تحده حدود الطول ولا القصر ، كما أنه ليس مقيد اليدين إزاء الوصف والاستطراد وعدد الشخصيات ؛ فهو يستطيع أن يقدم أى عدد من الشخصيات ، وأن يتعدى وحدة الانطباع فيخلق العديد من الانطباعات .

والرواية خصائص خمس اجتمع عليها النقاد ؛ فهي فن أدبي منثور ، خيالية ، يستخدم الكاتب فيها السرد ، تخضع الأحداث فيها لنوع من المنطق أو التسلسل ، تحاول إبراز المعنى الكامن في هذه الأحداث البشرية ودلالاتها (١) .

وقد أثبتت الرواية قدرتها على التكيف والتطوع لمعالجة أى موضوع ؛ لذا نرى منها الرواية العاطفية ، والتاريخية ، والدعائية ، والنفسية ، والاجتماعية ، والأخيرة هي التي تصور المجتمع في مكان محدد ، وزمان محدد عادة ما يكون وطن الكاتب ، وعادة ما يكون الزمان هو الحاضر ، وعادة ما يركز الكاتب على إبراز العلاقات الاجتماعية وتحليلها ابتداء من الأسرة وانتهاء بالمجتمع الكبير الذي يعيش فيه . وتحت هذا الإطار يمكننا أن نضع روايتنا موضع الدراسة ؛ فهي رواية اجتماعية تقع في مائتين واثنين وثمانين صفحة مقسمة إلى ستة وثلاثين فصلاً تعالج فيها الكاتبة إحدى المشاكل الاجتماعية في وطنها إيران وتحديداً طهران ، من خلال قصة أحد الشباب ويدعى أرسلان وفائي (٢) .

(١) محمد عناني (دكتور) : الأدب وفنونه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩١م ، ص ٨١١ .

(٢) مريم جعفرى : فراموشم مكن ، جاب اول ، طهران ١٣٧٨ ش .

عرض القصة :

عادة ما يلجأ الكاتب فى عرض القصة إلى عدة طرق دون أن تحده أية قواعد أو قوانين ؛ فقد يبدأ المؤلف قصته من أول حوادثها ، فيصف نشأة أبطاله وميلاد علاقاتهم ببعضهم ببعض ويتبع ذلك منهجاً زمنياً فى عرض الأحداث ، وقد تبدأ القصة بنهايتها كما يحدث فى القصص البوليسية ، وقد يبدأ المؤلف من فترة خاصة فى حياة الشخصية الرئيسية^(١) وهذا ما بدأت به الكاتبة روايتها ؛ حيث جعلت بطل القصة يتحدث عن نفسه ، ويصف لنا مشاعره وأحاسيسه بدقة متناهية ؛ فهو يشعر بالوحدة وتأنيب الضمير ، ونستشف من البداية حالته النفسية اليائسة دون أن نعلم سبباً لذلك ، ثم يقف بنا ليرجع إلى الوراء ويتذكر الماضى فيما نطلق عليه " الفلاش باك " ، يعود بنا بالأحداث منذ لحظة ولادته ، ويذكرها الواحد تلو الآخر فى ترتيب وتسلسل منطقى تصير به الرواية ذات وحدة عضوية تبدأ بأساس الحكاية ثم تتطور الأحداث وتتأزم حتى تصير إلى نهايتها . ومركز هذه الأحداث يدور حول الشخصية الرئيسية التى تتصل بها عدة شخصيات ثانوية وفكرة عامة ؛ فنجد البطل أرسلان وفائى يمثل الشخصية الرومانتيكية التى تقع ضحية استسلامها لآمالها وتصادم هذه الآمال بالواقع المرير ، وقد صنورت الكاتبة هذه الشخصية تصويراً نفسياً حياً دقيقاً ، ولم تقدم خلال سردها للأحداث أية أحداث خيالية أو غريبة ، إنما قدمت أحداثاً تمثل الواقع الحقيقى ، فتجاوزت بذلك دلالاتها الخاصة بالقصة إلى دلالات إنسانية عامة يمكن أن يشعر بها كل من يمر بموقف مشابه .

(١) محمد غنيمى هلال (دكتور) : النقد الأدبى الحديث ، نهضة مصر للطباعة والنشر، ص ٥١٤ .

الزمن والمكان :

لأبد للحدث من زمن يقع خلاله ، ولأبد للشخص من حيز يتحركون فيه ويتفاعلون معه ويتأثرون به ، وقد يمتد الزمن ليصل إلى سنوات طويلة ، وقد يكون لحظة ، لكنه في الحالتين يدور في فلك زمانين كبيرين هما : الماضي والحاضر (١). وفي روايتنا - موضع الدراسة - نجد أن الزمن قد استغرق سنوات عديدة ، لكننا نلمح أن البدء بالزمن الماضي واسترجاع الأحداث كان ملمحاً فنياً أساسياً في البناء القصصى .

أما عن البيئة المكانية فقد جسدتها الكاتبة في مكانين ، أولهما طهران ، وهي العاصمة الإيرانية . والثاني إنجلترا ، وهي إحدى الدول الأوربية ، ولم يكن الوصف الذاتى للمكان محورياً أساسياً لدى الكاتبة ، لكنها جعلت لكلا المكانين تأثيراً ملموساً في سير الأحداث وتطورها ، وفي تشكيل الحالة النفسية للأشخاص ، ولم يقتصر الأمر على ذلك فقط ، بل امتد إلى تناولها مجموعة القيم المعنوية للناس في كلا المكانين بما تحمله في طبيعتها من معتقدات وأفكار وعادات وتقاليد مؤثرة على تصرفات الشخصيات وموجهة لها . وعلى سبيل المثال نجد أنها في طهران تقدم مثال الأسرة المتماسكة التى تولى للأب احتراماً جماً وللأم قدسية خاصة ؛ فالأم هنا مثال التضحية والطهارة ، كما نلمح أثر العلاقات الطيبة بين الأفراد والتعاون المتبادل بينهم . وعلى النقيض من ذلك ، نلمح في إنجلترا آثار التطلعات المادية والأنانية والخيانة ، وهذا ما ظهر جلياً على لسان صديق أرسلان في إنجلترا ، فهو يحذره من العمل أو التعامل مع هؤلاء الأجانب الذين عدموا القيم والمبادئ قائلاً له : " أنا

(١) محمد قطب عبد العال : الذات والموضوع ، قراءة فى القصة القصيرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٩٤ م ، ص ٣٢ .

ماشوفتش ناس أبداً زى الأوربيين بيعبدوا جنسهم ، أنا اتعاملت معاهم ،
لو حبوا يسلخوا جلدك" (١).

ونتيجة لهذا التباعد والتنافر بين المكانين كثيراً ما نلمح آثار
الصدام بين الثقافتين الشرقية والغربية ، ويظهر هذا بوضوح فى حديث
البطل - أرسلان - إلى زوجته الأوربية - كيت - فنجدته يقول " يا هانم
خلي بالك ، احنا بنقطع رؤوس الحيوانات مش بنصنع قنابل ذرية ،
ونقتل فى الناس ، وأظن اللى بتعملوه أكثر وحشية من اللى بيعملوه
الإيرانيون المؤمنون بعاداتهم وتقاليدهم " (٢) .

ويقول فى موضع آخر : " أنا مستاء منك ومن كل أهل بلدك ،
جميعكم تعيشون فى ترف وخداع ، تضعون الطاقية على رؤوس بعضكم
البعض ، إنتم حتى ما بتواسوش بعضكم فى المأسى ... شعبنا ما
وصلش للفضا لغاية دلوقتى ، ومفيش مقارنة بينهم وبينكم ، إلا أنه
بيملك شىء متقدروش تملكوه رغم كل اللى عندكم من علم واسع ، وهو
القلب والعواطف والحب ، حب لا يتسلل إليه أى خلل تحت تأثير المال ،
مش زيكم تحطوه فى إطار معين " (٣) .

وعلى هذا النحو كانت تبدو آثار الصدام بين الحضارتين ،وقد
تمخضت فى النهاية عن زلزلة للقيم الاجتماعية المتوارثة لدى البطل ،
فنجدته يدفن الخمر ويرتاد صالات اللهو ولعب القمار ، وذلك على أثر
إهمال زوجته له التى لا هم لها سوى الاستمتاع بحياتها بون الأخذ فى
الاعتبار ما عليها من مسئوليات تجاه بيتها وزوجها وابنتها .

(١) فراموشم مكن ، ص ٧٨ .

(٢) فراموشم مكن ، ص ٨٩ .

(٣) فراموشم مكن ، ص ١٦٨ .

كان هذا فيما يتعلق بالبيئة المكانية وتصوير الكاتبة لها وتجسيدها في مجموعة من القيم والمبادئ اتسم بها كل مكان عن الآخر وصار ملمحاً أساسياً له ، ولكن ينبغي أن أشير هنا وقبل الانتقال إلى فكرة أخرى إلى ما يمكن أن نطلق عليه تصوير الجو العام المحيط بالشخصية، والذي يحتاج من الكاتب يوماً أن يكون ذا قريحة ذهنية خاصة تمكنه من إيجاد علاقة ما بين الحالة النفسية للشخصية والجو المحيط بها .

وهذا الجانب يمكن خلقه في العمل المسرحي مثلاً بوضع لمسات خاصة بالديكور وأماكن الإضاءة وما إلى ذلك ، أما في العمل القصصي فهو يحتاج إلى عبارات خاصة ووصف دقيق يستخدم فيه الكاتب خياله الذهني أكثر من أي شيء آخر . وقد أجادت الكاتبة استخدام هذه الحاسة لديها ؛ حيث حرصت في كثير من المواضع على تصوير المناخ العام المحيط بالشخصية ، فعلى سبيل المثال نجدها تقول على لسان البطل أثناء هبوطه مطار لندن : " كان الجو ملبداً بالغيوم ، والناس يسرون وكأن كلاً منهم لا يرى الآخر " (١) .

وتقول أثناء سفره إلى شمال طهران بصحبة ابنته : " كان البحر في ذلك الوقت شديد الأمواج .. كانت الأمواج تتحرك عبر البحر ثم تأتي على الشاطئ وسرعان ما تسحب معها الرمال " (٢) .

وتقول على لسانه أيضاً أثناء استلامه استدعاء المحكمة بعد ما رفعت زوجته الثالثة - ثريا - دعوى الطلاق : " كان جسدي كله يرتعد من الغضب ، وتركتني أمي في هدوء ، وفتحت النافذة في برد الشتاء القارس، كنت أريد أن تحملني الرياح معها ، لكنها أبت ، ومزقت

(١) فراموشم مكن ، ص ٤٠ .

(٢) فراموشم مكن ، ص ١٩٤ .

الاستدعاء ثانية وألقيته من النافذة وسط الرياح والأمطار " (١) ، وبذلك كانت الكاتبة تقدم لنا صورة حية من المكان موقع الحدث بالشكل الذي يثير حاسة التخيل لدى القارئ ، ويوضح الحالة النفسية للشخصية .

الشخصيات :

إن شخصيات كل قصة هي التي تخلق القصة بمجموع أعمالها وأقوالها ، ويجوز أن تكون شخصية البطل ثابتة من بداية القصة إلى نهايتها دون أن يطرأ عليها أى تغيير ، وتظل ذات طراز فكري واحد وحالة نفسية ثابتة ، وهي ما نطلق عليه اسم الشخصية الثابتة أو البسيطة (٢) . ومن الممكن أن يحدث تحول تدريجي أو فجائي في نمط الشخصية نتيجة لتفاعلها مع الأحداث ، أو لوقوع أزمة شديدة حلت بها ، وهنا نطلق عليها اسم الشخصية المتغيرة أو النامية ، وهذه الشخصية تنقسم إلى نمطين : أولهما تكون فيه الشخصية منطقية في أفعالها ، وصفاتها واضحة المعالم والاتجاهات . أما النمط الثانى فتتسم فيه الشخصية بعدم المنطقية والتعقيد ، ويتوافر فيها عنصر التوقع حيناً والمفاجأة حيناً آخر (٣) . وفي روايتنا نجد شخصية البطل تتنامى وفقاً لتطور الأحداث ، فهو في البداية ذلك الطفل المدلل الذى تلبى الأسرة له جميع احتياجاته ؛ فينمو مكتسباً بعض الصفات السلبية كعدم المبالاة

(١) فراموشم مكن ، ص ٢٤٠ .

(٢) سيروس شميسا (دكتور) : انواع ادبي ، تهران ، جاب بنجم ، ١٣٧٦ ش ، ص ١٦٣ .

(٣) محمد غنيمى هلال : النقد الأدبي الحديث ، ص ٥٢٩ : ص ٥٣١ .

بأهمية العمل ، اعتماده التام على والده ، عدم تحمله أية مسئولية مما أفضى في النهاية إلى عدم استمرار زواجه الأول أكثر من عامين ، وعلى أثر ذلك يقرر السفر إلى الخارج على أمل تحقيق طموحاته وأماله التي أخفق في تحقيقها داخل بلده ، إلا أن البداية لم تكن موفقة كما كان يتوقع ، فنجدته ينغمس في ملذات الغرب إلى أن يتزوج من كيت وينجب طفله سوزان ، ومن هنا تبدأ الأحداث في التطور وتتفاقم إلى أن نرى تغييراً ملموساً في شخصية البطل فنراه رجل الأعمال الناجح ، إلا أنه يظل ضعيفاً أمام زوجته الأوربية ، متمسكاً بها رغم كل ما لديها من عيوب جوهريّة . وفي تطور مفاجئ للأحداث وعلى أثر صدمته في زوجته ومعرفته بعدم أبوته لسوزان نراه حيناً في الشخصية المنكسرة ، وحيناً آخر في الشخصية التي تسعى للانتقام ، وبذلك كانت شخصية البطل تتنامى وفقاً لتطور الأحداث، إلا أنها كانت واضحة الجوانب من الناحية الموضوعية ، كما كانت جميع مواقفها لها ما يبررها في محيط القيم الاجتماعية التي تتفاعل معها .

بالإضافة إلى ذلك ، كانت هناك شخصيات أخرى ثانوية أجادت الكاتبة في ربطها جميعاً برباط واحد يوحد اتجاه القصة إلى ما ترنو إليه وتدعم فكرتها الأساسية ، وكان لكل شخصية رسالة معينة تؤديها وفقاً لرؤية الكاتبة ، وتسير في إطار يوضح الحالة المعيشية للبطل ، ويؤثر في كثير من الأحيان على ربود أفعاله وتصرفاته . وقد لجأت الكاتبة في البداية إلى الطريقة التحليلية في وصف الأشخاص ؛ حيث ترسمها من الخارج موضحة حالها وأسلوب حياتها ، وذلك لإعطاء أكبر قدر من المعلومات للقارئ حول هذه الشخصية ، فعلى سبيل المثال يصف البطل والده في بداية القصة قائلاً:

"على الرغم من كونه فى مرحلة الكهولة ، إلا أنه يحتفظ بحميته القديمة ، فهو يتكىء على عصاه فى صلابة ، ويقول فى نبرة يحكم عليها الجد : لتكن رجلاً يا ولدى ، تغلب على همك وحزتك ، وانتظر ما هو سئ، فمن العار علينا أن يلزم رجالنا الدار بسبب كثرة المشاكل " (١) .

فالكاتبة هنا ترسم لنا شخصية الأب ، فقد بلغ مرحلة الشيخوخة إلا أنه لا يزال يحتفظ بقوته وشهامته ، يرفض الخنوع والاستسلام أمام مصاعب الحياة.

وفى موضع آخر يصف أرسلان زوجة أبيه بقوله : " كانت على قدر كبير من الإيمان والعفاف .. شملتني بحبها وحنانها ، وعلى الرغم من عدم توافق أخواتي معها إلا أنها كانت تتسم بالجلد والصبر ، وتتفهم أن مثل هذا من موقفهن أمر طبيعى " (٢) .

وهنا توضح لنا الكاتبة السمات العامة لزوجة الأب التى تولت رعاية الطفل أرسلان ، فكانت له - بما تتمتع به من صفات - نعم الأم والمعين . فى جميع الأزمات .

إلا أننا نجد الكاتبة بعد قليل تنحى الطريقة التحليلية فى وصفها للشخصيات جانباً ، وتترك الشخصية لتعبر عن نفسها وتكشف عن أفكارها من خلال تصرفاتها وأقوالها . ويوجه عام نجحت الكاتبة فى رسم كل شخصية وفقاً للدور المرسوم لها فى القصة ، وبما يتناسب وطبيعتها ، وكان نجاحها أكبر فى رسم شخصية البطل عن طريق إحكام تصوير الخطوط العريضة لشخصيته ثم التغلغل فى نفسه لعرض

(١) فراموشم مكن ، ص ٥ .

(٢) فراموشم مكن ، ص ٦ .

ما يعتمل فى صدره ويدور فى عقله ، وبهذا تمكنت من اكتساب عطف القارئ الوجدانى معه .

الصراع :

إن مجموعة الأحداث المتتالية فى الرواية بشكل متسلسل ومنطقي تقضى فى سيرها - ونتيجة إلى تطورها - إلى خلق ما يسمى بالصراع . وقد يكون هذا الصراع بين شخصين أو بين الإنسان والطبيعة أو بين الإنسان ونفسه (١) .

وفى روايتنا نجد نوعين من هذا الصراع ، أولهما صراع الشخصيات الذى تمثل بين البطل وأبيه تارة وبين البطل وزوجته الأوربية تارة أخرى ؛ فالبطل كان معارضاً دوماً لفكر أبيه وأسلوب مواجهته للأحداث ، يشعر بقسوته عليه ، يرفض الانصياع لأوامره ؛ لذا نستشف فى أحد المواضع مدى عدم التجانس بينهما وعدم اجتماعهما على رأى قط فى قول أرسلان لأمه : " اون كه أبش بامن توى يك جوى نى ره " أى ذلك الذى لا تجرى مياهه معى فى مجرى واحد ، وعليه فقد كان لقاؤهما يعبر دوماً عن اختلاف وجهتى النظر بينهما .

أما الشخصية الثانية التى بلغ الصراع معها ذروته كانت كيت الزوجة الأوربية لأرسلان ؛ فاختلاف العادات والتقاليد والثقافة والفكر خلق بينهما ما يسمى باصطدام الحضارات ، وكان حوارهما معاً ينم

(١) سيروس شميسا : انواع ادبى ، ص ١٦٠ .

دوماً عن وجهات النظر المتضادة ، فأرسلان يحاول جاهداً التمسك بقيمه وأصالته الشرقية ، وكيت تمنحها عاداتها الغربية حرية بلا حدود ، وتعتبر سلوك أرسلان ما هو إلا تخلف فكري بعيد كل البعد عن الحضارة والمدنية الحديثة.

أما النوع الثانى من الصراع ، والذي يعتبر من وجهة نظرى أشد وأعماق تأثيراً فى روايتنا ، هو ذلك الصراع الذى كان يدور بين البطل ونفسه ؛ فرغم معارضته لوالده إلا أنه كان يشعر فى قرارة نفسه أن الوالد على صواب ، وقد تخلى فى بلاد الغرب عن قيمه وأخلاقه الشرقية بعض الوقت ، فارتاد صالات القمار ، واحتسى الخمر ، وسأير زوجته فى حضور الحفلات ، إلا أنه كان يلوم نفسه كلما اختلى بها ، ويشعر أنه حاد عن جادة الصواب ، وبعد مفاجأته بالصدمة التى كادت أن تعصف به وهى اكتشافه خيانة زوجته له مع أقرب أصدقائه ، وأن سوزان ليست ابنته ، نجده لا يلقى باللوم إلا على نفسه فقط بسبب ثقته العمياء التى منحها لمن حوله وعدم تربيته فى اختيار الزوجة المناسبة ، فقد كانت المسافة بينه وبين كيت كالمسافة التى بين الأرض والسماء على حد قوله ، وعليه فتحن تلاحظ دوماً انفراد البطل بنفسه وتأنيبه لها على ما تم من أحداث ، موضحاً أن المتسبب الأول والرئيسى فى أية كارثة حلت به هو أرسلان نفسه وليس أى شخص آخر.

اللغة :

اللغة هى الأداة التى يصوغ بها الكاتب أفكاره ، ويجسد بها أحداث قصته ، وإذا ما تحدثنا عن اللغة فى الفن القصصى فسنجد أن

الأمر أكثر صعوبة من الحديث عنها فى الشعر مثلاً أو فى المسرح ، فاللغة فيهما ذات طبيعة واحدة يعبر بها الناظم أو الكاتب عن ذاته ، لكن الأمر مختلف فى القصة ؛ حيث يحاول الكاتب أن يوهم القارئ - فنياً - بأنه يقدم له شريحة حية من الحياة الواقعية لشخصيات بعينها فى زمان ومكان محددين ، والكاتب مطالب هنا بأن يكون أميناً حين يجعل أبطاله يتكلمون ؛ لأن لغتهم يجب أن تعبر عن الواقع الخاص الذى يعيشون - فنياً - فى إطاره (١) . فضلاً عن ذلك فإن اللغة فى القصة ليست ذات مستوى واحد ، بل ذات مستويين مختلفين هما السرد والحوار ، وقد اعتمدت الكاتبة على أسلوب السرد المباشر مستخدمة صيغة المتكلم رغم عدم كونها فرداً من أفراد القصة ، ولعلها رغبت من وراء ذلك أن تخلق جواً من الألفة والصدق بين القارئ وبين شخصية البطل ، إلى حد جعلها تلجأ فى بعض المواضع إلى توجيه البطل خطابه للقارئ فى عبارات مباشرة ، مثل :

أتعلمون ما هى مشكلتى ؟!

أتريدون الحقيقة ؟!

لعلكم لا تصدقون!

أصدقكم القول .

إلا أننا نجدها فى نهاية القصة ، وتحديداً فى الفصول الثلاثة الأخيرة تستخدم ضمير الغائب ، ولعلها عمدت إلى ذلك كى تتمكن من تحليل شخصيات القصة والنفاذ إلى أعماقها وتحليل تصرفاتها وردود

(١) طه وادى (دكتور) : لغة الفن القصصى ، مجلة القصة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد ٧٨ ، سنة ١٩٩٤ م ، ص ٢٣ ، ص ٢٤ .

أفعالها وما يجرى بينها من صراع بحرية تامة . وقد سار أسلوب السرد لديها بإيقاع يتناسب وتطور الأحداث داخل القصة .

بالإضافة إلى ذلك ، لجأت الكاتبة كثيراً إلى استخدام الحوار كي تعبر به عما تفكر فيه كل شخصية داخل عملها الأدبي ، وقد أجادت في استخدامهما بما يساهم في تطور الأحداث وكشف جوانب من شخصياتها ، وجعلت الحوار يتناسب ووضع الشخصية الثقافية والاجتماعية والفكرية ، فحين يتحدث الأب - وفائي - نلمح الشخصية الجادة الصارمة الحكيمة في جميع تصرفاتها وأفعالها ، فنراه يقول لابنه بعد تجربة الطلاق الأولى :

" لتكن رجلاً ، ولتأخذ درساً من كل مشكلة ، ارفع رأسك ، لا تدع إحساس الضعف يتغلب عليك ، إن دمي يجرى في عروقتك ، أنت وفائي ، وكل وفائي لا يملكه الخوف مثلك ، اتسم بالشهامة ، وعوض ما فاتك ، إنني أريد خلفاً لي ، لا أريد ابن أمه ، امض الآن ، امض وفكر ملياً ، وحينما تصل إلى نتيجة أسرع بالمجيء إليّ " (١) .

وحين تتحدث الأم نلمح صورة الأم في أسمى أشكالها ، فهي المضحية بنفسها من أجل أبنائها ، الملجأ والملاذ في الأوقات العصيبة ، مثال الطهارة والعفاف ، تلجأ إلى الله يوماً عند الأزمات ، ويوضح ذلك جلياً الحوار الذي دار بينها وبين أرسلان بعد عودته من إنجلترا منكسراً جريح القلب :

- أتذكر يا أمي أنك لم تعاقبينني قط على خطأ قمت به .

(١) فراموشم مكن ، ص ٢٨ .

- اليوم أنت أب ، هل تستطيع أن تمس ابنتك بسوء ؟ من الأفضل أن تدخل فالحواء بارد وقد تصاب بالبرد .

ثم يصارحها أرسلان بحقيقة ما حدث له وخيانة زوجته له وطلاقها منه فتتهمر الدموع من عيناها ، وتحاول التخفيف عنه وتضمه إلى حضنها فيترك أرسلان العنان لدموعه ولأول مرة في حضن أمه الدافئ ، فتشد الأم من أزره ، وتحاول أن تخرجه من حزنه ، فتقول له :

- أنت رجل وسوف تظل رجلاً ، وما يتحمله الرجل هو الألم ... فكر في ابنتك ، فهي معك ، ونحن ، والله سبحانه وتعالى .

فيهدأ أرسلان بعد حديث الأم ، ويتيقن من أن الله سبحانه وتعالى لن يتركه في محنته ، وتتوسل الأم إليه بالجوء إلى الله كي يلهمه الصبر على فجيعة (١) .

وحين تتحدث كيت - الزوجة الأوربية - نلمح أفكارها وأفكار مجتمعتها في أقوالها ، فهي لا تعبأ بمسئولياتها تجاه بيتها وزوجها وابنتها ، هي إنسان حر ، والحرية - من وجهة نظرها - أن تفعل ما تريد وقتما تريد دون رقابة أو استئذان حتى من أقرب الناس لديها ، ونلاحظ ذلك جلياً في حوارها مع زوجها :

- أوه يا عزيزي ، كانت حفلة لا شبیه لها ، .. أنت تعلم مدى عشقي للحفلات والرقص والأوركسترا والموسيقى ، إنى أتساءل يوماً كيف تحيا بدون رقص أو موسيقى ؟!

(١) فراموشم مكن ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ .

- إننى أفهم جيداً مدى حبك للحفلات ، لكن يا عزيزتى لقد مر على زواجنا الآن تسعة شهور ، رغم ذلك لم نتناول الغذاء سوياً تسع مرات ... نحن زوج وزوجة ، لكننا ننام فى حجرتين منفصلتين ، نعيش حياتنا منفصلين تماماً ... إنك تمكثين حتى منتصف الليل خارج المنزل ، فى عاداتنا يجب أن تطيع الزوجة زوجها ، ومسئوليتها هى رعاية زوجها وأبنائها .

- أنا لا أستطيع أن أعمل فى المنزل منذ الصباح وحتى المساء كالخادمة التى لا تتقاضى أجراً ... نحن زوج وزوجة ، ولكن لا يجب أن يتدخل أى منا فى شئون الآخر ، أنا لا أفهم شيئاً عما تتحدث عنه ، لم يجب أن تعيش المرأة أسيرة الرجل ؟ أنا لا أقبل أن تكون المرأة فى قيد الرجل ، تقوم بتلبية احتياجاته فقط ، أعتقد أن الزواج فى عرفكم هو الاستسلام لحماقات الرجال فقط وإنجاب طفل كل عام (١) .

بالإضافة إلى ذلك حرصت الكاتبة خلال سردها للحوار على المحافظة على الإيقاع المناسب له وتجسيد مشاعر الشخصيات ، وفقاً لمتطلبات الموقف ، فهى تصور لنا طريقة أداء الكلام على لسان الشخصية بما يفصح عن مكنونها أو عن ردود أفعالها باللحن الملائم لها . وقد تودى الشخصية الحوار بأكثر من لحن حسب رؤية الكاتبة ووفقاً للموقف الذى يؤدي فيه . فقد يؤدي اللحن بصورة رسمية أو بشكل جاد أو بحذر شديد أو بصيغة يغلب عليها الحزن أو بنبرة سخرية واستهزاء ، ومن البديهي أن يرتبط ذلك كله بالمؤثرات داخل العمل الدرامى .

(١) فراموشم مكن ، ص ٧٢ ، ص ٧٣ .

أما عن اللغة التي استخدمتها الكاتبة في السرد والحوار ، فنجدها تستخدم اللغة الفصحى عند السرد ، واللهجة العامية الطهرانية في الحوار ، وذلك لكي تقترب من الواقعية ، فهي تنطق أشخاصها في الرواية باللغة التي يتحدثون بها في الحياة اليومية ، ونلاحظ في استخدامهم للغة الفصحى اختيارها للجمل البسيطة القريبة من ذهن القارئ ، كما كانت لغة الحوار مناسبة تماماً للشخصيات التي جرى على لسانها ، وساهمت بشكل كبير في تصوير المشاهد على النحو الذي يكشف للقارئ عن الصراع الدائر بين الشخصيات الممثلة لطرفي هذا الصراع أو في تصوير الجو العام للموقف .

ومن الملاحظ في اللغة التي استخدمتها الكاتبة أنها بعدت إلى حد ما عن استخدام الألفاظ الأجنبية ، فكان إيراد مثل هذه الألفاظ نادراً للغاية رغم وقوع معظم أحداث القصة في بلد أجنبي ، ورغم أن اثنين من شخصياتها كانتا أوروبيتين - كيت وفرانك - وفي المقابل نجد استخدام الألفاظ العربية بشكل يثير الانتباه ، فقد أوردت الكاتبة الكثير من الألفاظ العربية ، وسوف أشير هنا إلى بعض منها ، وخاصة إلى الألفاظ التي يمكن إيجاد المقابل الفارسي لها في يسر وسهولة ، إلا أننا نجد الكاتبة فضلت استخدام اللفظ العربي وأوردته على لسان أبطال روايتها:

بي وقفه ← همیشه - همواره	حجره ← مغازه
مسبب ← انكيزه	شئوناتم ← كارهايم
اسم ← نام	بيدي ← بادستم
قلبي ← دلي	ضاربين ← زنند كان
بنای قديمی ← ساختمان كهن	متبسم ← خندان
صبور ← برد بار	والدينم ← پدر و مادرم
تجربيات ← آزمونها	مزدد ← دودل

كما أكثرت الكاتبة من استخدام أكثر من كلمة عربية في الجملة الواحدة على النحو التالي :

- تربيت من أميخته از صبر وحوصله او وغرور وتعصب يدرم شد، ص ٧

- باكمال ميل منتظرم ! معطلم نكنى ، ص ٤٤

- بر اثر ضربات مكرر متورم ودرد ناك كشته بودند ، ص ٤٥

- نون مملكت غريب خوردنش كراحت داره بركت نداره ، ص ٥٧

- اوه ! جه سعادت غير مترقبه اى ! ص ١٢٠

ولعل الإفراط في استخدام المرادفات العربية لدى الكاتبة يرجع إلى أن الثورة الإسلامية في إيران قد جعلت الاهتمام باللغة العربية - لغة القرآن الكريم - أحد أهدافها الرئيسية ، وعليه حرص الأدباء الإيرانيون بشكل عام على تضمين مؤلفاتهم الأدبية بالعديد من المرادفات العربية ، بل وأصبحوا يفضلون استخدام اللفظ العربي على نظيره الفارسي ، وهذا ما شاهدناه سالفاً في روايتنا موضع الدراسة .

الصور الجمالية :

أما عن الصور الجمالية فكانت كثيرة في روايتنا ، فنظراً لحس المرأة المرهف حرصت الكاتبة من حين لآخر على إدراج بعض الصور البلاغية التي تساهم في إظهار رؤيتها الخاصة تجاه حدث معين أو لتوضيح الحالة النفسية لشخصية بعينها . ومن هذه الصور نجد استخدامها التشبيه بكثرة لإبراز فكرة ما أو لتوضيح إحساس ما في

أعماق الشخصية ، فعلى سبيل المثال نجدها تشبه الأحداث والذكريات التي تتداعى فى خيال البطل بشريط فيلم سينمائى يمر أمام عينيه لقطة وراء أخرى (ص ٢) . وفى موضع آخر تشبه أصدقاء أرسلان الذين كانوا يلتفون حوله بسبب ما لديه من إمكانيات مادية بالذباب الذى يجتمع حول الحلوى (ص ٩) . وفى موضع ثالث تشبه الأب - وفائى - بالبنجر الأحمر تارة وبالأسد المزمجر تارة أخرى للدلالة على شدة الغضب بداخله (ص ٢٦) . وأحياناً تشبه الحياة بالنسبة لأرسلان بالحصار الذى يتأذى من ضيقه ، بينما تشبه أرسلان نفسه بالطائر الذى يرغب فى التحرر من ضيق هذا الحصار والانطلاق عبر الفضاء الواسع (ص ٣٦) . وفى موضع آخر تشبه أرسلان فى عشقه لكيت بأحد عباد الشمس ، وذلك لتدلل على شدة عشقه لها وولاه بها (ص ٦٨) .

وأحياناً تستخدم الكاتبة أسلوب الكناية فى الجملة للدلالة على معنى خاص ، فتقول على لسان أرسلان : " التاجر الذى كان يذهب لعقد الصفقات لم يكن يعود خالى الوفاض " . (ص ٧٧) .

وفى حديثه هذا كناية عن التوفيق الذى كان يحالفه فى أعماله يوماً ، وتقول فى موضع آخر على لسانه أيضاً : " وبعد انتهاء كل حفل كان يوغزنى ضميرى الوسنان ويؤنبنى على موت أصالتي ، وكنت أحاول الهروب من نفسى ، مما كنت فيه ، ومما أكون ، وكنت أقول لنفسي لعله غداً ، لكن الغد كان كالأمس ، والأمس كاليوم ، كنت أسير فى دوامة الإفرنج المليئة بالأمواج وأغرق دون أن أطلب مساعدة المنقذ " . (ص ٨١) .

وهذا من حديث البطل تصوير يريد أن يعبر من خلاله عن عدم رضائه عن الواقع الذى يعيشه فى بلاد الغرب ، ويصور مدى تخطيطه فى

مجتمع غريب عنه ، واستسلامه دون وعى للمبادئ التى تتنافى وأصالته الشرقية .

كما أكثرت الكاتبة من استخدام التضاد ، وذلك لتأكيد المعنى وإبرازه وتوضيح الفكرة التى ترنو إليها ، تقول :

تو تفاوت خوب و بد رامى دانى . (ص ٣٩) .

بمعنى " أنت تعلم الفرق بين الحسن والسيئ " .

فكر كردم او خوشبخت است و بدبخت منم . (ص ١٠٤) .

بمعنى " اعتقدت أنه حسن الفأل وأنا سيئ الطالع " .

فرانك در جريان كوچكترين تا بزرگترين مشكلات ما بود . (ص ١٠٩) .

بمعنى " كان فرانك متواجدا فى أبسط مشاكلنا وأعظمها " .

به خاطرش سرماى سيبىرى وكرماى استراليا رابه جان خريدم . (ص ١٦٦)

بمعنى " من أجلها تحملت برودة سيبيريا وحرارة أستراليا " .

ديكر شكم به يقين مبدل شد . (ص ٢٦٧)

بمعنى " ثانية تحول شكى إلى يقين " .

ورغم استخدام الكاتبة لمثل هذه الصور الجمالية ، إلا أن استخدامها لها لم يكن من منطلق التزيين اللفظى ، وإنما كان فى إطار الهدف الاجتماعى للقصة ، وبعدت تماماً عن استخدام الأسلوب الخيالى لعدم احتمال موضوع القصة له .

"الخاتمة"

عرض هذا البحث الترجمة العربية كاملة لرواية فراموشم مكن - لا تنسنى - وذلك في القسم الأول منه ، ثم تناولت في القسم الثانى موضوع القصة بالدراسة والتحليل ابتداءً من الفكرة والبيئة والشخصيات والأسلوب وما إلى ذلك من عناصر القصة المختلفة ، وفى نهاية البحث يمكننا القول بأن الكاتبة تمكنت - إلى حد كبير - من توصيل الهدف الذى من أجله صيغت الرواية فى إطار عمل أدبى جيد صور إحدى مشكلات مجتمعتها ، فالكاتبة أرادت من خلال هذا العمل أن تقدم إحدى الشرائح الموجودة داخل مجتمعتها ، وهى شريحة الشباب المنساق وراء تيار الإفرنج ، وتمثل ذلك فى تجسيدها لشخصية البطل - أرسلان - ولما اعتدنا على أن المرأة فى الغالب الأعم لا بد لها وأن تعبر عن قضايها ، كانت الدهشة فى البداية من كونها جعلت من بطل قصتها رجلاً تتحدث بلسانه وتعبر عن مشاعره وأحاسيسه فى المواقف المختلفة، لكن سرعان ما زالت هذه الدهشة بعد ما اقتربنا أكثر من الهدف الذى ترنوه الكاتبة .

فالكاتبة ترفض فكرة الاغتراب عن الوطن ، وما ذكرته خلال تنامى شخصية البطل وتغيرها من حال إلى حال بعد سفره إلى إنجلترا يدلل على ذلك بوضوح .

والكاتبة ترفض أيضاً فكرة الزواج من أجنبيات ، وكان تصويرها للمرأة بما يؤكد تلك الفكرة ؛ فقد صورت المرأة الإيرانية تارة فى صورة الأم المضحية ، المؤمنة ، العفيفة - زينت - وتارة أخرى فى صورة الزوجة المخلصة الوفية لأبعد مدى حتى وإن جار عليها زوجها

- جيتى- وإن كنا قد لمسنا أن إحداهن قد شذت عن هذه القاعدة -
ثريا - التى تخلت عن زوجها ، إلا أننا نجد لها ما يبرر هذا من موقفها ؛
فهى زوجة تطالب بأبسط حقوقها المشروعة فى أن تكون أمًا ، توهمت
خداع زوجها لها فأبت ذلك وطالبته بالطلاق .

أما المرأة الأوربية فقد صورتها الكاتبة فى إطار سلبي على الدوام،
فهى امرأة متحررة لأبعد مدى ، ترتاد صالات القمار ، تحتسى الخمر ،
تواظب على حضور الحفلات ، تخالط الرجال ، عدمت القيم والمبادئ ،
تقدم على الخيانة . وقد رغبت الكاتبة فى إيرادها لهذا النموذج ، وأن
تؤكد لشباب بنى جنسها أنه لا خير إلا فى المرأة الإيرانية التى تتمسك
بأصالتها وقيمها ، ولا تحيد عنهما مهما كانت الدوافع والأسباب .

ونحن نرى أن الكاتبة قد وفقت إلى حد بعيد فى عرض فكرتها
ورسم شخصياتها وإبراز كل منها بشكل معين لتؤدى الدور المرسوم لها
فى القصة دون أن تشعر القارئ بوجودها خلف تلك الشخصيات ؛ فقد
ظلت كل شخصية طوال العمل الدرامى ذات كيان مستقل ، تعبر عن
ذاتها ، وتنطق بما يتناسب ودورها .

كما وفقت الكاتبة أيضاً فى اختيار العنوان المناسب لقصتها ، فقد
أجمع النقاد على أن يكون العنوان مثيراً للفكر جاذباً للانتباه ، ذا وقع
جميل على الأذن ، قصيراً قدر المستطاع ، يتماشى وموضوع القصة
على ألا يوضح كل شئ فيها (١) .

وقد جاء عنوان القصة متوافقاً إلى حد كبير مع هذه المواصفات
الفنية ، فهو جملة قصيرة منهيّة مكونة من فعل وفاعل ومفعول ، ولكنها

(١) إبراهيم نويسى : هنر داستان نویسى ، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى ، ص ٩٩ ،
ص ١٠١ .

عبارة عن فعل مركب منهي ألحق به ضمير المفعولية للمتكلم المفرد (م) وعليه فقد جاء جاذباً للانتباه موحياً بموضوع القصة ، كما أنه جاء معبراً تماماً عن هدف الكاتبة ، فالعنوان - فراموشم مكن - هو الكلمة الأخيرة التي وردت على لسان البطل في نهاية القصة إلى زوجته الأولى - جيتي - وكأنه إشارة من الكاتبة إلى أن الزوجة الإيرانية كانت هي الملجأ والملاذ الأخير للبطل بعد رحلة المعاناة الطويلة ، فأراد في النهاية أن يعود إليها ، بل وينصهرها سوياً حتى لا تستطيع أن تنساه من بعد . وعلى هذا النحو نجد أن الكاتبة قد حالفها التوفيق في عرض رؤيتها الخاصة في إطار الشخصيات المناسبة ضمن عمل أدبي جيد وفن صادق .

" المعجم اللغوي للمصطلحات

العامية في الرواية "

" المعجم اللغوي للمصطلحات العامية فى الرواية "

- أب دهان دركلو كيركردن: توقف الريق فى الحلق ، كناية عن الرعب والفرع .
أَنــــى : مؤقت ، فورى .
أهــــان : نعم ، أجل .
بى خــــيالى : عدم القلق - عدم الاكتراث .
بى خيالى جوانى : رعونة الشباب .
بى ســــرويا : بلا رأس ولا قدم، عاجز، فقير، وضعيع، حقير .
بــــج بــــج : همس ، نجوى .
برنده برنمى زد : لم يكن طائر يخفق بجناحية، كناية عن الهدوء التام .
بــــتــــو : حجرة صغيرة - صندرة .
بشت سرکسى درآوردن : اتهام شخص فى غيابه أو نسبة عمل زو قول مشين إليه .
بــــك : نفس .
يکر شــــدن : اليأس ، الحزن ، الحيرة ، الدهشة .
تاب تاب کــــردن : الطبطبة .
تجــــديدى : مادة تخلف فى الجامعة أو ملحق فى المدرسة .
تــــريــــا : كافيتريا .
تشويف کــــردن : يطالب .
تکــــايــــو : السعى ، الدأب ، الانشغال ، المجيء والذهاب بعجلة .
تــــك روى : الانفرادية .
تلوتلو خــــوردن : التمايل يمينا ويسارا أثناء السير على أثر السكر أو الضعف .

تن به كـسار دادن : السعى فى أثر العمل أو الاتهماك فيه .
توسرى خوردن يازدن : القمع ، الكبت ، الذل ، المهانة ، الاضطهاد .
تــــــــــــــــوى : فى .

توى مردم أبروداشتن : امتلاك القيمة أو الكرامة أمام الناس .
جـا كـذ اشتن : ترك الشيء فى المكان عمداً أو سهواً .
جامهء عمل بوشيدن : تنفيذ الشيء .

جـال كـردن : الحفر ، الدفن ، الكسب فى القمار .
چشم ديدن كـسى عدم الرغبة فى رؤية شخص ما ، كناية عن
رانـداشـتن : الكراهية الشديدة لشخص ما .
چهار چشمى نكر يستن : النظر من جميع الزوايا ، كناية عن التفحص بدقة .
جـى جـى : ماذا " للتعجب " .

حاشا كردن : الإنكار .

حرص خـوردن : الغضب ، الضيق .

حسرت بدل ماندن : الشعور بالحسرة نتيجة لعدم التوصل إلى هدف ما .

حسواس برتنى : التشئت ، الاضطراب .

حصوله سررنره : عدم الضيق ، عدم نفاذ الصبر .

خسـسـارت ديدنه : الخاسر ، المغبون ، المتأذى .

خط و نشان كشيدن : الخط ، المحو ، كناية عن التهديد الأجوف .

خـفـفه شـسو : أخرس .

خُــــــــــــــــسل : مجنون ، مختل .

خـنـك خـــــــــــــدا : أبله ، معتوه .

خـــــــــــــود رازدن : تجاهل العارف بالشيء .

خیابان را متر کردن : التجول أو السير في الشوارع .
 داغون شدن : التبعثر ، التفرق ، كناية عن الاستياء الشديد .
 در پوست خـــود عدم احتواء الجلد لشخص ما ، كناية عن شدة
 نگنجیدن : الفرح .
 در لفاقه حرف زدن : الحديث همساً أو غمراً .
 دست از سرکسی برندا شتن : عدم ترك الشخص لحاله .
 دست از سرکسی دا شتن : الكف عن مضايقة شخص ما .
 دســـــبـــــاچه : متعجل - متسرع - مرتبك .
 دست ازیا درازتر : كون اليد أطول من القدم ، كناية عن الإفلاس .
 دست کم کسی گرفتن : عدم العناية بشخص ما .
 دست و پا کم کردن : فقدان اليد والقدم ، كناية عن التعرض لكارثة ،
 فقدان الوعي ، الارتباك الشديد .
 دست و دلبـــــازی : سعة الأفق ، بشاشة الوجه ، الجود .
 دلـــــهـــــره : اضطراب .
 دل وایس شدن : القلق ، الاضطراب ، الانتظار المصاحب بالخوف .
 دم بـــــخت : من بلغت سن الزواج .
 دندان شکنی : قاطع ، بلا تردید .
 دهان کسی بازماندن : فتح أحد لقمه ، كناية عن الدهشة والحيرة .
 دور کسی گردیدن : التضحية في سبيل شخص ما .
 رگ خواب کسی بدست الوقوع تحت السيطرة ، كناية عن معرفة نقاط
 افســـــادن : الضعف .
 رو درپایستی دار : يتخرج منه ، يتكلف له .

رودست خـوردن : الانخداع .
 زندگى بر زرق وبرق : الهيلمان ، الأبهة ، العظمة .
 زيـگـزول : متعیش على حساب النساء العجائز منهن خاصة .
 سـبـك شـدن : الشعور بالذلة والاستخفاف .
 سـرـبراه شـدن : التميز بالأدب والاستقامة .
 سـرـدر آوردن از : الفهم ، الإطلاع .
 سـرـدرگـمى : الحيرة ، الدهشة .
 سرکسى را کلاه گذاشتن : إلباس أحد الطاقية ، كناية عن خداع شخص
 أو الضحك عليه .
 سرکيسه کردن : أخذ المال من شخص بالحيلة .
 سـرنـخى را دادن : تقديم أول الحبل ، كناية عن معرفة بداية
 الموضوع أو أصله .
 سنک راتمام گذا ردن : تقديم العون التام ، الاحترام الشديد .
 شـرط بستن : المراهنة ، القرار ، التعهد .
 شکر آب شدن میان دوکسى : حدوث فجوة أو خلاف بين شخصين .
 صـا دقـانـه : بأمانة .
 ضربه نوش جان : ضربة مبرحة شديدة الألم .
 طـفـرـه رفتن : التملص ، النكوص .
 غـرـغـرو : كثير الهمهمة والشكوى .
 فوت و فن کار را آموختن : تعلم دقائق الصنعة .
 قـد و نیم قـد : الصغير والكبير ، أولاد من منزل واحد
 متقاربون فى السن .

قـربان كـسى برم : أنا فداء فلان .
 قـند توى دل آب شـدن : إـذابة السكر فى قلب أحد ، كناية عن الفرح إلى
 ما لانهاية .
 كار كسى را راه انداختن : تسهيل أعمال أحد .
 كـثـيـف : قـذر ، دنس .
 كسى را تحويل گرفتـن : إبداء الاحترام لشخص ما .
 كلفت كـردن : التحدث مع أحد بغلظة .
 كـوچـولو : طفل صغير السن .
 كـسـب زدن : الثرثرة .
 كـشـنه : جائع .
 كلى به جـمـالت : ورد على جمالك ، يقال عند المدح أو السخرية .
 لات آسـمـون جـل : فقير، معدم، من لا يملك شيئاً من حطام الدنيا .
 لـجـبـازى : عناد ، خصام .
 مـأـمـور : مكلف .
 مـجـاز : مهذار .
 مـرور كـردن : إلقاء نظرة إجمالية على شيء ما .
 مـشـخص : متميز .
 مـوشى مـردگى : موت القار ، كناية عن إظهار الذلة والمسكنة .
 مـيـگـرن : صداع نصفى .
 ناسـلامـتى : مرض، يقال عند إعلان عدم الرضا عن أى شيء .
 ندانم كـسـار : سئ التصرف ، لا علم له بشيء ، متصرف
 خبط عشوائى .

نـقـق زدن : الغمغمة غضباً .
نـقـقـلى : ظريف وصغير .
نهيـب زدن بركسى : الصراخ فى وجه أحد .
نـيـش زدن : اللدغ باللسان .
هفت تاكفن بوساندى : مرور فترة على وقت الموت .
هيـجـان : انفعال .
واسـتـسادن : معاودة الوقوف .
واسـسـه : من أجل ، بسبب .
وجـدان : ضمير ، شعور .
وروجـك : طفل شقى .
ول كـشـتن : سير أحد هائماً مضطرباً .
يكـه خـوردن : الاندهاش الشديد الذى يدفع إلى حركة تلقائية .
يكى يكـ دونه : الابن الوحيد .

ثبت بأسماء المراجع

أولاً : المراجع العربية :

- ١- طه وادى (دكتور) : لغة الفن القصصى ، مجلة القصة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد ٧٨ ، سنة ١٩٩٤ م .
- ٢- محمد عنانى (دكتور) : الأدب وفنونه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١ م .
- ٣- محمد غنيمى هلال (دكتور) : النقد الأدبى الحديث ، نهضة مصر للطباعة والنشر .
- ٤- محمد قطب عبد العال : الذات والموضوع ، قراءة فى القصة القصيرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤ م .

ثانياً : المراجع الفارسية :

- ١- إبراهيم نوىسى : هنر داستان نویسى ، تهران ٢٥٣٥ شاهنشاهى .
- ٢- سيروس شميسا (دكتور) : أنواع أدبى جاب بنجم ، تهران ١٣٧٨ ش .
- ٣- مريم جعفرى : فراموشم مكن جاب أول ، تهران ١٣٧٨ ش .

ثالثاً : المعاجم اللغوية :

- ١- إبراهيم الدسوقى شتا : المعجم الفارسى الكبير ، القاهرة ١٩٩٢ م .
- ٢- رضا نژاد ، منصور ثروت : فرهنگ معاصر .

المحتويات

5	المقدمة
	القسم الأول الترجمة العربية الكاملة لرواية لا تنسنى
9	الفصل الأول
17	الفصل الثاني
25	الفصل الثالث
33	الفصل الرابع
39	الفصل الخامس
45	الفصل السادس
51	الفصل السابع
59	الفصل الثامن
67	الفصل التاسع
75	الفصل العاشر
83	الفصل الحادي عشر
93	الفصل الثاني عشر
99	الفصل الثالث عشر
109	الفصل الرابع عشر
119	الفصل الخامس عشر
127	الفصل السادس عشر
133	الفصل السابع عشر

143	الفصل الثامن عشر ...
151	الفصل التاسع عشر ...
159	الفصل العشرون ...
167	الفصل الحادي والعشرون ...
173	الفصل الثاني والعشرون ...
181	الفصل الثالث والعشرون ...
189	الفصل الرابع والعشرون ...
197	الفصل الخامس والعشرون ...
205	الفصل السادس والعشرون ...
213	الفصل السابع والعشرون ...
221	الفصل الثامن والعشرون ...
229	الفصل التاسع والعشرون ...
237	الفصل الثلاثون ...
243	الفصل الحادي والثلاثون ...
251	الفصل الثاني والثلاثون ...
259	الفصل الثالث والثلاثون ...
265	الفصل الرابع والثلاثون ...
273	الفصل الخامس والثلاثون ...
285	الفصل السادس والثلاثون ...
	القسم الثاني : الدراسة التحليلية النقدية للرواية
291	تقديم ...
292	عرض القصة ...
293	الزمان والمكان ...

296	... الشخصيات ...
299	... الصراع ...
300	... اللغة ...
306	... الصور الجمالية ...
309	... الخاتمة ...
313	... المعجم اللغوي للمصطلحات العامية في الرواية ...
321	... المراجع ...

المشروع القومي للترجمة

المشروع القومي للترجمة مشروع تنمية ثقافية بالدرجة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التي حققتها مشروعات الترجمة التي سبقته في مصر والعالم العربي ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية في المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التي أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعي في الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنباً إلى جنب المنجزات الجديدة التي تضع القارئ في القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومي للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جودج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتكوفنا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا في غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللساني	ميلكا إفيتش	ت : سعد مصارح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	ت : يوسف الأنطكي
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أندروس. جودي	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلي
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميت	ت : عبد الوهاب طوب
١٤ - التحليل النفسي والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميت	ت : أشرف رفيق غيفي
١٦ - أثينة السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوي
١٨ - الشعر النسائي في أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج. ج. كراوثر	ت : يعنى طريف الخولي / بدوي عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجي	ت : ماجدة العناني
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد علي الناصري
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشري الخلاق	مقالات	ت : نخبه
٢٨ - رسالة في التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامي	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجي / عبد الوهاب طوب
٣٢ - الانقراض	ديفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمي
٣٣ - التاريخ الاقتصادي لأفريقيا الغربية	أ. ج. هويكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصه إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب. ديكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مغيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوربية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ملجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين بارير	ت : أحمد محمود
٤٣ - اللهب المزدوج	أوكتايفو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	ت : مارلين تادرس
٤٥ - التراث المغفور	روبرت ج نيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	يابلو نيرودا	ت : محمود السيد علي
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج١	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمان الميلاوي ويوسف الأطاكي
٥١ - مسار الرواية الإسبانية أمريكية	داريو بيانوبيا وخـ م بينيا ليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسي التدميمي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي قطيم وعادل بمرdash
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : علي يوسف علي
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود علي مكي
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطي
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونيث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتن	ت : صبري محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لذة النّص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعي .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج٢	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالتين راسيوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العلم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهريدا محمد فهمي
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج روبريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمي	داريو فو	ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسي العجوز ت . س . إليوت
- ٧٣ - نقد استجابة القارئ جين . ب . تومكينز
- ٧٤ - صلاح الدين والمماليك في مصر ل . ا . سيمينوفا
- ٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية أندريه موروا
- ٧٦ - چاك لاكان وأغواء التحليل النفسي مجموعة من الكتاب
- ٧٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج ٢ رينيه ويليك
- ٧٨ - العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية رونالد روبرتسون
- ٧٩ - شعرية التأليف بوريس أوسبنسكى
- ٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع» ألكسندر بوشكين
- ٨١ - الجماعات المتخيلة بندكت أندرسن
- ٨٢ - مسرح ميغيل ميغيل دى أونامونو
- ٨٣ - مختارات غوتفريد بن
- ٨٤ - موسوعة الأدب والنقد مجموعة من الكتاب
- ٨٥ - منصور العلاج (مسرحية) صلاح زكى أقطاي
- ٨٦ - طول الليل جمال مير صادقي
- ٨٧ - نون والقلم جلال آل أحمد
- ٨٨ - الابتلاء بالغرب جلال آل أحمد
- ٨٩ - الطريق الثالث أنتوني جينز
- ٩٠ - وسم السيف (قصص) نخبة من كتاب أمريكا اللاتينية
- ٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق باربر الاسوستكا
- ٩٢ - أساليب ومضامين المسرح كارلوس ميغيل
- ٩٣ - أحداث العولة مايك فيذرستون وسكوت لاش
- ٩٤ - الحب الأول والصحة صمويل بيكيت
- ٩٥ - مختارات من المسرح الإسباني أنطونيو بويرو بايخو
- ٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة قصص مختارة
- ٩٧ - هوية فرنسا (المجلد الأول) فرنان برودل
- ٩٨ - الهم الإنساني والابتزاز الصهيوني نماذج ومقالات
- ٩٩ - تاريخ السينما العالمية ديفيد روبنسون
- ١٠٠ - مساطة العولة بول هيرست وجراهام تومبسون
- ١٠١ - النص الروائي (تقنيات ومناهج) بيرنار فاليط
- ١٠٢ - السياسة والتسامح عبد الكريم الخطيبى
- ١٠٣ - قبر ابن عربي يليه أبناء عبد الوهاب المؤيد
- ١٠٤ - أوبرا ماهوجنى برتول بريشت
- ١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع جيرارچينيت
- ١٠٦ - الأدب الأندلسى د. ماريا خيسوس روبيرامتى
- ١٠٧ - مسورة الغدائي في الشعر الأمريكى للعاصر نخبة
- ت : فؤاد مجلى
- ت : حسن ناظم وعلى حاكم
- ت : حسن بيومى
- ت : أحمد درويش
- ت : عبد المقصود عبد الكريم
- ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
- ت : أحمد محمود ونورا أمين
- ت : سعيد الغانمى وناصر حلاوى
- ت : مكارم الغمرى
- ت : محمد طارق الشرقاوى
- ت : محمود السيد على
- ت : خالد المعالى
- ت : عبد الحميد شيحة
- ت : عبد الرازق بركات
- ت : أحمد فتحي يوسف شتا
- ت : ماجدة العنانى
- ت : إبراهيم الدسوقي شتا
- ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
- ت : محمد إبراهيم مبروك
- ت : محمد هناء عبد الفتاح
- ت : نادية جمال الدين
- ت : عبد الوهاب علوب
- ت : فوزية العشماوى
- ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
- ت : إينوار الخراط
- ت : بشير السباعى
- ت : أشرف الصباغ
- ت : إبراهيم قنديل
- ت : إبراهيم فتحي
- ت : رشيد بنحطو
- ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
- ت : محمد بئيس
- ت : عبد الغفار مكاوى
- ت : عبد العزيز شبيب
- ت : أشرف على دعور
- ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأشلسي مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه جون يولوك وعادل درويش
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون
١١٢ - الاحتجاج الهادي أرلين علوي ماكليود
١١٣ - راية التمرد سادي بلانت
١١٤ - مسرحيات حصاد كونجى وسكان للمستعم رول شوينكا
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام ليلي أحمد
١١٨ - النهضة النسائية في مصر بث بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنيل
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليلي أبو لغد
١٢١ - الدليل للصغير في كتابة المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت
١٢٣ - الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية نيتل الكسندر وفانداواينا
١٢٤ - الفجر الكاذب جون جراى
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ديقى
١٢٦ - فعل القراءة فولفانج إيسر
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحى
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيث
١٢٩ - الرواية الاسبانية المعاصرة ماريا بولورس أسيس جاروته
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوندركرآنك
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى) مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فيذرستون
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق على
١٣٤ - تشريح حضارة بارى ج. كيمب
١٣٥ - المختار من نقد س. إليوت (ثلاثة أجزاء) ت. س. إليوت
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كرون
١٣٧ - مذكرات ضابط في العملة الفرنسية جوزيف ماري مواريه
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف إيفيلينا تارونى
١٣٩ - باريسقال ريشارد فاچنر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار هريوت ميسن
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣ - قضايا التنظير في البحث الاجتماعى ديريك لايدار
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولادونى
- ت : محمود على مكى
ت : هاشم أحمد محمد
ت : متى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سميرة رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : ليس النقاش
ت : بإشراف/ رؤوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد قواد بليغ
ت : سمحه الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعى
ت : أميرة حسن تويره
ت : محمد أبو العطا وآخرون
ت : شوقى جلال
ت : لويس بقطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبحى
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجيورى
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومى
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فويتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى ليس	ت : على عبد الرؤوف البمبى
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تاتكريد دورست	ت : عبد الغفار مكاوى
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكي أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على متوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وألونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبير
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ - غرام القراءة	فيولين فاتويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أتبال وآلان وأوديت فيرمو	ت : مى التمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكنجوى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتحى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد العليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الآسيوى	ت : صلاح عبد العزيز محجوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع ج ١	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاكوثير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الشعب	أ. ن. أفانا سيفا	ت : سهير المصادقة
١٦٦ - العلاقات بين المدين والعلانيين فى إسرائيل	يشعياهو ليتمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	رابندراناث طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دلييس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التليفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيقنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	ت : حصة إبراهيم منيف
١٧٨ - مضطربات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالامير حمدان
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى	فستنت ، ب. ليتش	ت : محمد يحيى

- ١٨٢ - العنف والنبوة و . ب . بيتس
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما رينيه جيلسون
١٨٤ - القاهرة .. حاملة لا تنام هانز إيتنورفر
١٨٥ - أسفار العهد القديم توماس تومسن
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل ميخائيل أنور
١٨٧ - الأرضة بزرّج علوى
١٨٨ - موت الأدب القين كرنان
١٨٩ - العمى والبصيرة پول دى مان
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس كونفوشيوس
١٩١ - الكلام رأسمال الحاج أبو بكر إمام
١٩٢ - ساحت نامة إبراهيم بك جا زين العابدين المراهى
١٩٣ - عامل المنجم بيتر أبراهامز
١٩٤ - مختارات من نقد الأنجلو-أمريكي مجموعة من النقاد
١٩٥ - شتاء ٨٤ إسماعيل نصيح
١٩٦ - المهلة الأخيرة فالتين راسيوتين
١٩٧ - الفاروق شمس العلماء شبلى النعمانى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى إدوين إمري وآخرون
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العشانية يعقوب لاندوى
٢٠٠ - ضحايا التنمية جيرمى سيبروك
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة جوزايا روس
٢٠٢ - تاريخ النقد الأدبى الحديث جا رينيه ويليك
٢٠٣ - الشعر والشاعرية الطاف حسين حالى
٢٠٤ - تاريخ نقد العهد القديم زلمان شارازر
٢٠٥ - الجينات والشعوب واللغات لويجى لوقا كافاللى - سفورزا
٢٠٦ - الهيولية تصنع علماً جديداً جيمس جلايك
٢٠٧ - ليل إفريقي رامون خوتاسنديز
٢٠٨ - شخصية العربي فى المسرح الإسرائيلى دان أوربان
٢٠٩ - السرد والمسرح مجموعة من المؤلفين
٢١٠ - مثنويات حكيم سنائى سنائى الغزنوى
٢١١ - فردينان دوسويسير جوناثان كلر
٢١٢ - قصص الأمير مرزيان مرزيان بن رستم بن شروين
٢١٣ - مصر منذ نوم نابليون حتى رحيل عبد الناصر ريمون فلانور
٢١٤ - قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع أنتونى جيندز
٢١٥ - سياحت نامة إبراهيم بك جا زين العابدين المراهى
٢١٦ - جواتب أخرى من حياتهم مجموعة من المؤلفين
٢١٧ - مسرحيتان طليعيتان صمويل بيكيت
٢١٨ - راويلا خوليو كورتازان
ت : ياسين طه حافظ
ت : فتحي العشرى
ت : دسوقي سعيد
ت : عبد الوهاب علوب
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : علاء منصور
ت : بدر الديب
ت : سعيد القانمى
ت : محسن سيد فرجاني
ت : مصطفى حجازى السيد
ت : محمود سلامة علاوى
ت : محمد عبد الواحد محمد
ت : ماهر شفيق فريد
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : أشرف الصباغ
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
ت : جمال أحمد الرفاهى وأحمد عبد الطيف حماد
ت : قخرى لييب
ت : أحمد الأنصارى
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : أحمد محمود هويدي
ت : أحمد مستجير
ت : على يوسف على
ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
ت : محمد أحمد صالح
ت : أشرف الصباغ
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : محمود حمدي عبد الغنى
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : سيد أحمد على الناصرى
ت : محمد محمود محى الدين
ت : محمود سلامة علاوى
ت : أشرف الصباغ
ت : تادية البنهاوى
ت : على إبراهيم على منوفى

٢١٩ - بقايا اليوم	كازو ايشجورو	ت : طلعت الشايب
٢٢٠ - الهيولية فى الكون	بارى باركر	ت : على يوسف على
٢٢١ - شعرية كفافى	جريجورى جوزدانس	ت : رفعت سلام
٢٢٢ - قرانز كافكا	رونالد جراى	ت : نسيم مجلى
٢٢٣ - العلم فى مجتمع حر	بول فيرايتر	ت : السيد محمد تقيادى
٢٢٤ - دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	ت : منى عبد الظاهر ابراهيم السيد
٢٢٥ - حكاية غريق	جابريل جارثيا ماركث	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٦ - أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربت لورانس	ت : طاهر محمد على البربرى
٢٢٧ - المسرح الإسباني فى القرن السابع عشر	موسى ماريا ديف بوركى	ت : السيد عبد الظاهر عبد الله
٢٢٨ - علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ت : مارى تيريز عبد المسيح وخالد حسن
٢٢٩ - مازق البطل الوحيد	نورمان كيمن	ت : أمير ابراهيم العمري
٢٣٠ - عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	ت : مصطفى ابراهيم فهمى
٢٣١ - الدرافيل	خايمى سالوم بيدال	ت : جمال أحمد عبد الرحمن
٢٣٢ - مابعد المعلومات	توم ستينر	ت : مصطفى ابراهيم فهمى
٢٣٣ - فكرة الاضمحلال	أرثر هيرمان	ت : طلعت الشايب
٢٣٤ - الإسلام فى السودان	ج. سينسر تريمنجهام	ت : فؤاد محمد عكود
٢٣٥ - ديوان شمس تبريزى ج ١	جلال الدين الرومى	ت : ابراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦ - الولاية	ميشيل تود	ت : أحمد الطيب
٢٣٧ - مصر أرض الرادى	روين فيدين	ت : عنايات حسين طلعت
٢٣٨ - العولة والتحرير	الانكتاد	ت : ياسر محمد جاد الله وعريس مديولى أحمد
٢٣٩ - العربى فى الأدب الإسرائيلى	جيلرافر - رايوخ	ت : نادية سليمان حافظ وايهاب صلاح فايق
٢٤٠ - الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامى حافظ	ت : صلاح عبد العزيز محمود
٢٤١ - فى انتظار البرابرة	ك. م كويتز	ت : ابتسام عبد الله سعيد
٢٤٢ - سبعة أنماط من الغموض	وليام إميسون	ت : هيرى محمد حسن عبد النبى
٢٤٣ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ١)	ليفى بروفستال	ت : مجموعة من المترجمين
٢٤٤ - الفليان	لاورا إسكييل	ت : نادية جمال الدين محمد
٢٤٥ - نساء مقاتلات	إليزابيتا أديس	ت : توفيق على منصور
٢٤٦ - قصص مختارة	جابريل جرثيا ماركث	ت : على ابراهيم على منوفى
٢٤٧ - الثقافة الجماهيرية والحدائق فى مصر	ولتر أرمبرست	ت : محمد الشرقاوى
٢٤٨ - حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٢٤٩ - لغة التمزق	دراجو شتامبوك	ت : رفعت سلام
٢٥٠ - علم اجتماع العلوم	دومنيك فينك	ت : ماجدة أباطة
٢٥١ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : ياشراف : محمد الجوهري
٢٥٢ - رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	ت : على بدران
٢٥٣ - تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوتا	ت : حسن بيومى
٢٥٤ - الفلسفة	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥ - أفلاطون	ديف روينسون وجودى جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام

٢٥٦ - ديكارت	ديف روينسون وجودي جروفرز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧ - تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	ت : محمود سيد أحمد
٢٥٨ - العجر	سير أنجوس فريزر	ت : عبادة كحيلة
٢٥٩ - مختارات من الشعر الأرمني	نخبة	ت : فاروچان كازانچيان
٢٦٠ - موسوعة علم الاجتماع ج ٢	جوردون مارشال	ت : بإشراف : محمد الجوهري
٢٦١ - رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢ - مدينة المعجزات	إنيوارد مندوثا	ت : محمد أبو العطا عبد الرؤوف
٢٦٢ - الكشف عن حافة الزمن	جون جرين	ت : علي يوسف علي
٢٦٤ - إبداعات شعرية مترجمة	هوراس / شلي	ت : لويس عوض
٢٦٥ - روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصموئيل جونسون	ت : لويس عوض
٢٦٦ - مدير المدرسة	جلال آل أحمد	ت : عادل عبد المنعم سويلم
٢٦٧ - فن الرواية	ميلان كونديرا	ت : بدر الدين عروكي
٢٦٨ - ديوان شمس تبريزي ج ٢	جلال الدين الرومي	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ١	وليم جيفور بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧٠ - وسط الجزيرة العربية وشرقها ج ٢	وليم جيفور بالجريف	ت : صبري محمد حسن
٢٧١ - العضارة الغربية	توماس سي . باترسون	ت : شوقي جلال
٢٧٢ - الأديرة الأثرية في مصر	س. س. والترز	ت : إبراهيم سلامة
٢٧٣ - الاستعمار والثورة في الشرق الأوسط	جوان آر. لوك	ت : عنان الشهاوي
٢٧٤ - السيدة بربارا	رومولو جلاجوس	ت : محمود علي مكي
٢٧٥ - س. س. إليوت شاعرًا وناقدًا وكاتبًا مسرحيًا	أقلام مختلفة	ت : ماهر شفيق فريد
٢٧٦ - فنون السينما	فرانك جوتيران	ت : عبد القادر التلمساني
٢٧٧ - الجينات الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	ت : أحمد فوزي
٢٧٨ - البدايات	إسحق عظيموف	ت : طريف عبد الله
٢٧٩ - الحرب الباردة الثقافية	فرانسيس ستونر سوندرز	ت : طلعت الشايب
٢٨٠ - من الألب الهندي الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	ت : سمير عبد الحميد
٢٨١ - الفريوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شير الكهنوي	ت : جلال الحفناوي
٢٨٢ - طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس وابيرت	ت : سمير حنا صادق
٢٨٣ - السهل يحترق	خوان روافو	ت : علي البمبي
٢٨٤ - هرقل مجنوناً	يوريبيدس	ت : أحمد عثمان
٢٨٥ - رحلة الخواجة حسن نظامي	حسن نظامي	ت : سمير عبد الحميد
٢٨٦ - سياحت نامه إبراهيم بك ج ٢	زين العابدين المراغي	ت : محمود سلامة علاوي
٢٨٧ - الثقافة والعزلة والنظام العالمي	أنتوني كينج	ت : محمد يحيى وآخرون
٢٨٨ - الفن الروائي	ليفيد لودج	ت : ماهر البطوطي
٢٨٩ - ديوان منجوهري الدامغاني	أبو نجم أحمد بن قوص	ت : محمد نور الدين
٢٩٠ - علم اللغة والترجمة	جورج موان	ت : أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج ١	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر
٢٩٢ - المسرح الإسباني في القرن العشرين ج ٢	فرانشيسكو رويس رامون	ت : السيد عبد الظاهر

٢٩٣ - مقدمة للأدب العربي	روجر آلان	ت : نخبة من المترجمين
٢٩٤ - فن الشعر	بوالو	ت : رجاء ياقوت صالح
٢٩٥ - سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	ت : بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦ - مكبث	وليم شكسبير	ت : محمد مصطفى بدوي
٢٩٧ - فن النحويين اليونانية والسوربانية	ديونيسيوس ثراكس - يوسف الأهواني	ت : ماجدة محمد أنور
٢٩٨ - مناساة العبيد	أبو بكر تغاوابليو	ت : مصطفى حجازي السيد
٢٩٩ - ثورة التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	ت : هاشم أحمد غزاد
٣٠٠ - أسطورة برومثيروس مج ١	لويس عوض	ت : جمال الجزيري وبهاء جاهين
٣٠١ - أسطورة برومثيروس مج ٢	لويس عوض	ت : جمال الجزيري ومحمد الجندي
٣٠٢ - فنجنشتين	جون هيتون وجودي جروفز	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣ - بوذا	جين هوب وبودن فان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤ - ماركس	ريوس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥ - الجلد	كروزيو مالابارته	ت : صلاح عبد الصبور
٣٠٦ - الحماسة - النقد الكانطي للتاريخ	جان - فرانسوا ليوتار	ت : نبيل سعد
٣٠٧ - الشعور	ديفيد بايينو	ت : محمود محمد أحمد
٣٠٨ - علم الوراثة	ستيف جوتز	ت : ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩ - الذهن والمخ	انجوس جيلاتي	ت : جمال الجزيري
٣١٠ - يونج	ناجي هيد	ت : محيي الدين محمد حسن
٣١١ - مقال في المنهج الفلسفي	كوانجورد	ت : فاطمة إسماعيل
٣١٢ - روح الشعب الأسود	وليم دي بوز	ت : أسعد حليم
٣١٣ - أمثال فلسطينية	خاير بيان	ت : عبد الله الجعدي
٣١٤ - الفن كعدم	جينس مينيك	ت : هويدا السباعي
٣١٥ - جرامشي في العالم العربي	ميشيل بروندينو	ت : كاميليا صبحي
٣١٦ - محاكمة سقراط	أ. ف. ستون	ت : نسيم مجلي
٣١٧ - بلا غد	شير لايموفا - زنيكين	ت : أشرف الصباغ
٣١٨ - الأدب الروسي في السنوات العشر الأخيرة	نخبة	ت : أشرف الصباغ
٣١٩ - صور دريدا	جايتير ياسييفاك وكريستوفر نوريس	ت : حسام نايل
٣٢٠ - لمعة السراج لحضرة التاج	مؤلف مجهول	ت : محمد علاء الدين منصور
٣٢١ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ١ج)	ليفى يرو فتسال	ت : نخبة من المترجمين
٣٢٢ - وجهات نظر حديثة في تاريخ الفن الغربي	ديليو. إيوجين كلينباور	ت : خالد مقلح حمزة
٣٢٣ - فن الساتورا	تراث يوناني قديم	ت : هانم سليمان
٣٢٤ - اللعب بالنار	أشرف أسدي	ت : محمود سلامة علاوي
٣٢٥ - عالم الآثار	فيليب يوسان	ت : كريستين يوسف
٣٢٦ - المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	ت : حسن صقر
٣٢٧ - مختارات شعرية مترجمة	نخبة	ت : توفيق علي منصور
٣٢٨ - يوسف وزليخة	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	ت : عبد العزيز بقوش
٣٢٩ - رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	ت : محمد عيد إبراهيم

- ٢٣٠ - كل شيء عن التمثيل الصامت مارفن شبرد
٢٣١ - عندما جاء السردين ستيفن جراي
٢٣٢ - رحلة شهر العسل وقصص أخرى نخبة
٢٣٣ - الإسلام في بريطانيا نيل مطر
٢٣٤ - لقطات من المستقبل آرثر س. كلارك
٢٣٥ - عصر الشك ناتالي ساروت
٢٣٦ - متون الأهرام نصوص قديمة
٢٣٧ - فلسفة الولاء جوزايا رويس
٢٣٨ - نظرات حائرة وقصص أخرى من الهند نخبة
٢٣٩ - تاريخ الأدب في إيران ج٢-٢ على أصغر حكمت
٢٤٠ - اضطراب في الشرق الأوسط بيرش بيربيروجلو
٢٤١ - قصائد من رلكه راينر ماريا رلكه
٢٤٢ - سلامان وأبسال نور الدين عبد الرحمن بن أحمد
٢٤٣ - العالم البرجوازي الزائل نائين جورديمر
٢٤٤ - الموت في الشمس بيتر بلانجوه
٢٤٥ - الركض خلف الزمن بونه ندائي
٢٤٦ - سحر مصر رشاد رشدي
٢٤٧ - الصبية الطائشون جان كوككو
٢٤٨ - التصوفة الأولى في الأدب التركي جا محمد فؤاد كويرلي
٢٤٩ - دليل القارئ إلى الثقافة الجادة آرثر والدرون وآخرين
٢٥٠ - بانوراما الحياة السياحية أقلام مختلفة
٢٥١ - مبادئ المنطق جوزايا رويس
٢٥٢ - قصائد من كفافيس قسطنطين كفافيس
٢٥٣ - الفن الإسلامي في الأندلس (منسبة) باسيليو بابون مالدونالد
٢٥٤ - الفن الإسلامي في الأندلس (نثائية) باسيليو بابون مالدونالد
٢٥٥ - التيارات السياسية في إيران حجت مرتضى
٢٥٦ - الميراث المر بول سالم
٢٥٧ - متون هيرميس نصوص قديمة
٢٥٨ - أمثال الهوسا العامة نخبة
٢٥٩ - محاورات يارمنيدس أفلاطون
٢٦٠ - أنثروبولوجيا اللغة أندريه جاكوب ونويلا باركان
٢٦١ - التصحر : التهديد والمواجهة آلان جرينجر
٢٦٢ - تلميذ باينبرج هاينرش شيبورال
٢٦٣ - حركات التحرر الأفريقي ريتشارد جيسون
٢٦٤ - حدائق شكسبير إسماعيل سراج الدين
٢٦٥ - سنم باريس شارل بودلير
٢٦٦ - نساء يركضن مع الثناي كلاريسا بنكولا
- ت : سامي صلاح
ت : سامية دياب
ت : على إبراهيم على منوفي
ت : بكر عباس
ت : مصطفى فهمي
ت : فتحى العشري
ت : حسن صابر
ت : أحمد الأنصاري
ت : جلال السعيد الحفناوي
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : فخري لبيب
ت : حسن حلمي
ت : عبد العزيز بقوش
ت : سمير عبد ربه
ت : سمير عبد ربه
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : جمال الجزيري
ت : بكر الحلو
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : أحمد عمر شاهين
ت : عطية شحاتة
ت : أحمد الأنصاري
ت : نعيم عطية
ت : على إبراهيم على منوفي
ت : على إبراهيم على منوفي
ت : محمود سلامة علاوي
ت : بدر الرفاعي
ت : عمر الفاروق عمر
ت : مصطفى حجازي السيد
ت : حبيب الشاروني
ت : ليلى الشرييني
ت : عاطف معتمد وأمال شاور
ت : سيد أحمد فتح الله
ت : صبري محمد حسن
ت : نجلاء أبو عجاج
ت : محمد أحمد حمد
ت : مصطفى محمود محمد

- ٢٦٧ - القلم الجريء - نخبة
٢٦٨ - المصطلح السردي - جيرالد برنس
٢٦٩ - المرأة في أدب نجيب محفوظ فوزية العشموى
٢٧٠ - الفن والحياة في مصر الفرعونية كثير لا لويت
٢٧١ - المصوفة الأولون في الأدب التركي ج٢ محمد فؤاد كوبرلى
٢٧٢ - عاش الشباب - وانغ مينغ
٢٧٣ - كيف تعد رسالة دكتوراه - أمبرتو إيكو
٢٧٤ - اليوم السادس - أندريه شديد
٢٧٥ - الخلود - ميلان كونديرا
٢٧٦ - الغضب وأحلام السنين - نخبة
٢٧٧ - تاريخ الأدب في إيران ج٤ - على أصغر حكمت
٢٧٨ - المسافر - محمد إقبال
٢٧٩ - ملك في الحقيقة - ستيل باث
٢٨٠ - حديث عن الخسارة - جوتتر جراس
٢٨١ - أساسيات اللغة - ر. ل. تراسك
٢٨٢ - تاريخ طبرستان - بهاء الدين محمد إسفنديار
٢٨٣ - هدية الحجاز - محمد إقبال
٢٨٤ - القصص التي يحكيها الأطفال سوزان إنجيل
٢٨٥ - مشترى العشق - محمد على بهزادارد
٢٨٦ - دفاعاً عن التاريخ الأدبي النسوي جانيت تود
٢٨٧ - أغنيات وسوناتات - جون دن
٢٨٨ - مواعظ سعدى الشيرازى - سعدى الشيرازى
٢٨٩ - من الأدب الباكستانى المعاصر نخبة
٢٩٠ - الأرشيقات والمدن الكبرى - نخبة
٢٩١ - الحافلة اليلكية - مايك بينشى
٢٩٢ - مقامات ورسائل أندلسية - فرناندو دى لاجرانخا
٢٩٣ - في قلب الشرق - ندوة لويس ماسينيون
٢٩٤ - القوى الأربع الأساسية في الكون بول ديفيز
٢٩٥ - آلام سيلاوش - إسماعيل فصيح
٢٩٦ - السافاك - تقى تجارى راد
٢٩٧ - نيتشه - لورانس جين
٢٩٨ - سارتر - فيليب تودى
٢٩٩ - كامى - ديفيد ميروفتس
٤٠٠ - مومو - مشيائيل إنده
٤٠١ - الرياضيات - زيادون ساربر
٤٠٢ - هوكتنج - ج. ب. ماك ايفوى
٤٠٣ - ربة للطير والملابس تصنع الناس - تودور شتورم
٤٠٤ - تعويذة الحسى - بيقيد إبرام
٤٠٥ - إيزابيل - أندريه جيد
٤٠٦ - المستعربون الإسبان في القرن ١٩ مانويلا مانتاناريس
- ت : البراق عبد الهادى رضا
ت : عابد خزندار
ت : فوزية العشموى
ت : فاطمة عبد الله محمود
ت : عبد الله أحمد إبراهيم
ت : وحيد السعيد عبد الحميد
ت : على إبراهيم على منوفى
ت : حمادة إبراهيم
ت : خالد أبو اليزيد
ت : إدوار الخراط
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : جمال عبد الرحمن
ت : شيرين عبد السلام
ت : رانيا إبراهيم يوسف
ت : أحمد محمد نادى
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
ت : إيزابيل كمال
ت : يوسف عبد الفتاح فرج
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : بهاء جاهين
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : سمير عبد الحميد إبراهيم
ت : عثمان مصطفى عثمان
ت : منى الدرويش
ت : عبد اللطيف عبد الحليم
ت : نخبة
ت : هاشم أحمد محمد
ت : سليم حمدان
ت : محمود سلامة علاوى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : باهر الجوهري
ت : ممدوح عبد المنعم
ت : ممدوح عبد المنعم
ت : عماد حسن بكر
ت : ظبية خميس
ت : حمادة إبراهيم
ت : جمال أحمد عبد الرحمن

- ٤٠٧ - الألب الإسباني المعاصر بقلم ككله أقلام مختلفة
٤٠٨ - معجم تاريخ مصر جوان فوتشركنج
٤٠٩ - انتصار السعادة يرتاند راسل
٤١٠ - خلاصة القرن كارل بوير
٤١١ - همس من الماضي جينيفر أكرمان
٤١٢ - تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج ٢، ج ٢) ليفي بروفنسال
٤١٣ - أغنيات المنفى ناظم حكمت
٤١٤ - الجمهورية العالمية للأدب باسكال كازانوفنا
٤١٥ - صورة كوكب فريدريش دورنيما
٤١٦ - مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر أ. أ. رتشاردز
٤١٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث ج. ه. رينيه ويليك
٤١٨ - سياسات الزمر الحاكمة في مصر العثمانية جين هاثواي
٤١٩ - العصر الذهبي للإسكندرية جون ماريو
٤٢٠ - مكرو ميجاس فولتير
٤٢١ - الولاء والقيادة في المجتمع الإسلامي روى متحدة
٤٢٢ - رحلة لاستكشاف أفريقيا ج. نخبه
٤٢٣ - إسرارات الرجل الطيف نخبه
٤٢٤ - لوائح الحق ولوائح العشق نور الدين عبد الرحمن الجامي
٤٢٥ - من طاووس حتى فرح محمود طلوعي
٤٢٦ - الخفايش وأصغر أخرى من أفغانستان نخبه
٤٢٧ - بانديراس الطاغية باي إنكلان
٤٢٨ - الخزائن الخفية محمد هوتك
٤٢٩ - هيجل ليود سبنسر وأندرجي كروز
٤٣٠ - كانط كرسنوفر وانت وأندرجي كليموفسكي
٤٣١ - فوكو كريس هيروكس وزوران جفتيك
٤٣٢ - ماكياثلي باتريك كيري وأوسكار زاريت
٤٣٣ - جويس ليفيد نوريس وكارل فلت
٤٣٤ - الرمانسية دونكان هيث وچودن بورهام
٤٣٥ - توجهات ما بعد الحداثة نيكولاس زرينج
٤٣٦ - تاريخ الفلسفة (مج ١) فريدريك كريلستون
٤٣٧ - رحالة هندي في بلاد الشرق شيلي النعماني
٤٣٨ - بطلات وضحايا إيمان ضياء الدين بيبرتن
٤٣٩ - موت المراسي صدر الكثر عيني
٤٤٠ - قواعد اللهجات العربية كرستن بروسنكاد
٤٤١ - رب الأشياء الصغيرة أروندهاتي روى
٤٤٢ - حثشبست (المرأة الفرعونية) فوزية أسعد
٤٤٣ - اللغة العربية كيس نورستينج
- ت : طلعت شاهين
ت : عنان الشهاوى
ت : إلهامي عمارة
ت : الزواوى بغودة
ت : أحمد مستجير
ت : نخبه
ت : محمد البخارى
ت : أمل الصبيان
ت : أحمد كامل عبد الرحيم
ت : مصطفى بدوى
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : عبد الرحمن الشيخ
ت : نسيم مجلى
ت : الطيب بن رجب
ت : أشرف محمد كيلانى
ت : عبد الله عبد الرازق إبراهيم
ت : وحيد النقاش
ت : محمد علاء الدين منصور
ت : محمود سلامة علاوى
ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
ت : ثريا شلبي
ت : محمد أمان صافى
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : حمدي الجابري
ت : عصام حجازي
ت : ناجي رشوان
ت : إمام عبد الفتاح إمام
ت : جلال السعيد الحفناوى
ت : عايدة سيف الدولة
ت : محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
ت : محمد الشرقاوى
ت : فخرى لبيب
ت : ماهر جويجاتي
ت : محمد الشرقاوى

٤٤٤ - أمريكا اللاتينية : الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	ت : صالح علماني
٤٤٥ - حول وزن الشعر	پرويز نائل خاتلري	ت : محمد محمد يونس
٤٤٦ - التحالف الأسود	ألكسندر كوكيرن وجيفري سانت كلير	ت : أحمد محمود
٤٤٧ - نظرية الكم	ج. پ. ساك ايفوي	ت : ممنوح عبد المنعم
٤٤٨ - علم نفس التطور	ديلان ايفانز - أوسكار زاريت	ت : ممنوح عبد المنعم
٤٤٩ - الحركة النسائية	مجموعة	ت : جمال الجزيري
٤٥٠ - ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا - ريبيكارايت	ت : جمال الجزيري
٤٥١ - الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن / جون ثان لون	ت : إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢ - لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجنانزي / أوسكار زاريت	ت : محي الدين مزيد
٤٥٣ - القاهرة : إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	ت : حليم طوسون وقزاد الدهان
٤٥٤ - خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	ت : سوزان خليل
٤٥٥ - تاريخ الفلسفة الحديثة (مج ٥)	فردريك كويلستون	ت : محمود سيد أحمد
٤٥٦ - لا تنسني	مريم جعفري	ت : هويدا عزت محمد

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية
رقم الإيداع ١٤٠٦١ / ٢٠٠٢



تدور هذه الرواية حول بطل القصة أو الشخصية الرئيسية التي تتصل بها عدة شخصيات ثانوية وفكرة عامة؛ فتجد البطل أرسلان وفائى يمثل الشخصية الرومانتيكية التي تقع ضحية استسلامها لآمالها وتصادم هذه الآمال بالواقع المرير، وقد صورت الكاتبة هذه الشخصية تصويراً نفسياً حياً دقيقاً، ولم تقدم خلال سردها للأحداث أية أحداث خيالية أو غريبة، إنما قدمت أحداثاً تمثل الواقع الحقيقى؛ فتجاوزت بذلك دلالاتها الخاصة بالقصة إلى دلالات إنسانية عامة يمكن أن يشعر بها كل من يمر بموقف مشابه.

إن الكاتبة مريم جعفرى قد وفّقت - إلى حد بعيد - فى عرض فكرتها ورسم شخصياتها وإبراز كل منها بشكل معين لتؤدى الدور المرسوم لها فى القصة دون أن تشعر القارئ بوحدها خلف تلك الشخصيات.

